

اللُّبَابُ

فِي تَفْسِيرِ الْاِسْتِعَاذَةِ وَالْبِسْمَلَةِ
وَفَاتِحَةِ الْكِتَابِ

تَأليف

الدكتور سليمان بن إبراهيم الأحيمر



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

الصف والإخراج
مركز دار المسلم للصف والإخراج الفني



الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب. ١٧٣٥٦ - هاتف وفاكس ٤٩٣١١٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أمر بالاستعاذة عند قراءة القرآن، فقال - عز وجل - ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١). والحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) وحمد نفسه على إنزاله، فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (٣). وافتتح سورة سورة بقوله - تعالى - ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ سوى سورة براءة، لما له في ذلك من الحكمة ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤).

أحمده - تعالى - على أن هدانا للإسلام، وخصنا بالقرآن، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس.

فلك الحمد ربي بالإيمان، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بإرسال محمد - ﷺ - خير الأنام، ولك الحمد على نعمك التي لا تحصى على الدوام.

ولك الحمد على أن وفقت خلاصة من العباد، نذروا أنفسهم وأوقاتهم لخدمة هذا القرآن حفظاً وتجويداً، وتعلماً وتعليماً، ودراسة

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

وتفسيراً، واستخراجاً لما فيه من الهداية، وبيان العقائد والأحكام،
والخلال والحرام، ولما اشتمل عليه من الأخلاق والآداب والمواعظ
الجسام. ينفون عنه اتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

كل ذلك تحقيقاً لوعدك، حيث قلت، وقولك الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١)

وصلى الله وسلم وبارك على المعلم الأول أفضل الحامدين،
وخيرة الشاكرين، وسيد الخلق أجمعين، نبينا محمد الذي أنزل الله
عليه هذا الكتاب ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور. قال تعالى:
﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٢)

فقام به - ﷺ - حتى تفتطرت قدماه (٣)، وأقرأه أمته وبلغهم إياه،
وعلمهم ما فيه من الهداية والأحكام، وأوصاهم قبل وفاته - ﷺ -
بقوله: «إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم
ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٣) أخرج مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم - حديث ٢٨٢٠ عن عائشة قالت: كان
رسول الله - ﷺ - إذا صلى قام حتى تفتطرت رجلاه. قالت عائشة: يارسول الله أتصنع
هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبدا
شكورا»، وأخرج البخاري معلقا - في التهجد قول عائشة فقط بلفظ «كان يقوم حتى
تفتطرت قدماه» وأخرجا نحوه من حديث المغيرة بن شعبة عند البخاري حديث ١١٣٠،
وعند مسلم حديث ٢٨١٩.

به . . . ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي . . . « الحديث (١) .
فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً ما يجزى نبياً عن أمته، فقد
بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده،
حتى أتاه اليقين، فعليه من الله أزكى الصلاة، وأتم التسليم.

ورضي الله عن صحابته الكرام، الذين كانوا إذا تعلموا عشر آيات
من القرآن لم يتجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فتعلموا
القرآن والعلم والعمل جميعاً (٢)، تعلموه، وعملوا بما فيه، وعلموه من
بعدهم، ونقلوه بحروفه ومعانيه وأحكامه إلى أقطار الدنيا كلها، فرضي
الله عنهم، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً.

ورحم الله من جاء بعدهم، من سلف هذه الأمة من التابعين
وتابعيهم، ومن تبعهم، الذين قاموا بخدمة هذا الكتاب، بما دونوا من
مؤلفات فيها بيان معانيه وأحكامه، وحلاله وحرامه، وناسخه
ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وأسباب نزوله، ومكيه ومدنيه وسائر
علومه فرحمهم الله، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وعمّ بالرحمة كل من رفع بهذا الكتاب رأساً، أو قدم له خدمة،
مبتغياً بذلك وجه الله والدار الآخرة وبعد

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة - فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
حديث ٢٤٠٨.

(٢) أخرج هذا الطبري من حديث ابن مسعود، وأبي عبد الرحمن السلمي بإسنادين
صحيحين - الأثرين ٨١، ٨٢.

فإن الاشتغال بعلم كتاب الله - تعالى - هو أجل عمل وأشرفه، وأرفعه منزلة، كما قال - ﷺ - في الحديث الصحيح الذي رواه عثمان ابن عفان - رضي الله عنه -: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه البخاري^(١).

ولا شك أن الهمم قد قصرت، والموانع من اللحاق بأهل العزم قد كثرت. حتى أصبح ما نقرأه في سير علمائنا السابقين وما قاموا به من جهود في التعليم والتأليف أشبه شيء بالخيال - رحمهم الله - رحمة واسعة وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً، ونظمنا في سلكهم، ولو بالثبته بأولئك الأماجد الأخيار، وكما قيل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح
«وما لا يدرك جله لا يترك كله».

ولقد كان من أهم الأسباب التي دعنتني إلى الكتابة في هذا الموضوع ما يلي:

أولاً: أن الاستعاذة والبسملة هما المدخل لكتاب الله - تعالى - فقد أمر - تعالى - بالاستعاذة عند قراءة القرآن، وافتتح سورة كلها سوى براءة (بسم الله الرحمن الرحيم)، فيشرع للمسلم أن يفتتح قراءته بهما، في الصلاة أو خارجها، وأن يعرف معناهما وأحكامهما.

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن - باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه. الحديث

ثانياً: أنني رأيت كلام أهل العلم - رحمهم الله - على الاستعاذة
وبسملة والفاتحة مفرقاً في كتب التفسير والقراءات، وكتب الحديث
والفقه والأحكام، لا يجمعه كتاب على وجه تتم به الفائدة، لا من
كتب التفسير، ولا من غيرها.

ثالثاً: أن سورة الفاتحة: افتتح الله بها كتابه العزيز، وهي أعظم
وأفضل سورة في القرآن الكريم.

رابعاً: أن هذه السورة تحوي من المعاني والفوائد والأحكام
الشيء الكثير، وقد جاء في الأثر أنها تتضمن جميع معاني القرآن
الكريم، وبهذا قال بعض أهل العلم، كما سيأتي بيانه. ولهذا أفردها
بعض أهل العلم بالتأليف كابن القيم في كتابه القيم «مدارج السالكين
يبين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾» وناهيك به من
كتاب، كما خصصها جمع من المفسرين بجزء كبير من تفسيره كالرازي
مثلاً فقد تكلم عليها في مجلد كبير من تفسيره، وكذا أطال الكلام في
تفسيرها إمام المفسرين الطبري والحافظ ابن كثير وشيخنا عبدالرحمن
الدوسري - رحمهم الله جميعاً -.

خامساً: أن هذه السورة مما يجب على كل مسلم تعلمها وفهم
معانيها إذ عليها مدار صحة الصلاة وبطلانها.

فأردت بهذا العمل أن أجمع شتات كلام أهل العلم - على
الاستعاذة وبسملة والفاتحة، وذلك حسب الإمكان راجياً أن يكون
هذا البحث بمثابة مدخل لتفسير كتاب الله - تعالى -.

وقد سميت هذا الكتاب: الباب في تفسير الاستعاذة، والبسمة،
وفاتحة الكتاب وبيان ما اشتمل عليه كل منها من المعاني والفوائد
والأحكام.

وقد قسمت الكلام إلى بايين:

الباب الأول: الاستعاذة والبسمة - معناهما، وأحكامهما وفيه
فصلان:

أ- الفصل الأول الاستعاذة - معناها - وأحكامها - وفيه ثمانية
مباحث.

ب- الفصل الثاني البسمة معناها - وأحكامها - وفيه تسعة مباحث.

الباب الثاني: تفسير سورة الفاتحة، معناها، وأحكامها وفيه
فصلان:

الفصل الأول: تفسير سورة الفاتحة وبيان ما فيها من المعاني
والفوائد والأحكام.

الفصل الثاني: الأحكام التي تتعلق بسورة الفاتحة وفيه مبحثان.

وقد حرصت على أن أقدم للقارئ خلاصة لأصح ما جاء عن أهل
العلم والتحقيق في تفسير الاستعاذة والبسمة^(١) وهذه السورة العظيمة،

(١) ذكر ابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٥٣، أنه صنف كتاباً سماه «كتاب الانصاف فيما
بين المختلفين في بسم الله الرحمن الرحيم من الخلاف». وممن أفرد البسمة بالتأليف
ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والخطيب وابن طاهر وابن عبد الهادي وأبو محمد
عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي والزازي والقرطبي وابن كثير وغيرهم. انظر: =

سورة الفاتحة. وبذلت في ذلك جهدي وطاقتي، مع قلة البضاعة وكثرة المشاغل والعوائق.

وقد اعتمدت اعتماداً كبيراً على كتب المحققين من علمائنا - رحمهم الله - سواء في التفسير أو غيره، وخاصة كتاب «مدارج السالكين» للإمام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى - فقد اعتمدت عليه اعتماداً كبيراً - خاصة في الكلام على سورة الفاتحة، ونقلت عنه في كثير من المواضع، لأنني لم أجد من تكلم عن هذه السورة بمثل كلامه - رحمه الله تعالى -، وقد أشفقت أن أختصر كلامه أحياناً فتجيء عبارتي قاصرة عن الوفاء بمضمون كلامه الذي هو في غاية الدقة والتحقيق وحسبي أني أحلتُ إليه.

والله أسأل أن يرزقني وجميع إخواني المسلمين الإخلاص في القول والعمل إنه جواد كريم بر رؤوف رحيم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

= «صحيح ابن خزيمة» ١: ٢٤٩-٢٥١ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١: ٩٥ «نصب الرأية» ١: ٣٣٥.

«تفسير ابن كثير» ٣: ٣١٩ طبعة دار الشعب.

الباب الأول

الاستعاذة والبسمة، معناهما، وأحكامهما

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الاستعاذة، معناها، وأحكامها وفيه

ثمانية مباحث

الفصل الثاني: البسمة، معناها، وأحكامها وفيه تسعة

مباحث

قال الله تعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ٩٨

سورة النحل ، الآية : ٩٨

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

الفصل الأول

الاستعاذة، معناها، وأحكامها

وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الأول: صيغ الاستعاذة الصحيحة.

المبحث الثاني: أركان الاستعاذة.

المبحث الثالث: الاستعاذة ليست بآية من القرآن.

المبحث الرابع: إعراب الاستعاذة ومعناها.

أ - إعرابها.

ب - معناها.

المبحث الخامس: أحكام الاستعاذة.

أ - مكان الاستعاذة من القراءة.

ب - حكمها عند قراءة القرآن في الصلاة أو خارجها.

ج - هل يتعوذ في الصلاة في كل ركعة، أو في الركعة الأولى فقط.

د - حكم الجهر بها أو الإسرار.

المبحث السادس: المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة.

المبحث السابع: بيان أن شيطان الجن أعظم ضررا من شيطان الإنس،

ومن النفس «المذمومة».

المبحث الثامن: السبيل للخلاص من شر الشيطان ومكايده.

المبحث الأول صيغ الاستعاذة الصحيحة

الصيغة الأولى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وعلى هذا اللفظ دل الكتاب والسنة.

قال الله - تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (١).

وعن سليمان بن صرد - رضي الله عنه - قال: استب رجلان عند النبي - ﷺ - ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه، مغضبا، قد احمر وجهه، فقال النبي - ﷺ -: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي - ﷺ - فقال: إني لست بمجنون» متفق عليه (٢).

وهذه الصيغة هي المختارة عند أكثر القراء (٣).

منهم: أبو عمرو البصري، وعاصم بن أبي النجود الكوفي، وعبدالله ابن كثير المكي (٤). وبها كان يتعوذ جمهور السلف من الصحابة والتابعين

- (١) سورة النحل، الآية: ٩٨. انظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١: ٩٨.
- (٢) أخرجه البخاري - في الأدب - باب: الحذر من الغضب - حديث: ٦١١٥، ومسلم - في البر - باب فضل من يملك نفسه عند الغضب - حديث: ٢٦١٠.
- (٣) انظر «النشر» ١: ٢٤٣.
- (٤) انظر «المبسوط» ١: ١٣، «غرائب القرآن» للنيسابوري ١: ١٥، «مجمع البيان» ١: ١٨.

منهم: عمر بن الخطاب وابنه عبدالله بن عمر^(١) - رضي الله عنهما - .
وهي اختيار: أبي حنيفة^(٢)، والشافعي^(٣)، وأحمد بن حنبل^(٤) -
رحمهم الله .

قال مكّي بن أبي طالب القيسي في كتابه «الكشف عن وجوه
القراءات السبع^(٥)»: «الذي عليه العمل وهو الاختيار أن يقول
القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . للآية» .

وقال ابن عطية في «تفسيره»^(٦): «وأما لفظ الاستعاذة، فالذي عليه
جمهور الناس، هو لفظ كتاب الله - تعالى: ﴿أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم﴾» .

الصيغة الثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .

يدل على هذا اللفظ، ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري - رضي
الله عنه - في دعاء الرسول - ﷺ - إذا قام إلى الصلاة في الليل، وفيه:

-
- (١) أخرجها عن عمر - ابن أبي شيبة - في الصلاة - في التعوذ كيف هو قبل القراءة أو بعدها ٢٣٧: ١، والبيهقي في الصلاة، باب التعوذ بعد الافتتاح ٣٦: ٢ . وأخرجها عن عبدالله ابن عمر ابن أبي شيبة في الموضوع نفسه .
- (٢) انظر «فتح القدير» لابن الهمام ٢٩١: ١، «النشر» ٢٤٣: ١ .
- (٣) انظر «الأم» ١٠٧: ١، «أحكام القرآن» للشافعي ٦٢: ١، «المهذب» للشيرازي ٧٩: ١، «التيبان» للنووي ص ٦٤، «تفسير ابن كثير» ٣٢: ١ .
- (٤) انظر «المعني» ١٤٦: ٢، «إغاثة اللهفان» ١٥٣: ١، «النشر» ٢٤٣: ١ .
- (٥) ٨: ١، وانظر أيضا «التبصرة» لمكي ص ٢٤٦، «الإقناع في القراءات السبع» ١٥١: ١ .
- (٦) ٤٨: ١، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٨٦: ١، «النشر» ٢٤٣-٢٤٦، «المهذب في القراءات العشر» ٣٠: ١ .

ثم يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم - الحديث وسيأتي بتمامه»^(١).

كما استدل له بقوله - تعالى -: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وبقوله - تعالى -: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

وهي اختيار طائفة من القراء^(٤) منهم حمزة^(٥)، وسهل بن أبي حاتم^(٦)، وهي مروية عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه^(٧) - وبها يقول الحسن البصري^(٨) ومحمد بن سيرين^(٩)، والحسن بن صالح^(١٠)، والشافعي^(١١)، وأحمد بن حنبل، في رواية النيسابوري^(١٢).

(١) انظر: الصيغة الثالثة.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٤) انظر «التيان» للنووي ص ٦٤.

(٥) انظر «الإقناع في القراءات» ١: ١٥٠-١٥١، «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٣.

(٦) انظر «غرائب القرآن» ١: ١٥٠، «النشر» ١: ٢٤٩.

(٧) أخرجها عن عمر ابن أبي شيبة - في الصلاة - التعمود كيف هو ١: ٢٣٧.

(٨) أخرجها عن الحسن عبدالرزاق - في الصلاة - متى يستعيز، الأثر ٢٥٩١، وابن خزم في «المحلى» ٣: ٢٤٩.

(٩) انظر «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٣.

(١٠) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٥.

(١١) انظر «أحكام القرآن» للشافعي ١: ٦٢، «المجموع» ٣: ٣٢٣.

(١٢) انظر «مسائل الإمام أحمد» للنيسابوري ص ٥٠، فقرة ٢٣٨، «المغني» ٢: ١٤٦، «إغاثة»

قال أبو عمرو الداني في جامعه: «إن على استعماله عامة أهل الأداء، من أهل الحرمين، والعراقين، والشام»^(١).

ج - الصيغة الثالثة: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه.

يدل على هذا اللفظ، ما رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: «أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه»^(٢).

وقد خصها بعض أهل العلم بقيام الليل لحديث أبي سعيد.

د - الصيغة الرابعة: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ونفثه.

= اللهفان» ١: ١٥٣.

(١) «النشر» ١: ٢٤٩.

(٢) أخرجه أحمد ٣: ٥٠، وأبو داود - في الصلاة - باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك - حديث ٧٧٥، والترمذي - في أبواب الصلاة - باب ما يقول عند افتتاح الصلاة - حديث ٢٤٢ - قال الترمذي «وحدث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب» والنسائي في الصلاة - باب نوع آخر من الذكر بعد افتتاح الصلاة ٢: ١٣٢، وابن ماجه في الإقامة الحديث ٨٠٤. وصححه أحمد شاكر في تحقيق سنن الترمذي ٢: ١١، والألباني في «صحيح سنن أبي داود» حديث ٧٠١، وحسنه الأرناؤوط في تحقيقه لزد المعاد ١: ٢٠٥. وقد أخرج هذا الحديث من حديث عائشة أبو داود - الحديث ٧٧٦، والترمذي - الحديث ٢٤٣، وابن ماجه في الإقامة الحديث ٨٠٦، والدارقطني ١: ١١٢، والحاكم ١: ٢٣٥، ورجاله ثقات فالحديث صحيح.

يدل على هذا ما رواه عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ونفثه»^(١).

وهي مروية عن بعض أهل العلم، منهم الحسن البصري^(٢)، وإسحاق بن راهويه^(٣).

هـ - الصيغة الخامسة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم^(٤).

جمعا بين أدلة الصيغة الأولى، وأدلة الصيغة الثانية والثالثة.

وبها قرأ نافع وابن عامر والكسائي^(٥)، وهي مروية عن حمزة وعن

أبي عمرو وقد زويت عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومحمد بن سيرين^(٦).

(١) أخرجه ابن ماجه - في إقامة الصلاة - باب الاستعاذة في الصلاة - حديث ٨٠٨، وابن خزيمة - في الصلاة - باب الاستعاذة في الصلاة قبل القراءة حديث ٤٧٢. وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» حديث ٦٥٨. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف - في الصلاة - التعوذ كيف هو ١: ٢٣٨.

(٢) أخرجه عن الحسن عبد الرزاق في الصلاة - باب الاستعاذة في الصلاة، الأثر ٢٥٨٠.

(٣) انظر «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٤.

وقد أخرج عبد الرزاق في الموضوع السابق، الأثر ٢٥٧٧، وابن حزم في «المحلى» ٣: ٢٤٩ عن ابن عمر أنه كان يقول: «اللهم أعوذ بك من الشيطان الرجيم».

(٤) انظر «غرائب القرآن» ١: ١٥١، «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٤.

(٥) انظر «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٠، «الميسوط» ١: ١٣، «مجمع البيان»

١٨: ١، «النشر» ١: ٢٥٠.

(٦) انظر «النشر» ١: ١٠.

وهي اختيار سفيان الثوري^(١) والأوزاعي^(٢)، ومسلم بن يسار^(٣)،
وأحمد في رواية، اختارها القاضي أبو يعلى، وابن عقيل^(٤).
و- الصيغة السادسة: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه
القديم، من الشيطان الرجيم.

لما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ
أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم،
وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»^(٥).

وهناك صيغ أخرى رويت عن بعض القراء، وبعض أهل العلم.

منها: أعوذ بالله العظيم، من الشيطان الرجيم^(٦).

ومنها: أعوذ بالله العظيم، السميع العليم، من الشيطان الرجيم^(٧).

ومنها: أعوذ بالله العظيم، من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع

(١) انظر «التفسير الكبير» ٦١:١، «المجموع» ٣:٣٢٥، «إغاثة اللهفان» ١:١٥٤، «تفسير

ابن كثير» ٣٢:١، «النشر» ١:٢٥٠.

(٢) انظر «التفسير الكبير» ٦١:١، «الباب التأويل» ١:١٠، «تفسير ابن كثير» ١:٣٢.

(٣) أخرجها عنه ابن أبي شيبة في المصنف في الصلاة - في التعوذ كيف هو ١:٢٣٧،
وانظر «إغاثة اللهفان» ١:١٥٤، «النشر» ٢٥٠.

(٤) انظر «المغني» ٢:١٤٦، «إغاثة اللهفان» ١:١٥٢، ١٥٤.

(٥) أخرجها أبو داود في الصلاة - الحديث ٤٤١ وصححه الألباني. وانظر «النشر»
٢٥١:١.

(٦) ذكرها ابن الباذش في «الإقناع في القراءات السبع» ١:١٤٩، وقال: «هي رواية أهل
مصر عن ورش فيما ذكر الأهوازي». وانظر «النشر» ١:٢٤٩.

(٧) رواها هبيرة عن حفص فيما ذكر ابن الباذش في «الإقناع» ١:١٥٠، وانظر «المبسوط»
١٣:١.

العليم^(١).

ومنها: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم^(٢).

ومنها: أستعيذ بالله، أو نستعيذ بالله، من الشيطان الرجيم^(٣).

ومنها: أعوذ بالله القوي، من الشيطان الغوي^(٤).

ومنها: أعوذ بالله المجيد، من الشيطان المرید^(٥).

ومنها أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأستفتح الله وهو خير الفاتحين^(٦).

ومنها: أعوذ بالله السميع، الرحمن الرحيم، من الشيطان الرجيم،

وأعوذ بك رب أن يحضرون، أو يدخلوا بيتي الذي يؤويني^(٧).

ومنها: رب أعوذ بك من همزات الشيطان، وأعوذ بك رب أن

(١) انظر «النشر» ١: ٢٥٠.

(٢) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٥.

(٣) نسبت لحمزة الزيات ومحمد بن سيرين. انظر «المبسوط» ١: ١٣، «مجمع البيان» ١: ١٨، «غرائب القرآن» للنيسابوري ١: ١٥، وقد نفى ابن الجزري صحتها عن حمزة. انظر «النشر» ١: ٢٤٦.

(٤) قال ابن الباذش في «الإقناع» ١: ١٥١ «اختارها بعضهم لجميع القراء».

(٥) انظر «تفسير ابن عطية» ١: ٤٩.

(٦) انظر «النشر» ١: ٢٥١.

(٧) أخرجهما عبدالرزاق عن عطاء - في الصلاة - باب الاستعاذة في الصلاة - حديث

يحضرون، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم^(١).
ومنها: أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين، وأعوذ بالله أن
يحضرون^(٢).

وهذه الصيغ وإن رُويت عن بعض السلف، فإن أقل أحوالها
الجواز، وما صح عن المصطفى - ﷺ - هو الأولى بالاتباع.

(١) أخرجهما عبدالرزاق - في الصلاة - باب الاستعاذة في الصلاة - حديث ٢٥٧٨ عن طاووس.
(٢) أخرجهما ابن أبي شيبة في الصلاة - في التعوذ كيف هو، ٢٣٨:١ عن محمد بن سيرين.

المبحث الثاني

أركان الاستعاذة

تكون الاستعاذة - كما يقول بعض أهل العلم^(١) - من خمسة أركان هي:

أ - صيغة الاستعاذة ولفظها، وقد تقدم.

ب - المستعبد، وهي المؤمن الذي رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد - ﷺ - نبياً ورسولاً، ونطق بالاستعاذة، وواطأ عنده القلب اللسان، فأيقن أن هذه الاستعاذة تحميه، بإذن الله من الشيطان الرجيم.

ج - المستعاذ به وهو الله - جل وعلا - الذي من استعاذ به أعاده، وأجاره وعصمه، وحفظه وحماه، كما أعاد مريم ابنة عمران وذريتها وعصمها بسبب دعاء والدتها امرأة عمران وإعادتها إياها بالله من الشيطان الرجيم، كما ذكر الله عنها أنها قالت:

﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِن لَّدُنِّي لَوَإِي سَمِيئَةٌ مَّرِيمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٦٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴿٦٧﴾ ﴾^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «ما

(١) انظر «التفسير الكبير» ١: ٧١، «غرائب القرآن» ١: ١٦٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٦-٣٧.

من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه»^(١).

فلاستعاذة إنما تكون بالله - جل وعلا -، وأسمائه الحسنی، وصفاته العلیا، وكلماته التامة، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر.

وأكثر ما ورد في القرآن الاستعاذة باسمه - تعالى - «الله».

قال الله - تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٢).

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤).

وقال - تعالى -: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْفِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾^(٥).

وقال موسى - عليه السلام - فيما ذكر الله عنه: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ

(١) أخرجه - مسلم - في الفضائل - باب فضائل عيسى - عليه السلام - حديث ٢٣٦٦، وأحمد ٢: ٢٣٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٥) سورة غافر، الآية: ٥٦.

مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧﴾^(١) ، وقال يوسف عليه السلام ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾^(٢) . أي عياداً بالله .

كما وردت الاستعاذة كثيراً باسمه - تعالى - : «الرب» .

قال الله - تعالى - : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾ .

وقال موسى عليه السلام : ﴿إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾^(٣) .

وقال عليه السلام : ﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢١﴾﴾^(٤) .

أو بمضمرة يعود على الرب :

قال - تعالى - ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾^(٥) .

وقال نوح - عليه السلام - ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴿٦﴾﴾ .

وقالت امرأة عمران ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٧ .

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٣ ، ٧٩ .

(٣) سورة غافر، الآية: ٢٧ .

(٤) سورة الدخان، الآية: ٢٠ .

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧-٩٨ .

(٦) سورة هود، الآية: ٤٧ .

الَّذِكْرُ كَالْأَنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ .

ووردت الاستعاذة باسمه الرحمن مرة واحدة. قال الله - تعالى -

عن مريم - عليها السلام - ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ (٢) .

وفي الحديث «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» (٣) .

«أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما

خلق وبرأ وذراً» الحديث (٤) .

ولا تصح الاستعاذة بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، لأن

الاستعاذة بالمخلوق في أمر لا يقدر عليه إلا الله لا تدفع شراً،

ولا تجلب خيراً، بل مما يزيد المستعبد خوفاً ورهقاً. قال - تعالى -

في سورة الجن ﴿ وَأَنْتُمْ كَانُوا رِجَالًا مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ

رَهَقًا ﴾ (٥) .

د - الركن الرابع من أركان الاستعاذة: المستعاذ منه، وهو الشيطان

الرجيم، أعاذنا الله منه .

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦ .

(٢) سورة مريم، الآية: ١٨ .

(٣) سيأتي تخريجه في المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة في المبحث السادس من هذا الفصل .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ٣: ٤١٩ .

(٥) سورة الجن، الآية: ٦، انظر «التفسير القيم» ص ٥٤٢ .

هـ - الركن الخامس من أركانها: المطلب الذي من أجله يستعيز المسلم، وهو السلامة في دينه ودينه، من الشيطان ووسوسته ومكايده وجميع شروره.

قال الله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ ﴾ (١).

وقال تعالى ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ⑤ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي ⑥ ﴾ (٢).

وقال - ﷺ - «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم» (٣).

قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٤) بعد أن ذكر هذا الحديث: «فتضمن هذا الحديث الشريف، الاستعاذة من الشر وأسبابه، وغايته، فإن الشر كله، إما أن يصدر من النفس، أو من الشيطان، وغايته: إما أن يعود على العامل أو على أخيه المسلم...».

(١) سورة الناس، الآية: ١-٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧-٩٨.

(٣) سيأتي تخريجه بتمامه في المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة في المبحث السادس، من هذا الفصل.

(٤) ١٤٦:١.

وقال الطبري^(١) - رحمه الله - في كلامه على معنى الاستعاذة:
 «أستجير بالله - دون غيره، من سائر خلقه - من الشيطان، أن يضرني في
 ديني، أو يصدني عن حق يلزمني لربي».

وقال ابن كثير^(٢) - رحمه الله - «أستجير بجناب الله من الشيطان
 الرجيم، أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به،
 أو يحثني على فعل ما نهيت عنه».

.....

(١) في «تفسيره» ١: ١١١.

(٢) في «تفسيره» ١: ٣٣.

المبحث الثالث

الاستعاذة ليست بأية من القرآن الكريم

أمر الله بالاستعاذة عند القراءة بقوله - تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١).

فهذه الآية هي الأصل في مشروعية الاستعاذة، عند القراءة، وهي مشتملة على جل ألفاظ صيغة الاستعاذة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» التي هي أصح الصيغ.

وقد أجمع العلماء على أن الاستعاذة بهذا اللفظ ليست آية حكى ذلك ابن عطية (٢) وغيره (٣).

وقال ابن تيمية (٤): «لكن الاستعاذة ليست بقرآن، ولم تكتب في المصاحف، وإنما فيه الأمر بالاستعاذة، وهذا قرآن».

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٢) في «تفسيره» ٤٨: ١.

(٣) انظر «الجامع لأحكام القرآن» ٨٦: ١، «البحر المنحيط» ١٧: ١.

(٤) في «مجموع الفتاوى» ٣٥١: ٢٢.

المبحث الرابع

إعراب الاستعادة، ومعناها

أ - إعرابها:

لعل من المناسب إعراب الآية التي هي الأصل في مشروعية الاستعادة عند القراءة. وهي قوله - تعالى - ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١)، لأنها مشتملة - كما أشرت سابقاً - على جل ألفاظ صيغة الاستعادة المختارة وهي: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

فقوله ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾. فإذا: الفاء للاستئناف، وإذا: اسم شرط غير جازم مبني على السكون، في محل نصب مفعول فيه، ظرف زمان، متعلق بجوابه «استعد».

قرأت: قرأ فعل ماضٍ مبني على السكون لا اتصاله بالضمير، والتاء ضمير للمخاطب مبني على الفتح في محل رفع فاعل. القرآن: مفعول به منصوب.

فاستعد: الفاء رابطة لجواب الشرط. استعد: فعل أمر مبني على السكون الظاهر والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: أنت.

بالله: الباء حرف جر، ولفظ الجلالة اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور متعلقان بـ(استعد).

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

من الشيطان: من حرف جر، والشيطان اسم مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. والجار والمجرور متعلقان بـ(استعد).

الرجيم: صفة للشيطان مجرورة مثله، وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على آخرها.

ب - معناها:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

أعوذ: فعل مضارع، يقال: عدت أعوذ، كما يقال: عاذ يعوذ عودا وعايذا، ومعادا^(١). قال يوسف عليه السلام ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾^(٢) أي عياذا بالله.

أعوذ بالله بمعنى أعتصم به^(٣)، كما جاء في حديث أبي هريرة في الدعاء عند دخول المسجد «اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم»^(٤).

قال الحصين بن الحمام يخاطب قبيلته^(٥):

وعوذى بأفناء العشيرة إنما يعوذ الذليل بالعزيز لبعضما

(١) انظر مادة «عوذ» في «النهاية»، «لسان العرب».

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٣ و٧٩.

(٣) انظر مادة «عوذ» في «النهاية»، «لسان العرب»، وانظر «اغاثة اللفهان» ١: ١٤٧، «التفسير القيم» ص ٥٣٨.

(٤) سيأتي تخريجه في المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة في المبحث السادس من هذا الفصل.

(٥) انظر «المفضليات» ص ٦٨، المفضلية: ١٢.

وقال الراجز^(١):

قالت وفيها حيدة وذعر عَوذي بربي منكم وحجر
أي: اعتصامي بربي.

وبمعنى: ألتجىء إلى الله. قال ابن فارس^(٢): «العين والواو والذال أصل صحيح، يدل على معنى واحد، وهو الالتجاء إلى الشيء».

وبمعنى: أستجير بالله^(٣)، وأتحرّز به^(٤)، واستعين به^(٥).
وأمتنع به من المكروه^(٦)، وأتعلق به^(٧)، وأتحيز إليه^(٨)، وألوذ به^(٩).

- (١) لم أقف على قائله، وانظره في «إصلاح المنطق» ص ٨١ «مجالس ثعلب» ص ١٨١، «المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة» ص ٨٢، «اللسان» مادة «عوذ».
- (٢) في «مقاييس اللغة»: مادة «عوذ»، وانظر «المفردات في غريب القرآن» «النهاية»، «لسان العرب» نفس المادة، وانظر أيضاً «إغاثة اللهفان» ١: ١٤٧، «التفسير القيم» ص ٥٣٨، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٣.
- (٣) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١١، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١: ٧، «النكت والعيون» ١: ٤٨، «المحرر الوجيز» ١: ٤٨.
- (٤) انظر «التفسير القيم» ص ٥٣٨.
- (٥) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨.
- (٦) انظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١: ٧، «المحرر الوجيز» ١: ٤٨، «إغاثة اللهفان» ١: ١٤٧.
- (٧) انظر «المفردات في غريب القرآن»، مادة «عوذ».
- (٨) انظر «المحرر الوجيز» ١: ٤٨.
- (٩) انظر مادة «عوذ» في «النهاية»، «لسان العرب» وانظر «زاد المسير» ١: ٧.

ويقال: إن العيادة لدفع الشر، واللياذة لطلب الخير.

قال ابن كثير^(١): «والعيادة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب الخير كما قال المتنبى^(٢)»:

يا من ألوذ به فيما أوّله ومن أعوذ به ممن أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره
لكن بعض أهل اللغة - كما تقدم - على أنهما بمعنى واحد. قال ابن منظور^(٣): «الملاذ مثل المعاذ».

بالله: الباء للاستعانة^(٤)، وقيل للإلصاق^(٥).

الله: علم على ذات الرب - جل وعلا، وأصل أسمائه سبحانه وتعالى، ومعناه: المألوه المعبود محبة وتعظيماً. وسيأتي تفصيل الكلام فيه في البسمة - إن شاء الله.

وجملة أعوذ بالله خيرية تتضمن طلب الإعاذة^(٦).

من الشيطان: من لا ابتداء الغاية.

(١) في «تفسيره» ٣٣: ١.

(٢) ديوانه ١: ١٦٠-١٦١، وبين البيتين المذكورين بيتان.

(٣) في «اللسان» مادة «عوذ».

(٤) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨.

(٥) قال ابن كثير ١: ٣٣: «الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجناحه من شر كل ذي شر».

وانظر «غرائب القرآن» للنيسابوري ١: ١٧.

(٦) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨، «التفسير الكبير» ١: ٩٦، «التفسير القيم» ص ٥٤٠-٥٤١.

الشیطان: مأخوذ عند جمهور أهل اللغة ومحققهم من شطن
بمعنى: بُعد، يقال: بئر شطون، أي: بعيدة القعر والمدى^(١).
قال النابغة الذبياني^(٢):

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين
والشطن الحبل، أو الحبل الطويل^(٣). قال عنترة^(٤):
يدعون عتير والرماح كأنها أشطانُ بئرٍ في لبان الأدهم
فأشطان جمع شطن وهو الحبل الطويل.

فالنون فيه أصلية. قال ابن فارس^(٥): «الشين والطاء والنون أصل
مطرِد ويدل على البعد».

والشيطان على وزن فيعال، للدلالة على أنه بلغ الغاية في
البعد^(٦).

وقيل: إنه مأخوذ من «شاط يشيط، إذا هاج واشتد غضباً، وهلك

(١) انظر «الكتاب» لسبويه ص ٢٦٠، ٢٨٦، ٣٢١، «تفسير الطبري» ١: ١١٢. وانظر مادة
«شطن» في «تهذيب اللغة» و «مقاييس اللغة». وانظر «الكشف عن وجوه القراءات
السيح» ١: ١٠٠، «المفردات في غريب القرآن» مادة «شطن». «المحرر الوجيز» ١: ٤٩،
«النهاية» لابن الأثير مادة «شطن» «تفسير ابن كثير» ١: ٣٣.

(٢) ديوانه ص ٣٦٢.

(٣) انظر «النهاية» مادة «شطن»، «المحرر الوجيز» ١: ٤٩، «لسان العرب» مادة «شطن».

(٤) ديوانه ص ٢١٦، «شرح القصائد» لابن الأنباري ص ٣٥٩ - معلقة عنترة البيت الثامن
والستون.

(٥) في «مقاييس اللغة» مادة «شطن» وانظر «النهاية» مادة «شطن».

(٦) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١٢، «المحرر الوجيز» ١: ٤٩.

واحترق وبطل، وعلى هذا فالنون فيه زائدة^(١).

والصحيح القول الأول.

قال سيويه^(٢): «العرب تقول تشيطن».

وقال الطبري^(٣): بعدما ذكر القول بأنه مشتق من «شطن»: «ومما يدل على أن ذلك كذلك قول أمية بن أبي الصلت:»^(٤).

أيما شاطنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ثم يلقى في السجن والأكبال

قال الطبري: ولو كان فعلا من شاط يشيط لقال أيما شاطئ، ولكنه قال: أيما شاطن، لأنه من شَطَنَ يَشْطُنُ فهو شاطن»^(٥).

و«أل» في «الشیطان» للجنس^(٦)، فهو يشمل كل متمرّد، عات، خارج عن الطاعة، من الجن، والإنس، والدواب، وكل شيء^(٧)،

(١) انظر «مقاييس اللغة» مادة «شطن»، «الكشف عن وجوه القراءات السبع»، ١٠: ١،

«المحرر الوجيز» ٤٩: ١، مادة «شطن» في «المفردات في غريب القرآن»، «النهاية»،

«لسان العرب». وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٩٠: ١، «تفسير ابن كثير» ٣٣: ١.

(٢) في «الكتاب» ٢٨٦: ٤، ٣٢١، وانظر «المحرر الوجيز» ٥٠: ١، «الدر المصون» ١٠: ١.

(٣) في «تفسيره» ١١٢: ١.

(٤) ديوانه ص ٤٤٥ وانظر: «لسان العرب» مادة «شطن». ومعنى عكاه: شدة، وأوثقه، والأكبال: القيود.

(٥) وانظر مادة «شطن» من «تهذيب اللغة»، «النهاية» «لسان العرب» وانظر «المحرر الوجيز» ٥٠: ١، «تفسير ابن كثير» ٣٣: ١.

(٦) انظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ٧: ١، «التفسير الكبير» ٩٥: ١، ٢٠: ١١٥، «غرائب القرآن» ٢٣: ١.

(٧) انظر «تفسير الطبري» ١١١: ١، «تفسير ابن كثير» ٣٣: ١.

ولهذا جمع في قوله - تعالى - ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (١). وقيل أَل فيه للعهد (٢).
والصحيح الأول.

وهو يكون من الإنس والجن، كما قال الله - تعالى -: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (٣). وقال - تعالى -
﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (٤)، أي:
شياطين إنس يعوذون بشياطين جن. وقال - تعالى -: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّي
النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾
الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ (٥) أي
شياطين جن وإنس يوسوسون في صدور الناس. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا
خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ (٦) أي شياطين إنس بإنس.

قال جرير (٧):

أَيَّامَ يَدْعُونِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَزَلٍ وَهَنْ يَهْوَيْتَنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانَا
ويكون من الحيوانات كما جاء في حديث عبدالله بن الصامت أبي

(١) سورة المؤمنون، آية: ٩٧.

(٢) انظر «التفسير الكبير» ١: ٩٥، «التسهيل لعلوم التنزيل» ١: ٣٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٤) سورة الجن، الآية: ٦.

(٥) سورة الناس، الآية: ٦-١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤.

(٧) ديوانه ص ١٦٥ «لسان العرب» مادة «شطن».

ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرجل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرجل، فإنه يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود. قلت: يا أباذر، ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر، من الكلب الأصفر؟! قال: يا ابن أخي، سألت رسول الله ﷺ، كما سألتني، فقال: الكلب الأسود شيطان»^(١).

وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ركب بردونا فجعل يتبختر به، فجعل يضربه، فلا يزداد إلا تبخترا، فنزل عنه، وقال: ما حملتموني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي^(٢).

وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطانا لمفارقتة لبني جنسه في أخلاقه، وأفعاله، وصفاته، وطباعه، ومباعدته لهم، وبسبب فسقه، وبعده عن الحق والهدى والخير، وعن رحمة الله - تعالى -^(٣).

الرجيم: فعيل بمعنى مفعول أي: مرجوم^(٤) كسعير بمعنى:

(١) أخرجه - مسلم - في الصلاة - باب قدر ما يستر المصلي - حديث ٥١٠، وأبو داود في الصلاة - باب ما يقطع الصلاة - حديث ٧٠٢.

وأخرجه أيضا مسلم في الموضع السابق برقم ٥١١ من حديث أبي هريرة بلفظ قال قال رسول الله - ﷺ - يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب، ويقي ذلك مثل مؤخرة الرجل.

ومعنى الكلب الأسود شيطان: أي أنه خبيث يتلون.

(٢) أخرجه الطبري الأثر ٣٦، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٤:١، وقال: «إسناده صحيح».

(٣) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١١، «المحرر الوجيز» ١: ٤٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٣.

(٤) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١٢، «تهذيب اللغة» مادة «رجم»، «الكشف عن وجوه =

مسعود. مأخوذ من الرجم: وهو الرمي بفعل أو قول^(١).
فمن الرجم بالفعل: الرجم والرمي بالحجارة. قال ابن فارس^(٢):
الراء والجيم والميم، أصل واحد، يرجع إلى وجه واحد، وهو الرمي
بالحجارة.

ومن الرجم بالقول قوله - تعالى ﴿رَجِمًا بِالْغَيْبِ﴾^(٣)، أي قولاً
بالظن. وقوله - تعالى - عن آزر أنه قال لإبراهيم - عليه السلام - ﴿لَئِن
لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾^(٤) أي لأرمينك بسوء القول.
قال المرقش الأصغر^(٥):

وإني وإن قلت قَلْوصي لراجمٌ بها وبنفسي يا فُطيمُ المراجمُ

ومنه القذف بالزنى، فإنه رجم ورمي بالقول.

والشيطان مرجوم بالفعل والقول: أي فعلاً وقولاً، حساً ومعنى.

فهو مرجوم فعلاً وحساً بإخراجه من الجنة وطرده عنها، وعن الملائكة
الأعلى وبإهباطه من السموات إلى الأرض^(٦).

= القراءات السبع» ١: ١٠، «المحجر الوجيز» ١: ٥٠، «لسان العرب» مادة «رجم»،
«تفسير ابن كثير» ١: ٣٤.

(١) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١٢.

(٢) «مقاييس اللغة» مادة «رجم»، وانظر «لسان العرب» نفس المادة.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٤) سورة مريم، الآية: ٤٦.

(٥) المفضليات ص ٢٤٦، المفضلية (٥٦).

(٦) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١٢، ومادة «رجم» في «المفردات في غريب القرآن»، «لسان

العرب»، وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٤.

قال الله - تعالى : ﴿ فَاهِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (٣) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٧٨) (٤) .

وهو مرجوم حسا وفعلا بالشهب . قال الله - تعالى ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ (٥) .

وقال - تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوْكَبِ ﴾ (١) وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَىٰ وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ حَظِيَ الْمُنْطَفَةِ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ (٦) .

وقال - تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ ﴾ (١١) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَفَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحَفِظْنَا ﴾ (٨) . وقال - تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ

(١) سورة الأعراف، آية: ١٣.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

(٤) سورة ص، الآيتان: ٧٧ - ٧٨.

(٥) سورة الملك، آية: ٥.

(٦) سورة الصافات، الآيات: ٦ - ١٠.

(٧) سورة الحجر، الآيات: ١٦ - ١٨.

(٨) سورة فصلت، آية: ١٢.

مِنْهَا مَقْعِدٌ لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿١﴾ .

وهو مرجوم قولاً ومعنى لأن الله بعد أن أبعده ورجمه بالفعل بإخراجه من الجنة، ومن بين الملائكة الأعلى. وطرده من جواره، وسلط عليه الرمي بالشهب حكم عليه أيضاً باللعنة فهو ملعون بلعنة الله إلى يوم القيامة مقضي عليه بالخيبة والخسران، ومطرود عن رحمة الله، وعن كل خير (٢).

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ (٥) لَعْنَةُ اللَّهِ .

وقيل: فعيل بمعنى فاعل، لأنه يوسوس للناس، ويؤرين لهم المعاصي، وطرق الشر، ويحثهم عليها، ويُبعدهم عن الخير، ويكيد لهم في ذلك كله، أنواع المكائد (٦).

قال ابن كثير: «والأول أشهر وأصح» (٧).

هذا هو معنى أصح صيغ الاستعاذة:

-
- (١) سورة الجن، الآيتان: ٨-٩ .
 (٢) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١٢، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١: ١٠، «النكت والعيون» ١: ٤٩، «المحرر الوجيز» ١: ٥٠، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٤ .
 (٣) سورة الحجر، الآية: ٣٥ .
 (٤) سورة ص، الآية: ٧٨ .
 (٥) سورة النساء، الآية: ١١٧-١١٨ .
 (٦) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨، «لباب التأويل في معاني التنزيل» ١: ١٠ .
 (٧) في «تفسيره» ١: ٣٤ .

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»

وقد جاء في الصيغ الأخرى بعض الزيادات

ففي الصيغة الثانية زيادة: السميع العليم.

وهما اسمان من أسماء الله - تعالى - فالسميع مشتق من صفة السمع وهو على وزن «فعليل» صفة مشبهة وصيغة مبالغة، يدل على أنه جل وعلا ذو السمع الذي وسع جميع الأصوات.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (٢).

قالت عائشة - رضي الله عنها - (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي - ﷺ - وأنا في ناحية البيت، تشكو زوجها، وما أسمع ما تقول. فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (٣).

والعليم: اسم من أسماء الله مشتق من العلم. والعلم هو إدراك المعلوم على ما هو عليه (٤) إدراكاً جازماً. وعليم على وزن «فعليل» صفة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في المقدمة حديث ١٨٨. وصححه الألباني حديث ١٥٥. وأخرجه أحمد ٤٦: ٦.

(٤) انظر «شرح صحيح مسلم» ٢١٣: ١٦.

مشبهه وصيغة مبالغة يدل على أنه تعالى ذو العلم الواسع التام المحيط بالأشياء كلها جملة وتفصيلاً، في أطوارها الثلاثة، قبل الوجود، وبعده، وبعد العدم، كما قال موسى - عليه السلام - حينما سئل عن القرون الأولى ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(١). فلا يعترى علمه جل وعلا جهل سابق، ولا نسيان لاحق.

وجاء في الصيغة الثالثة والرابعة زيادة: من همزه ونفخه ونفته.

فهمز الشيطان: المُوْتة - بضم الميم، وهي الخنق: نوع من الجنون والصرع^(٢).

(١) سورة طه، الآية: ٥٢.

(٢) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨، «النهاية» مادة «همز»، «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٤-١٥٥.

وقد أنكر كثير من العقلاء صرع الجن للإنس، وملاسة الجني للإنسي، ودخوله في بدنه، وقد دل الكتاب والسنة على ذلك. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ آية (٢٧٥) البقرة. وقال - ﷺ -: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم» متفق عليه.

وقد ثبت عن الإمام أحمد - رحمه الله - أنه كان يقرأ على المصروع، فيتكلم الجني، ويعاهد، ويخرج، فيقوم المصروع ما به أذى. وقد حصل ذلك أيضاً لغيره من العلماء، كشيخ الإسلام ابن تيمية، ووقائع ذلك وشواهد أكثر من أن تحصر. ولقد وصل الأمر ببعض المسلمين من الكتاب وغيرهم، بل ببعض المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة، إلى إنكار وجودهم - شأن بعض أهل الكتاب، والمعتزلة وغيرهم - مع أن الله ذكرهم في كتابه في مواضع كثيرة، وأفرد لهم سورة كاملة تسمى سورة «الجن» وجاء ذكرهم في السنة في أحاديث كثيرة، منها ما جاء في الاستعاذة وغير ذلك، كحديث أبي سعيد قال رسول الله - ﷺ -: «إن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له بعد فليقتله، فإنه شيطان» رواه مسلم وغيره.

فالواجب الإيمان بوجودهم، وبكل ما ذكر الله عنهم في كتابه وفي سنة رسوله - ﷺ - مثل كونهم يتناسلون. قال الله تعالى - عن الشيطان ﴿أَفْتَتَخُونَهُ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ

ونفخه: الكبير^(١).

ونفته: النفث: الشعر، لأنه ينفث من الفم^(٢). وقيل: السحر^(٣) ولا مانع من حمله عليهما معا فالشعر والسحر كلاهما من نفث الشيطان لكن المراد بالشعر هنا الشعر المذموم، في الأغراض السيئة كنصرة الباطل وأهله، والهجاء المقذع، والغزل الماجن، والمدح المفرط، ونحو ذلك.

أما الشعر المحمود، في الأغراض الشريفة السامية، كالانتصار للحق، والحث على الفضائل، ومكارم الأخلاق، والتحذير من الرذائل ومساوئ الأخلاق فهذا ليس من نفث الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٨﴾ وَأَتَّهَمُ يَقُولُوا مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

= دوني ﴿آية (٥٠) الكهف. ومثل كونهم يرون الإنس. قال تعالى: ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ آية (٢٧) الأعراف، وأن لهم رسلا من الإنس وقيل منهم قال تعالى ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم﴾ آية (١٣٠) الأنعام، وأن محمداً - ﷺ - رسول لهم وللإنس، قال تعالى ﴿قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فأمتنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ الآيات (٢-١)، الجن. انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١٩: ٩-٦٥، ٢٤: ٢٧٦، «زاد المعاد» ٤: ٦٦، «رسالة إيضاح الحق في دخول الجن في الإنسي» لابن باز، «الصحيح البرهان فيما يطرد الشيطان» ص ٥١، «عالم الجن والشياطين» ص ٥٤، ١٣٧، «المدرسة العقلية الحديثة» ص ٢٤١.

(١) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨، «النهاية» مادة «نفخ».

(٢) انظر «النهاية» مادة «نفث».

(٣) انظر «النكت والعيون» ١: ٤٨.

وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿١﴾ أي انتصروا للحق وأهله.

ولقد كان الشعر في صدر الإسلام من أقوى أسلحة الدعوة وأعظمها.

فمن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - قال: «اهجوا قريشاً، فإنه أشد عليهم من رشق بالنبل»، فأرسل إلى ابن رواحة، فقال: «أهجهم»، فهجاهم، فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بدنّبه، ثم أدلّع لسانه، فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق، لأفرينهم بلساني، فري الأديم. فقال رسول الله - ﷺ -: «لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسائها، وإن لي فيهم نسبا، حتى يلخص لك نسبي» فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يارسول الله، قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم، كما تسل الشعرة من العجين. قالت عائشة فسمعت رسول الله - ﷺ - يقول لحسان: «إن روح القدس، لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله» وقالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى».

قال حسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

هجوت محمدًا برأ تقياً... الخ (١)

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول لحسان بن ثابت: «اهجهم، أو هاجهم، وجبريل معك» متفق عليه (٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - «أن عمر مر بحسان، وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد، وفيه من هو خير منك. ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشدك الله! أسمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «أجب عني، اللهم أيده بروح القدس» قال: اللهم نعم. متفق عليه (٣).

وقد كان - ﷺ - ينشد مع أصحابه - رضوان الله عليهم - يوم الخندق:

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا (٤)

(١) أخرجه مسلم - في فضائل الصحابة - فضائل حسان بن ثابت - رضي الله عنه - حديث ٢٤٩٠، والبخاري في المغازي مختصراً جداً وليس فيه ذكر الشعر - حديث ٤١٤٥.

(٢) أخرجه البخاري - في بدء الخلق - باب ذكر الملائكة - حديث ٣٢١٣، ومسلم في فضائل الصحابة - فضائل حسان بن ثابت حديث ٢٤٨٦.

(٣) أخرجه البخاري - في بدء الخلق - باب ذكر الملائكة - حديث ٣٢١٢، ومسلم في فضائل الصحابة - فضائل حسان بن ثابت، حديث ٢٤٨٥.

(٤) أخرجه من حديث البراء - البخاري في الجهاد - باب حفر الخندق، حديث ٢٨٣٧، ومسلم - في الجهاد والسير - باب غزوة الأحزاب، حديث ١٨٠٣، وهذه الأبيات =

وكان يقول - أيضاً - يوم الخندق:

«اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة».

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً^(١)

وكان عليه الصلاة والسلام ينشد يوم حنين:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب^(٢)

ومما يدل على أهمية الشعر في صدر الإسلام، وأنه كان من أقوى أسلحة الدعوة، ما جاء في قصة الأعشى، عندما جاء ليسلم، حاملاً قصيدته المأثورة المشهورة:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمداً
وبت كما بات السليم مسهداً

والتي جاء فيها:

فأليت لا أرثي لها من كلاله
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم
نبيا يرى ما لا يرون وذكره
له صدقات ما تغب ونائل
ولا من حفى حتى تلاقي محمداً
تراحي وتلقي من فواضله نداً
أغار لعمرى في البلاد وأنجداً
وليس عطاء اليوم مانعه غداً

= لعامر ابن الأكوع. انظر «السيرة النبوية» لابن هشام ٢: ٣٢٨، «شرح أبيات مغني اللبيب» ٦: ٣٧-٣٩.

(١) أخرجه من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - البخاري - في الجهاد - باب الصبر عند القتال، حديث ٢٨٣٤، ومسلم - في الجهاد والسير، حديث ١٨٠٥.

(٢) أخرجه من حديث البراء - البخاري - باب من قاد دابة غيره في الحرب، حديث ٢٨٦٤، ومسلم في الجهاد والسير - باب غزوة حنين - حديث ١٧٧٦.

أجذك لم تسمع وصاة محمد نبي الإله حيث أوصى وأشهدا
 إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
 ندمت على ألا تكون كمثله وأنك لم ترصد لما كان أرصدا
 ... الخ.

فقد قابله المشركون، فعرضوا عليه أن يرجع تلك السنة وأعطوه
 مائة ناقة، وذلك اتقاء لسانه، وخوفاً أن يكون في جانب الدعوة إلى
 الله، فقبل ذلك، على أن يعود من العام القابل فيسلم، وفي رجوعه،
 سقط من دابته على رقبته، فمات^(١).

والخلاصة أن المعنى العام للاستعاذة بصيغها: أَلجأ إلى الله
 وأعتصم به وبأسمائه الحسنى وصفاته العلىا وكلماته التامة التي
 لا يجاوزهن بر ولا فاجر من الشيطان الرجيم، ونزغاته ووساوسه،
 وأسأل الله العصمة منه، والحفظ والصيانة والسلامة من جميع شرور
 الشيطان.

.....

(١) انظر «ديوان الأعشى» ص ١٨٥-١٨٧، «السيرة النبوية» ٢: ٢٦-٢٨، «الشعر والشعراء» ص ٢٧٥.

المبحث الخامس أحكام الاستعاذة

أ - مكان الاستعاذة من القراءة :

قال الله - تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١)

ظاهر الآية أن الاستعاذة محلها بعد القراءة .

وقد تمسك بهذا الظاهر بعض القراء، فنقل ذلك عن حمزة (٢)، وأبي حاتم السجستاني (٣)، ورؤي ذلك - أيضاً - عن أبي هريرة (٤) - رضي الله عنه -، ومحمد بن سيرين (٥)، وإبراهيم النخعي (٦)، وداود الظاهري (٧) وحكاه

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٢) انظر «غرائب القرآن» للنيسابوري ١: ١٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٢٩.

(٣) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٢٩.

(٤) انظر «التفسير الكبير» ٢٠: ١١٤، «المجموع» ٣: ٣٢٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٨، «تفسير ابن كثير» ١: ٢٩.

(٥) أخرج عبدالرزاق - في الصلاة - باب متى يستعذ - الأثر ٢٥٩٠، وابن أبي شيبة - في الصلوات - في التعوذ كيف هو ١: ٢٣٨ عن ابن سيرين أنه كان يتعوذ قبل أن يقرأ أم القرآن وبعد قراءتها.

(٦) أخرجه عن النخعي عبد الرزاق - في الصلاة - متى يستعذ حديث ٢٥٩٣ وانظر «المجموع» ٣: ٣٢٥، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٠.

(٧) انظر «التفسير الكبير» ١: ٥٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٨، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٠.

القرطبي^(١) وغيره عن مالك واستغرب ذلك ابن العربي^(٢).

واحتج بعضهم لهذا القول بأن الاستعاذة بعد القراءة تدفع الاعجاب بعد فراغ القراءة^(٣)، وتكون سببا للاستفادة من التلاوة، وحفظها وثباتها^(٤).

وجمهور أهل العلم والتحقيق على أن الاستعاذة مشروعة قبل القراءة، وأن معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٥) أي: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعد بالله، كقوله - تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(٦) أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة^(٦)، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾^(٧) أي: إذا أردتم القول، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^(٨) أي: إذا أردتم سؤالهن، فاسألوهن من وراء حجاب،

(١) في «تفسيره» ١: ٨٨، وانظر «التفسير الكبير» ٢٠: ١١٤.

(٢) انظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٣: ١١٧٥-١١٧٦.

(٣) انظر «التفسير الكبير» ١: ٥٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٢٩.

(٤) انظر «إغاثة اللهفان» ١: ١٤٨.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٦) انظر «المصنف» لعبد الرزاق - الصلاة - باب متى يستعذ - الآثار ٢٥٨٨ - ٢٥٩٣،

«تفسير الطبري» ١٤: ١٧٣، «أحكام القرآن» للجصاص ٣: ١٩١، «الإقناع في الفراءات

السبع» ١: ١٥٤، «أحكام القرآن» لابن العربي ٣: ١٧٥، «المحرر الوجيز» ١: ٤٨،

«زاد المسير» ١: ٧، «التفسير الكبير» ١: ٥٩-٦٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٦،

«التيان» للنووي ص ٦٤، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٠، ٣٢.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

وكقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَجْتُمْ الرِّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً﴾^(١) أي إذا أردتم مناجاة الرسول - ﷺ -^(٢).

قال القرطبي^(٣): «فأوقع الماضي، مكان المستقبل، كقول الشاعر:
وإني لأنيكم لذكر الذي مضى من الود واستئناف ما كان في غد^(٤)
أي ما يكون في غد.

وعلى هذا المعنى دلت السنة، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: الله أكبر كبيراً، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه»^(٥).

وهذا القول هو الصحيح.

قال الجصاص^(٦): «وقول من قال: إن الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة شاذ، وإنما الاستعاذة قبل القراءة، لنفي وساوس الشيطان عند القراءة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٢.

(٢) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ٣: ١٩١.

(٣) في «تفسيره» ١: ٨٦.

(٤) البيت للطرماح - انظر «ذيل ديوانه» ص ٥٧٢.

(٥) سبق تخريجه في الكلام على صيغ الاستعاذة في المبحث الأول، من هذا الفصل.

(٦) في «أحكام القرآن» ٣: ١٩١.

أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴿١﴾ ، فإنما أمر الله بتقديم الاستعاذة قبل القراءة لهذه العلة .

بل حُكي الإجماع عليه .

قال مكي في كتابه «الكشف عن وجوه القراءات السبع»^(٢) : «فإن قيل : فإن ظاهر النص أن يتعوذ القارئ بعد القراءة، لأنه قال ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ والفاء بعدما قبلها، تتبعه هو أصلها، فالجواب : أن المعنى على خلاف الظاهر، معناه : فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، ودل على ذلك الإجماع أن الاستعاذة قبل القراءة، ودليل هذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾^(٣) ، فوقع في ظاهر التلاوة أن مجيء البأس بعد الهلاك، وليس المعنى على ذلك، إنما معناه : وكم من قرية أردنا إهلاكها، فجاءها بأسنا . فمجيء البأس، بعد إرادة الهلاك، وقبل الهلاك، وكذلك التعوذ، المأمور به، يكون بعد إرادة القراءة، وقبل القراءة، على أصل الفاء .

وقد ضعف ابن الجزري^(٤) صحة المروي في هذا، عن حمزة وأبي حاتم، وأبي هريرة وابن سيرين والنخعي، في أنها بعد القراءة، وقال : «محلها قبل القراءة إجماعاً، ولا يصح قول بخلافه، عن أحد ممن

(١) سورة الحج، الآية : ٥٢ .

(٢) ٩ : ١ .

(٣) سورة الأعراف، الآية : ٤ .

(٤) في «النشر» ١ : ٢٥٤ ، وانظر : «المحلى» ٣ : ٥٠ ، «المسوط» ١ : ١٣ ، «أحكام القرآن»

لابن العربي ٣ : ١١٧٥-١١٧٦ ، تفسير ابن كثير ١ : ٣٠ .

يعتبر قوله» .

واتفق القراء، على مشروعية التعوذ، قبل البسملة، في ابتداء السور، واختلفوا فيما إذا ابتداء القارئ بوسط السورة، هل يتعوذ، أو يبسم، أو يجمع بينهما .

والصحيح أنه يتعوذ فقط . ويقف بعد الاستعاذة ثم يقرأ، ويجوز أن يصل الاستعاذة بالقراءة^(١) .

واستثنى بعض أهل العلم، مثل قوله - تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾^(٥) ، ونحوها من الآيات، نظرا لما في الاستعاذة قبلها من قبح اللفظ . قالوا: ففي مثل هذه المواضع يستعبد ثم يبسم^(٦) .

وهذا الاستثناء لا دليل عليه، بل الدليل على خلافه، لأن الأمر بالاستعاذة عام لكل قراءة للقرآن، من أي موضع منه كانت القراءة، والبسملة - على الصحيح - لا تشرع إلا في أول السورة . والتعليل بقبح

(١) انظر «التبصرة» ص ٢٤٦-٢٥٠، «الإقناع» ١: ١٥٤، «البرهان» ١: ٤٦٠، «النشر»

١: ١٥٧: ٢٦٥، «التسهيل لعلوم التنزيل» ١: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

(٤) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٤٧.

(٦) انظر «البرهان» ١: ٤٦٠، «النشر» ١: ٢٦٦.

اللفظ لا يكفي مسوغا للبسملة وسط السورة بلا دليل، لكن كما يشرع الوقف على كثير من آي القرآن لمراعاة اللفظ والمعنى، فكذلك ينبغي أن يقف القارئ بعد الاستعاذة ويسكت قليلا في مثل هذه المواضع المذكورة، وبهذا يزول القبح.

ب - حكمها عند قراءة القرآن، في الصلاة أو خارجها :

اختلف أهل العلم في حكم الاستعاذة عند القراءة .

فذهب بعض أهل العلم إلى أنها واجبة في الصلاة وخارجها^(١) .

منهم عطاء^(٢) ، واختاره ابن حزم في المحلى^(٣) ، وانتصر له .

وقد استدل من ذهب إلى هذا القول بظاهر الآية ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ

فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٤) .

قالوا فالأمر يقتضي الوجوب، كما استدلوا بمواظبة الرسول - ﷺ -

على التعوذ وتعليمه ذلك لأصحابه، وبأن شر الشيطان يجب دفعه بكل

وسيلة، وأعظم وسيلة لدفعه هي اللجوء إلى الله، والاستعاذة به من شر

الشيطان، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب^(٥) .

فعلى هذا إذا نسي القارئ أن يستعيد قطع القراءة فتعوذ، وابتدأ

من حيث وقف، وقيل من أول الحزب .

(١) انظر «المبسوط» ١ : ١٣ ، «التفسير الكبير» ١ : ٦٠ ، «الجامع لأحكام القرآن» ١ : ٨٨٧ ، «تفسير ابن كثير» ١ : ٣٢ ، «النشر» ١ : ٢٥٨ ، «المهذب في القراءات العشر» ١ : ٣٠ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في الصلاة - باب الاستعاذة في الصلاة حديث ٢٥٧٤ وذكره الجصاص ٣ : ١٩١ ، وابن حزم في «المحلى» ٣ : ٢٥٠ ، وابن كثير في «تفسيره» ١ : ٣٢ .

(٣) ٣ : ٢٤٧ ، ٢٥٠ .

(٤) سورة النحل، الآية : ٩٨ .

(٥) انظر «التفسير الكبير» ١ : ٦٠ ، «غرائب القرآن» ١ : ١٦ ، «تفسير ابن كثير» ١ : ٣٢ .

وجمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، على أن الاستعاذة مستحبة، قبل كل قراءة للقرآن، سواء كان ذلك في الصلاة، أو خارجها.

وهذا مروى عن ابن عمر، وأبي هريرة^(١)، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وابن سيرين، وإبراهيم النخعي، والأوزاعي، والثوري^(٢).

وهو قول أبي حنيفة، وأصحابه^(٣)، وأحمد بن حنبل، وأصحابه^(٤)، وإسحاق^(٥)، وهو الذي اختاره أكثر الشافعية، وصححوه عن الشافعي^(٦).

وحملوا الأمر في الآية: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٧) على الندب والاستحباب، كقوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٧) وقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ﴾^(٨).

وقد استدلووا لهذا القول بأن الرسول - ﷺ - يذكر كثيراً من الآيات

(١) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٥.

(٢) انظر «المغني» ٢: ١٤٥، «المجموع» ٣: ٣٢٥.

(٣) انظر «المبسوط» ١: ١٣، «فتح القدير» لابن الهمام ١: ٢٩١.

(٤) انظر «التحقيق» ١: ٢٩٠، «المغني» ٢: ١٤٥، «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٢.

(٥) انظر «المغني» ٢: ١٤٥، «المجموع» ٣: ٣٢٥.

(٦) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٥، ٣٢٦.

(٧) سورة النساء، الآية: ٣.

(٨) سورة النور، الآية: ٣٢. انظر «أحكام القرآن» للجصاص ٣: ١٩١ «الكشف عن وجوه

القراءات السبع» لمكي ١: ٩.

ضمن الأحاديث التي صحت عنه - وما نقل عنه - ﷺ - أنه كان يستعيز،
فدل هذا على أن الأمر هنا ليس للوجوب .

وقال الطبري^(١) : يستدل له بإجماع الجميع على عدم وجوبها^(٢) .

وقال السرخسي في «المبسوط»^(٣) بعد أن ذكر قول عطاء بوجوبها :
«وهو مخالف لإجماع السلف فقد كانوا مجمعين على أنها سنة» .

وقال ابن عطية^(٤) : «أجمعوا على استحسان ذلك والتزامه في كل
قراءة في غير الصلاة» .

وقال ابن هبيرة في «الافصاح»^(٥) : «واتفقوا على أن التعوذ في
الصلاة على الاطلاق قبل القراءة سنة إلا مالكا، فإنه قال : لا يتعوذ في
المكتوبة» .

وقال النووي في «التبيان»^(٦) : «ثم إن التعوذ مستحب وليس
بواجب، وهو مستحب لكل قارىء، سواء كان في الصلاة أو في
غيرها» .

وقال ابن كثير^(٧) : «وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة،

(١) انظر «تفسيره» ١٤: ١٧٣ طبعة عيسى الحلبي .

(٢) هذا فيه تسامح من الطبري رحمه الله في حكايته للإجماع كما هو معروف من منهجه .

(٣) ١٣: ١ .

(٤) في «تفسيره» ١: ٤٨، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٨-٨٧ .

(٥) ١: ١٢٥ . وانظر «التفسير الكبير» ٢٠: ١١٥ .

(٦) ص ٦٤-٦٥ . وانظر «المجموع» ٣: ٣٢٥، «لباب التأويل» ١: ١٠٠ .

(٧) في «تفسيره» ١: ٣٢، وانظر «البرهان» ١: ٤٦٠، «النشر» ١: ٢٥٧-٢٥٨ .

ليست بمتحمة، يأثم تاركها».

ومعلوم أن التعوذ إنما شرع للتلاوة المجردة، وشرع في الصلاة لأجل التلاوة^(١)، لا لأنه من واجبات الصلاة أو سننها، بل لأنه مستحب قبل قراءة القرآن مطلقا، لعموم قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٢) فذلك شامل للقراءة في الصلاة وفي غيرها.

وإذا قطع القراءة في غير الصلاة لعذر كعطاس أو كلام يتعلق بمصلحة القراءة فإنه لا يعيد الاستعاذة، وأما لو قطعها إعراضا عن القراءة، أو لكلام لا يتعلق بالقراءة، فإنه يستأنف الاستعاذة استحبابا^(٣).

ج - هل يتعوذ في الصلاة في كل ركعة، أو في الركعة الأولى فقط:

أكثر أهل العلم، على أن قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة، يكفي فيها الاستعاذة مرة واحدة، في الركعة الأولى.

منهم عطاء^(٣) والحسن البصري^(٤)

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢.

(٢) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٥، «البرهان» ١: ٤٦٠، «النشر» ١: ٢٥٩.

(٣) أخرجه عن عطاء عبد الرزاق - في الصلاة - باب الاستعاذة في الصلاة - حديث ٢٥٧٦، ٢٥٨٤، ٢٥٨٥، وانظر «أحكام القرآن» للجصاص ٣: ١٩١، «المجموع» ٣: ٣٢٦.

(٤) أخرجه عن الحسن عبد الرزاق - في الموضوع السابق - حديث ٢٥٨٧، وانظر «سنن البيهقي» ٢: ٣٦، «المحلى» ٣: ٢٤٩، «المجموع» ٣: ٣٢٦.

والنخعي^(١) والثوري^(٢) وابن سيرين^(٣) وطاوس^(٤)، وأبو حنيفة^(٥)،
والشافعي^(٦)، وأحمد في رواية عنه^(٧)

وإذا نسي أن يتعوذ في الركعة الأولى، تعوذ في الركعة الثانية عند
الشافعي^(٨). وقال الإمام أحمد «إن نسي التعوذ حتى شرع في القراءة
لم يعد إليه لذلك»^(٩).

واستدلوا بعموم قوله تعالى: ﴿فاستعذ بالله﴾.

وبحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله - ﷺ -
إذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة، ولم يسكت»^(١٠).

قال ابن القيم - رحمه الله - في «زاد المعاد»^(١١) بعدما ذكر الرواية
عن أحمد: «الاكتفاء باستعاذة واحدة أظهر - ثم استدل بحديث أبي

(١) أخرجه عن النخعي - عبدالرزاق - في الموضوع السابق حديث ٢٥٨٦، وانظر أحكام

القرآن للجصاص ٣: ١٩١، سنن البيهقي ٢: ٣٦٠ المجموع ٣: ٣٢٦.

(٢) ذكره عن سفيان الثوري - النووي في «المجموع» ٣: ٣٢٦.

(٣) ذكره عن ابن سيرين الجصاص ٣: ١٩١.

(٤) ذكره عن طاوس ابن حزم في «المحلى» ٣: ٢٤٩.

(٥) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ٣: ١٩١، «فتح القدير» لابن الهمام ١: ٢٩٠.

(٦) انظر «الأم» ١: ١٠٧، «المهذب» ١: ٧٩، «المجموع» ٣: ٣٢٢، «البيان» ص ٦٥،

«تفسير ابن كثير» ١: ٣٢.

(٧) انظر «المسائل الفقهية» ٣/ ١١٥-١١٦، «زاد المعاد» ١: ٢٤١-٢٤٢.

(٨) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٤.

(٩) «المغني» ٢: ١٤٥.

(١٠) أخرجه مسلم - في المساجد ومواضع الصلاة - باب ما يقال عند تكبيرة الإحرام

والقراءة - حديث ٥٩٩.

(١١) ١: ٢٤٢، وانظر «المبسوط» ١: ١٣-١٤.

هريرة ثم قال: «وإنما يكفي استعادة واحدة، لأنه لم يتخلل القراءتين سكوت، بل تخللها ذكر، فهي كالقراءة الواحدة، إذا تخللها حمد الله، أو تسييح، أو تهليل، أو صلاة على النبي - ﷺ - ونحو ذلك».

وعلى هذا فيكتفي المصلي بالاستعادة في الركعة الأولى، ثم يسمل، ويقرأ الفاتحة، فإن قرأ بعدها من أول سورة بسمل فقط، وإن قرأ من وسط السورة تركهما معاً، أما في بقية الركعات فيسمل مع الفاتحة، وفي أول السورة فقط، ولا يستعيد، لا مع الفاتحة ولا مع ما يقرأ بعدها.

وذهب بعض العلماء إلى أن المصلي يتعوذ في كل ركعة، لأن كل ركعة لها قراءة مستقلة.

وهو مروى عن النخعي^(١) وابن سيرين^(٢).

وهو أحد الوجهين عند الشافعية^(٣)، بل صححه بعضهم.

قال النووي في «التيان»^(٤): «ويستحب التعوذ في الصلاة في كل ركعة على الصحيح من الوجهين عند أصحابنا». وهو رواية عن الإمام أحمد^(٥). واختاره ابن حزم في

(١) انظر «المحرر الوجيز» ٤٨: ١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٦.

(٢) أخرجه عن ابن سيرين عبدالرزاق في الصلاة - باب متى يستعيد - حديث ٢٥٩١، وانظر «المحلى» ٣: ٢٤٩.

(٣) انظر «الأم» ١: ١٠٧، «المهذب» ١: ٧٩، «المجموع» ٣: ٣٢٢-٣٢٦.

(٤) ص ٦٥

(٥) انظر «المسائل الفقهية» ص ١١٥/٣-١١٦، «زاد المعاد» ١: ٢٤١-٢٤٢.

«المحلى»^(١).

وذهب الإمام مالك إلى أنه لا يتعوذ الرجل في المكتوبة، ولكن يتعوذ في قيام رمضان، وفي رواية في النافلة^(٢).

د - حكم الجهر بها، أو الإسرار:

أما في غير الصلاة فذهب جمهور القراء إلى أن القارئ يجهر بالاستعاذة.

قال مكّي في «التبصرة»^(٣): «المختار لجميع القراء، المعول عليه، أن يبدأ بأعوذ بالله من الشيطان الرجيم» يعني جهراً.

وذهب بعض القراء إلى أن القارئ يُسر بالاستعاذة.

وهو مروى عن حمزة^(٤)، ونافع^(٥)، وقيل: إن نافعاً لا يتعوذ^(٦).

قال مكّي في «الكشف عن وجوه القراءات السبع»^(٧) بعدما ذكر

(١) ٣: ٢٤٧.

(٢) انظر «المدونة» ١: ٦٤، «المحرر الوجيز» ١: ٤٨، «أحكام القرآن» لابن العربي ٣: ١١٧٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٦.

(٣) ص ٢٤٦، وانظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١: ١١، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٣، «المحرر الوجيز» ١: ٥٠، «النشر» ١: ٢٥٢-٢٥٤، «التسهيل لعلوم التنزيل» ١: ٣٠.

(٤) انظر «التبصرة» ص ٢٤٥، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٢، «النشر» ١: ٢٥٢.

(٥) انظر «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٢.

(٦) انظر «التبصرة» ص ٢٤٥، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١: ١٢، «النشر» ١: ٢٥٢، ٢٥٣.

(٧) ١: ١١.

القول بالإسرار: «لثلاث يظن ظان أو يتوهم متوهم أنه من القرآن، أو أنه فرض لازم».

أما الذين اختاروا الجهر بها فقالوا: قد عَلِمَ يقينا أنها ليست من القرآن، فلا محذور في الجهر بها، وهو أولى لإغاطة الشيطان، ودفع وساوسه، وتعليم الجاهل، وتذكير المستمع إلى غير ذلك من فوائد الجهر بها.

وأما حكم الجهر بها في الصلاة

فذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من القراء والفقهاء إلى مشروعية الإسرار بالاستعاذة في الصلاة: منهم الخلفاء الأربعة^(١)، وعبدالله بن عمر^(٢)، وعبدالله بن مسعود^(٣)، وإبراهيم النخعي^(٤).

وبه قال أبو حنيفة^(٥)، وأحمد بن حنبل^(٦)، وهو وجه في مذهب

(١) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢: ٤٠٥، وانظر «المحلى» ٣: ٢٤٩.

(٢) أخرجه عن ابن عمر الشافعي في «الأم» ١: ١٠٧، والبيهقي في الصلاة - باب الجهر بالتعوذ والإسرار به. من طريق الشافعي ٢: ٣٦.

(٣) انظر «المحلى» ٣: ٢٤٩.

(٤) أخرجه عن النخعي عبدالرزاق - في الصلاة - باب ما يخفي الإمام - الأثر ٢٥٩٦-٢٥٩٧، وانظر «المحلى» ٣: ٢٤٩.

(٥) انظر «المبسوط» ١: ١٣، «فتح القدير» لابن الهمام ١: ٢٩١.

(٦) انظر «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص ٧٦، «المغني» ٣: ١٤٦، «النشر» ١: ٢٥٤.

الشافعي^(١)، وقول مالك في قيام الليل^(٢).

وذهب بعض أهل العلم إلى الجهر بالاستعاذة في الصلاة وهو مروى عن أبي هريرة^(٣).

وهو اختيار الشافعي في «الإملاء»^(٤) قال: «يجهر بالتعوذ، وإن أسر فلا يضر».

وقال بعضهم بالتخيير بين الجهر والإسرار. وهو وجه في مذهب الشافعي^(٥).

قال ابن أبي ليلى: «الإسرار والجهر سواء، هما حسنان»^(٦).

والصحيح من أقوال أهل العلم، الإسرار بها، وعدم الجهر، إلا لحاجة كتعليم ونحوه.

قال السرخسي^(٧): «لأن الجهر بالتعوذ لم ينقل عن رسول الله - ﷺ -، ولو كان يجهر به لنقل نقلا مستفيضا...».

(١) انظر «الأم» ١: ١٠٧، «المهذب» ١: ٧٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢.

(٢) انظر «النشر» ١: ٢٥٤.

(٣) أخرجه عن أبي هريرة - الشافعي - في «الأم» ١: ١٠٧، والبيهقي في الصلاة - الجهر بالتعوذ والإسرار به من طريق الشافعي ٢: ٣٦، وانظر «المهذب» ١: ٧٩، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٠٥.

(٤) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٤، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢، «النشر» ١: ٢٥٣-٢٥٤.

(٥) انظر «الأم» ١: ١٠٧، «المجموع» للنووي ٣: ٣٢٤، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٢، «النشر» ١: ٢٥٣.

(٦) انظر «المجموع» ٣: ٣٢٦.

(٧) في «المبسوط» ١: ١٣.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١): «الجهر بالتعود أحياناً للتعليم ونحوه لا بأس به، كما كان عمر بن الخطاب، يجهر بدعاء الاستفتاح مدة^(٢)... وأما المداومة على الجهر بذلك، فبدعة، مخالفة لسنة رسول الله - ﷺ - وخلفائه الراشدين، فإنهم لم يكونوا يجهرون بذلك دائماً، بل لم ينقل أحد عن النبي - ﷺ - أنه جهر الاستعاذة والله أعلم». وقال ابن الجزري^(٣) «المختار في الصلاة الاخفاء».

ولكن إذا جهر الإمام ولم يسكت، فهل يستعيد المأموم، أولاً، فيه قولان لأهل العلم، وهما روايتان عن الإمام أحمد^(٤)، القول الأول يستعيد، والثاني لا يستعيد. قال ابن تيمية^(٥) «وهو أصح، وهو قول أكثر العلماء كذلك والشافعي، وكذا أبو حنيفة فيما أظن».

قلت وقد اختار القول الأول بأنه يستعيد كما ييسمل - وإن لم يسكت الإمام - تبعاً لقراءة الفاتحة بعض أهل العلم^(٦).

(١) في «مجموع الفتاوى» ٤٠٥: ٢٢.

(٢) أخرج مسلم - في الصلاة - حديث ٢٩٩ - عن عبدة أن عمر بن الخطاب، كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك». كما جهر ابن عباس في قراءة الفاتحة في صلاة الجنائز، وقال «لتعلموا أنها سنة» أخرجه البخاري - في الجنائز حديث ٦٢٣٥.

(٣) في «النشر» ١: ٢٥٣، ٢٥٤. وانظر «غرائب القرآن» للسياجوري ١: ١٦.

(٤) انظر «المسائل الفقهية» ١: ١١٦.

(٥) في «مجموع الفتاوى» ٣٤١: ٢٢. وانظر ٢٨٠-٢٨٢.

(٦) انظر ما يأتي ص ١٣٦.

المبحث السادس

المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة

تشرع الاستعاذة في مواضع كثيرة منها مايلي :

١- عند قراءة القرآن، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

٢- عند حصول نزع من الشيطان، ووسوسة للإنسان، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤) . وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (٥) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ (٦) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٦) .

٣- عندما يوسوس الشيطان للمسلم في معتقده بربه . فعن أبي

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٩٨-٩٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» متفق عليه^(١).

٤- عندما يلبس الشيطان، على الإنسان في صلاته.

فعن عثمان بن أبي العاص - رضي الله عنه - أنه أتى النبي - ﷺ - فقال: يارسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي، وقراءتي، يلبسها عليّ فقال رسول الله - ﷺ -: «ذاك شيطان، يقال له خنزب، فإذا أحسسته، فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عني» رواه مسلم^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان، وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي النداء، أقبل، حتى إذا ثُوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قُضي الثيوب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى» متفق عليه^(٣).

٥- عند الغضب، فقد أخرج البخاري ومسلم عن سليمان بن صرد - رضي الله عنه -، قال: استب رجلان عند النبي - ﷺ - ونحن عنده

(١) أخرجه البخاري في - بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده - حديث ٣٢٧٦ ومسلم في الإيمان - باب بيان الوسوسة في الإيمان - الحديث ١٣٤.

(٢) في السلام - باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة - حديث ٢٢٠٣.

(٣) أخرجه البخاري - في الأذان - باب فضل التأذين - حديث ٦٠٨، ومسلم في الصلاة - فضل الأذان حديث ٣٨٩.

جلوس، وأحدهما يسب صاحبه، مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي - ﷺ - «إني لأعلم كلمة لو قالها، لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي - ﷺ - فقال: إني لست بمجنون»^(١).

٦- عندما يرى الإنسان رؤيا يكرهها، فعن أبي قتادة - رضي الله عنه -، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه، فلينفث عن يساره ثلاثاً، ويتعوذ بالله من شرها، فإنها لن تضره»، وفي رواية: «وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها...»، فإنها لن تضره» متفق عليه^(٢).

وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليصق عن يساره، وليتعوذ بالله من الشيطان، ويتحول عن جنبه الذي كان عليه» رواه مسلم^(٣).

٧- عند دخول المسجد. فعن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي - ﷺ - أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»^(٤).

(١) سبق تخريجه في الكلام على صيغ الاستعاذة في المبحث الأول، من هذا الفصل.
 (٢) أخرجه البخاري - في بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده - حديث ٣٢٩٢، ومسلم - في أول كتاب الرؤيا - حديث ٢٢٦١.
 (٣) في الرؤيا - حديث ٢٢٦٢، وكذا رواه أبو داود - في الأدب - باب ما جاء في الرؤيا - حديث ٥٠٢٢، وابن ماجه - في تعبير الرؤيا - من رأى رؤيا يكرهها - حديث ٣٩٠٨.
 (٤) أخرجه أبو داود - في الصلاة - باب فيما يقوله الرجل عند دخول المسجد حديث ٤٦٦ وصححه الألباني حديث ٤٤١.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا دخل أحدكم المسجد، فليسلم على النبي - ﷺ -، ثم ليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي، وليقل اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم»^(١).

٨- عند سماع نهيق الحمار، وتُبأخ الكلاب. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي قال: «إذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطانا» متفق عليه^(٢).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - «إذا سمعتم تَبأخ الكلاب، ونهيق الحمر بالليل فتعوذوا بالله فإنهن يرين مالا ترون» رواه أبو داود^(٣).

٩- عند نزول منزل. فعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من نزل منزلا، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات، من شر ما خلق، لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك» رواه

(١) أخرجه ابن ماجه في الصلاة - باب الدعاء عند دخول المسجد حديث ٧٧٣ وضححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق - باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال حديث - ٣٣٠٣، ومسلم - في الذكر - باب استحباب الدعاء عند صياح الديكة - حديث ٢٧٢٩.

(٣) في الأدب - باب نهيق الحمير وتُبأخ الكلاب - حديث ٥١٠٣، وضححه الألباني، حديث ٤٢٥٦.

مسلم^(١).

١٠- عند دخول الخلاء - فعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان النبي - ﷺ - إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»^(٢).

١١- عندما يجد الإنسان وجعاً في جسده.

فعن عثمان بن أبي العاص أنه شكاً إلى رسول الله - ﷺ - فقال له رسول الله - ﷺ -: «ضع يدك على الذي يألم من جسدي، وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» رواه مسلم^(٣).

١٢- عند الصباح والمساء وعند النوم.

عن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال يارسول الله مُرني بكلمات أقولهن، إذا أصبحت، وإذا أمسيت، قال «قل اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بالله من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه. قال: قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»^(٤).

- (١) في - الذكر والدعاء - باب التعوذ من سوء القضاء ودرء الشقاء - حديث ٢٧٠٨.
 (٢) أخرجه البخاري - في الوضوء - باب ما يقول عند الخلاء - حديث ١٤٢، ومسلم في الحيض، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء - حديث ٣٧٥.
 (٣) في السلام - باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، حديث ٢٢٠٢.
 (٤) أخرجه أبو داود - في الأدب - باب ما يقول إذا أصبح حديث ٥٠٦٧، والترمذي في الدعوات حديث ٣٣٩٢، وأحمد ٢: ٢٩٧، وصححه الألباني.

١٣- عند الفزع من النوم.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا فزع أحدكم من النوم، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون»^(١).

١٤- كما يشرع للمسلم أن يعوذ أولاده.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي - ﷺ - يعوذ الحسن والحسين، ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» رواه البخاري^(٢).

إلى غير ذلك من المواضع والأوقات، التي تتأكد فيها مشروعية الاستعاذة. قال الله - تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾^(٣) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ^(٤).

قال ابن زيد: «في كل شيء من أمري»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود - في الطب - حديث ٣٨٩٣، والترمذي - في الدعوات حديث ٣٥٢٨ وصححه الألباني.

(٢) في الأنبياء - باب (١٠) - حديث ٣٣٧١، وأخرجه أبو داود - في السنة - باب في القرآن حديث ٤٧٣٧، والترمذي - في الطب - حديث ٢٠٦٠، وابن ماجه - في الطب، حديث ٣٥٢٥، وأحمد ١: ٢٣٦، ٢٧٠.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٨-٩٧.

(٤) أخرجه الطبري ١٨: ٥١ - الطبعة الثالثة.

المبحث السابع

بيان أن شيطان الجن أعظم ضرراً من شيطان الإنس ومن النفس «المذمومة»

أ- شيطان الجن أعظم ضرراً من شيطان الإنس

قال ابن كثير^(١) في كلامه على الاستعاذة: «وهي استعاذة بالله، واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز، عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني، الذي لا يقدر على منعه، ودفعه إلا الله، الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة، ولا يدارى بالإحسان، بخلاف العدو من نوع الإنسان، كما دلت على ذلك آيات من القرآن، في ثلاث من المثاني، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^(٢).

وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري، فمن قتله العدو الظاهر البشري كان شهيداً، ومن قتله العدو الباطني كان طريداً، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجوراً، ومن قهره العدو الباطني، كان مفتوناً، أو موزوراً، ولما كان الشيطان، يرى الإنسان من حيث لا يراه، استعاذ منه بالذي يراه، ولا يراه الشيطان»^(٣).

(١) في «تفسيره» ١: ٣٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٣) انظر «غرائب القرآن» ١: ٢٢-٢٣.

وقال ابن كثير - أيضاً^(١) - : «فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمر - تعالى - بمصانعة شيطان الإنس، ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن، لأنه لا يقبل رشوة، ولا يؤثر فيه جميل، لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه، وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن، لا أعلم لهن رابعة: قوله: ﴿ خُذِ الْعَوَامِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٢) فهذا مما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر، ثم قال: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣)، وقال تعالى في سورة: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ مَنْ أَعْلَمَ بِمَا يَصِفُونَ ﴾^(٤) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٥﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٦﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾^(٥) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٦﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾^(٥)

قال ابن الجزري^(٦):

- (١) في «تفسيره» ١: ٣٣، وانظر «إغاثة اللهفان» ١: ١٥٥.
- (٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
- (٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.
- (٤) سورة المؤمنون، الآية: ٩٦-٩٨.
- (٥) سورة فصلت، الآية: ٣٤-٣٦. انظر أيضا ١: ٢٩ من تفسير ابن كثير، وانظر أيضا كلامه في تفسير الآيات المذكورة من سورة الأعراف. وانظر «النشر» ١: ٢٥٦.
- (٦) في «النشر» ١: ٢٥٧.

شيطاننا المغوي عدو فاعتصم بالله منه والتجى وتعوذ
وعدوك الإنسان دارٍ وداده تملكه وادفع بالتى فإذا الذى
فشيطان الإنس، قد ينفع فيه العفو، أو الأمر بالمعروف، أو
الإعراض، أو الإحسان. أما شيطان الجن، فلا يعصم منه إلا الاستعاذة
بالله منه، لأن شيطان الجن متسلط، لا يريد إلا إغواء الإنسان،
وإهلاكه، وهو خفى لا يرى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَرَنكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ
حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾^(١). ولأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما قال - ﷺ -
- «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»^(٢).

فأمره خطير، وكيده عجيب^(٣)، فهو يتدرج بالإنسان - إن وجد
سبيلا إليه - حتى يوقعه بالكفر ويكبه في النار. قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ
الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا
الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَهُّمًا أَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّا نَدْعُوهُمُ إِلَى الْهُدَى لَأَتَيْنَهُمُ الْهُدَى مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنَّا لَهُمْ عَاقِبَةً ﴾^(٥).

وإن لم يستطع إيصاله إلى الكفر، بل إلى أعظم دركاته، فإنه

- (١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
- (٢) أخرجه البخاري في الاعتكاف، وفي بدء الخلق حديث ٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩،
٣٢٨١، ومسلم - في السلام - حديث ٢١٧٥ من حديث صفية في قصة مجيئها إلى
النبي ﷺ، وهو معتكف وخروجه معها ليوصلها إلى البيت، وأخرجه - أيضا - مسلم
من حديث أنس حديث ٢١٧٤.
- (٣) من أجود ما ألف في مكائد الشيطان ما كتبه ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان»
١: ١٦٣ وما بعدها. وانظر «التفسير القيم» ص ٦٠٩-٦١٤. وانظر «تلييس إبليس» لابن
الجوزي.
- (٤) سورة الحشر، الآية: ١٦.
- (٥) سورة مريم، الآية: ٨٣.

لا يكف حتى يوصله إلى أقصى حد يمكنه إيصاله إليه، ولو كان دون الكفر، فيوقعه في البدعة، فإن لم يستطع أوقعه في الكبائر، فإن لم يستطع أوقعه في الصغائر، فإن لم يستطع ثبطه عن الطاعات وشغله بالمباحات، فإن لم يستطع شغله بالمفضول عن الفاضل، فإن لم يستطع ذلك أتاه من باب الإعجاب والكبر والرياء، وهذا - في الغالب - مدخله على كثير من العباد والعلماء وذوي الجاه والسلطان والكرم والشجاعة ونحوهم، فليحذر العاقل اللبيب، من ذلك فإن الشيطان عندما يعجز عن حملته على ترك واجب أو انتهاك محرم ظاهر، فإنه يأتيه من هذا المدخل الخفي فيحبط عمله، وهو لا يدري. فإن لم يدرك منه شيئاً من هذه المراتب وأعيته فيه الحيل سلط عليه حزبه من شياطين الإنس والجن يبدعونه ويفسقونه ليشوش عليه قلبه ويمنع الناس من الانتفاع به فيبقى في مدافعة وتسلط هؤلاء الشياطين لايفتر حتى يأتيه من ربه اليقين^(١).

ب - الشيطان أعظم ضرراً على الإنسان من النفس «المذمومة»^(٢)، بل إن النفس المذمومة كل ما يحصل منها من شر وفساد، إنما هو بسبب تزيين الشيطان، ووسوسته، لأنها مركب الشيطان، والأداة لتنفيذ شره، ولهذا أكثر الله في القرآن الكريم من ذكر الشيطان، وذمه، والتحذير منه، في مواضع كثيرة جداً. وأمر بالاستعاذة منه عند قراءة القرآن. بينما ذكر النفس المذمومة في ثلاثة مواضع فقط، في قوله -

(١) انظر «بدائع الفوائد» ١: ٢٦٠-٢٦٢.

(٢) انظر «إغاثة اللهفان» ١: ١٤٥.

تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ
اللَّوَّامَةِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٣).

ولم يأمر بالاستعاذة منها في موضع واحد من القرآن، وإنما جاءت
الاستعاذة من شرها بالسنة، كما في حديث أبي هريرة، في تعليم النبي
- ﷺ - لأبي بكر كلمات يقولهن إذا أصبح، وإذا أمسى، وإذا أخذ
مضجعه، وفيهن أمره - ﷺ - له أن يقول «أعوذ بالله من شر نفسي»^(٤).

وفي خطبة الحاجة كما في حديث ابن مسعود قال: علمنا رسول
الله - ﷺ - خطبة الحاجة: «إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من
شرور أنفسنا... الحديث»^(٥).

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٢.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٤٠.

(٤) سبق تخريجه في المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة المبحث السادس.

(٥) رواه أبو داود - في النكاح - خطبة النكاح - حديث ٢١١٨ وصححه الألباني حديث

المبحث الثامن

السبيل للخلاص من شر الشيطان ومكايده

ابتلى الله آدم وذريته، بعداوة إبليس لهم، عداوة متأصلة، قديمة منذ أن تكبر عن السجود لآدم وحسده، وتسبب في إخراجه من الجنة، قال الله - تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْنَكَمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهْمًا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (١). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١﴾﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿أَفْتَسَخَدُونَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٤﴾﴾

وقد أقسم - لعنه الله - على أنه سيعمل جاهدا على إغواء بني آدم، فقال: ﴿فِعْرَنِكَ لِأَعْوِيَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (٥)، وقال - أيضاً: - ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (٦)، وقال: ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١﴾﴾ (٧).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٥) سورة ص، الآية: ٨٢-٨٣.

(٦) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٦.

وقد جعل الله له سلطانا على الذين يتولونه، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ﴾ (٢).

وقد اطلب أن يُنظر إلى يوم القيامة، فأعطاه الله ذلك، ابتلاء واختبارا للعباد، فقال تعالى: ﴿فَأِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ (٣) إلى يومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨)﴾ (٣).

وهو ساع بكل الوسائل والحيل، إلى إغواء بني آدم، وإهلاكهم، فعلى المسلم أن يحذر من هذا العدو، وأن يعلم أن أسباب الخلاص منه، وأسباب حفظ الله للعبد من شر الشيطان ومكايده تتلخص فيما يلي:-

أولاً: بالإيمان والعمل الصالح، ولزوم الكتاب والسنة، وطاعة الله - تعالى - والتوكل عليه، قال الله - تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (٥).

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٣٨، وسورة ص، الآية: ٨١.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٩.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٦٥.

وعن جندب بن عبدالله قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله...» الحديث رواه مسلم^(١) ومفهوم هذا الحديث، وأمثاله أن من لم يصل الصبح فليس في ذمة الله، بل هو عرضة لتخبط الشيطان. وهكذا - بلا شك - كل تقصير في أداء ما أوجب الله - تعالى، فهو سبب لفقدان الأمان، الذي وعد الله به أهل الإيمان^(٢)، ومقرب من المخاوف ومصائد الشيطان.

ثانياً: البعد عن معاصي الله لأن ما يصيب الإنسان من مصائب، ومنها تسلط الشيطان، فهو بسبب الذنوب والمعاصي. قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٤)

فينبغي تطهير القلب والنفس والجوارح عن كل ما نهى الله عنه، من الاعتقادات والأعمال التي تكون مجلبة للشيطان وسبباً لبعد الملائكة عن الإنسان.

كالتعلق بالغناء والمزامير، قال تعالى مخاطباً الشيطان: ﴿وَأَسْتَفْرِزْ

(١) في المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة حديث

٦٥٧

(٢) كما في الحديث السابق، وكما في قوله - تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ

أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّسْتَبَدُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية: ٨٢..

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الروم، الآية: ٤١.

مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴿١﴾ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «الجرس مزامير الشيطان» رواه مسلم ^(٢) .

وكاقتناء الصور والتماثيل والكلاب . فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن جبريل قال للنبي - ﷺ - : «إنا لا ندخل بيتاً فيه صور ولا كلب» رواه البخاري ^(٣) .

عن أبي طلحة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل» متفق عليه ^(٤) .

وكاقتناء الصليب، فعن عائشة - رضي الله عنها - «أن النبي - ﷺ - لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه» ^(٥) .

إلى غير ذلك من المعاصي الظاهرة والباطنة التي ينبغي البعد عنها والحذر منها .

ثالثاً: الاستعاذة بالله من الشيطان وهمزاته ووساوسه، وجميع شروعه، والحذر منه، والاعتصام بالله - تعالى - والالتجاء إليه،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٤ .

(٢) أخرجه مسلم - في اللباس - باب كراهة الكلب والجرس في السفر - حديث ٢١١٣-٢١١٤ . وأخرج أبو داود - في الخاتم - باب في الجلالجل - حديث ٤٢٣١ عن عائشة قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جرس» وحسنه الألباني .

(٣) في بدء الخلق حديث ٣٢٢٧ .

(٤) أخرجه البخاري في بدء الخلق حديث ٣٢٢٥، ومسلم في اللباس حديث ٢١٠٦ .

(٥) أخرجه البخاري - في اللباس - باب نقض الصور، حديث ٥٩٥٢ .

بالألفاظ التي صحت في الاستعاذة، وبالمعوذتين، فإنه ما تعود متعود بمثلهما. وملازمة ذلك في جميع المواضع والأوقات التي شرع فيها التعود - مع الاعتقاد الجازم بأن النفع والضرر بيد الله، وأنه - جل وعلا - هو القادر على دفع شر الشيطان، مع قوة الاعتماد على الله والثقة به، وتيقن أن كيد الشيطان ضعيف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (١)، فغاية ما عنده الوسوسة كما قال - ﷺ - «الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة» (٢).

ومع أن له تسلطا على بني آدم، فهو لا يعلم الغيب، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُوفُونَ﴾ (٦)، وأيضا - وكما تقدم - فليس له سلطان

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٢) أخرجه أبو داود - في الأدب - باب في رد الوسوسة حديث ٥١١٢ - من حديث ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه، يعرض بالشئ، لأن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به فقال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة». وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، حديث ٤٢٦٤، وأخرجه الإمام أحمد ١: ٣٤٠.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٤.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٢١٢.

على الذين آمنوا. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (١).

وتسلطه على كثير من المسلمين، وتزيينه لهم المعاصي، إنما هو بسبب ضعف إيمانهم ووقوعهم في المعصية، المؤدية بهم إلى ما هو أعظم منها، كما قال تعالى عن الكفار: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (٣) وقال - ﷺ -: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» (٤): أي أن إيمانه يضعف فيتسلط عليه الشيطان فيوقعه في الزنا والمعاصي المذكورة في الحديث، وغيرها.

رابعاً: ملازمة قراءة القرآن فذلك مما يحصن المسلم ويحفظه بإذن الله من الشياطين. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَتَوَّأَىٰ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ سَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٦). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» رواه مسلم (٧). وإذا نفر الشيطان حفت

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.

(٣) سورة الصف، الآية: ٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه في الفتن - باب حرمة دم المؤمن وماله - حديث ٣٩٣٦، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وصححه الألباني.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٦.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

(٧) في صلاة المسافرين - حديث ٧٨٠.

الملائكة بالإنسان، كما في حديث أبي سعيد الخدري في قصة أسيد بن حضير حين قام يقرأ القرآن، فجالت فرسه، وفيه ذكر شهود الملائكة لقراءته^(١).

خامساً: ملازمة الأذكار والأدعية والأوراد الموظفة اليومية كأدعية الصباح والمساء والنوم وغيرها. قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢). فإن ملازمة هذه الأذكار، مما يحفظ الله به المسلم من الشيطان. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٣).

وفي حديث أبي هريرة في قصة مجيء الشيطان إليه عندما كان يحرس الطعام وفيه «إذا أويت إلى فراشك، فاقراء آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان، حتى تصبح» رواه البخاري^(٤).

وفي حديث أبي مسعود الأنصاري، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من قرأ الآيتين، من آخر سورة البقرة كفتاه» متفق عليه^(٥).

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن - حديث ٥٠١٨، ومسلم في صلاة المسافرين حديث ٧٩٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٤) أخرجه البخاري في بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده حديث ٣٢٧٥.

(٥) أخرجه البخاري - في المغازي - حديث ٤٠٠٨، ومسلم في صلاة المسافرين حديث ٨٠٨.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك، حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك» متفق عليه^(١).

وكما في حديث أبي هريرة من أن الشيطان إذا سمع الأذان أدبر وله ضراط^(٢).

سادساً: أن يجعل المسلم شيئاً من صلاة النوافل في بيته، بل الأولى أن تكون النوافل كلها في البيت لقوله - ﷺ -: «أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة» متفق عليه^(٣).

وذلك أن صلاة النوافل في البيت مما يطرد الشيطان، ولهذا قال: - ﷺ -: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً» متفق عليه^(٤).

وذلك لأن المقابر، والأماكن الخربة، والمستقدرة، مساكن

- (١) أخرجه البخاري - في بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده حديث ٣٢٩٣، ومسلم - باب الذكر - باب فضل التهليل، حديث ٢٦٩١.
- (٢) سبق تخريجه في المواضع التي تشرع فيها الاستعاذة في المبحث السادس.
- (٣) أخرجه من حديث زيد بن ثابت البخاري - في الأذان - باب صلاة الليل حديث ٧٣١، ومسلم في صلاة المسافرين - باب استحباب صلاة النافلة في بيته حديث ٧٨١.
- (٤) أخرجه من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - البخاري في التهجد - باب التطوع في البيت حديث ١١٨٧، ومسلم في صلاة المسافرين حديث ٧٧٧.

الشياطين، حيث تخلو هذه الأماكن من ذكر الله.

سابعاً: الإمساك عن فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الأنام فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب^(١). فهذا مجمل الأسباب التي بها يخضع الله الإنسان، ويحفظه من شر الشيطان ومكائده، والتي تبين بها ضعف كيد الشيطان أمام قوة الإيمان والاعتصام بالملك الديان.

وبهذا يرد على الذين يُسهولون من أمر الشيطان سواءً كان ذلك منهم عن جهل مع حسن النية والمعتقد أو كانوا ممن ابتلوا بخدمة هؤلاء الشياطين لأغراض مادية ونحو ذلك ولو كان ذلك على حساب دينهم، حتى صار فئام من الناس يتخوفون من الشياطين ويصدقونهم ويعتقدون فيهم ما لا يجوز اعتقاده من أنهم يعلمون الغيب. ويستطيعون أن يفعلوا، وأن يفعلوا، وهذا باطل، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿قُلِ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^(٥).

(١) انظر «بدائع الفوائد» ٢: ٢٦٧ وما بعدها.

(٢) سورة سبأ، آية: ٢٢.

(٣) سورة النمل، آية: ١٧٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٧٥.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٦٥.

الفصل الثاني

البسمة: معناها، وأحكامها.

وفيه تسعة مباحث.

المبحث الأول: لفظ البسمة، وإعرابها.

أ- لفظها.

ب- إعرابها.

المبحث الثاني: معنى البسمة.

المبحث الثالث: هل البسمة آية مستقلة من القرآن الكريم، أو من

سورة الفاتحة، أو من كل سورة سوى «براءة»، أو

ليست بآية؟.

المبحث الرابع: السبب في عدم كتابة البسمة في مطلع سورة براءة.

المبحث الخامس: حكم قراءة البسمة في غير الصلاة.

المبحث السادس: حكم قراءة البسمة في الصلاة.

المبحث السابع: حكم البسمة من حيث الجهر بها والإسرار في

الصلاة، أو خارجها.

المبحث الثامن: المواضع التي تشرع فيها البسمة.

المبحث التاسع: فوائد البسمة، والأحكام التي تضمنتها.

المبحث الأول لفظ البسمة، وإعرابها

أ - لفظها.

لفظ البسمة المشروع هو: بسم الله الرحمن الرحيم عند جميع القراء^(١)، وباتفاق أهل العلم. فلا يصح أن يقال عند القراءة: باسمك اللهم اقرأ، ولا عند الذبح: باسمك اللهم أذبح...، ولا يصح استبدال لفظ الجلالة «الله» ولا اسمي «الرحمن»، «الرحيم» بغيرها من أسمائه - جل وعلا.

ب - إعرابها

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

بسم الله: الباء حرف جر.

اسم: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، وحذفت منه الألف لفظاً وخطاً، تخفيفاً لكثرة الاستعمال^(٢)، ولا تحذف إلا مع لفظ الجلالة، ولهذا أثبتت في قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمَائِكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٣).

(١) انظر «الإقناع» ١: ١٦٣.

(٢) قالوا: وطولت الباء في البسمة في القرآن الكريم تعظيماً لكتاب الله عز وجل، وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء، ليدل على السقوط، وقيل طولت تقليداً لكتاب نبي الله سليمان عليه السلام إلى بلقيس. والله أعلم.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للفراء ١: ١-٢، «مشكل إعراب القرآن» لمكي =

وهو نائب عن المصدر «تسمية» كقول القطامي^(١):
 أكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا
 أي بعد إعطائك، فأنا ب «عطاء» عن المصدر «إعطاء»^(٢) وهذا كثير
 في اللغة.

والجار والمجرور في محل نصب متعلقان بفعل محذوف^(٣).
 قدّره الكوفيون متقدماً، نحو: أَبْتَدَى بِاسْمِ اللَّهِ، أو ابْتَدَأَ بِاسْمِ اللَّهِ،
 على الأمر، كقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. وقدّره بعضهم
 متأخراً نحو: باسم الله أَبْتَدَى، باسم الله أقرأ.

أو متعلق باسم محذوف وقع خبراً، قدّره البصريون وأكثر النحويين
 متقدماً نحو ابتدائي كائن، أو مستقر باسم الله، أو ابتدائي باسم الله.

وقدّره بعضهم اسماً متأخراً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ آرَتُّكِبُوا فِيهَا
 بِسْمِ اللَّهِ جَعَلْنَاهَا مِرْسَنَةً وَإِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤) (فبسم الله) متعلق

= ١: ٦٥-٦٦، «معالم التنزيل» للبغوي ١: ٣٧، «المحرر الوجيز» لابن عطية ١: ٥٤،
 «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١: ٩٩، «شرح البسمة والحمدلة» لابن عبدالحق
 ١٥/أ.

(١) ديوانه «٤١»، «الشعر والشعراء» ص ٧٢٣، «العيني» ٣: ٥٠٨-٥٠٥، «الخزانة»
 ٨: ١٣٦-١٣٨، (الشاهد ٥٩٩).

وهو بغير نسبة في «الأمالي الشجرية» ٢: ١٤٢، «شرح شذور الذهب» ص ٤١٢.

(٢) انظر «تفسير الطبري» ١: ١١٦.

(٣) ذكر ابن القيم - رحمه الله - في «بدائع الفوائد» ١: ٢٥ عدة فوائد لحذف العامل في
 بسم الله. فلتراجع.

(٤) سورة هود، آية: ٤١.

بـ(مجريها). وكل هذه التقادير صحيحة^(١).

لكن الأولى - كما اختاره بعض المحققين - أن يكون المقدر فعلاً متأخراً خاصاً: أي مناسباً لما يسمى عليه.

فكونه فعلاً لأن الأصل في العمل هو الأفعال، فهي تعمل بدون شروط، أما الأسماء فما يعمل منها كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، إنما يعمل بشروط.

وكونه متأخراً تيمناً وتبركاً بالبداة باسم الله، وإفادة الحصر^(٢)، لأن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣). فالمعنى: لا أقرأ إلا باسم الله، ولا أتوضأ إلا باسم الله، ولا أذبح إلا باسم الله، وهكذا وكونه خاصاً مناسباً لما يسمى عليه ليكون أدل على المقصود، وأبين للمراد^(٤).

فعند القراءة يكون التقدير: باسم الله أقرأ، وعند الوضوء: باسم

(١) انظر «أحكام القرآن» للخصاص ٦:١، «مشكل إعراب القرآن» ١:٦٦، «المحرر الوجيز» ١:٥٤، «التفسير الكبير» ١:١٠١، «الجامع لأحكام القرآن» ١:٩٩، «مجموع الفتاوى» ١٠:٢٣١، «تفسير ابن كثير» ١:٣٨-٣٩، «شرح البسملة والحمدلة» لابن عبدالحق ٩٦.

(٢) الحصر: هو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، أي أبدىء بسم الله وحده دون سواه.

(٣) انظر «الكشاف» ١:٤-٥، «التفسير الكبير» ١:١٠١-١٠٢، «تفسير ابن كثير» ١:٣٩، «أنوار التنزيل» ١:٥، «شرح البسملة» لأبي زكريا الأنصاري ١/أ، «شرح البسملة والحمدلة» لابن عبدالحق ٨/ب.

(٤) انظر «الكشاف» ١:٤-٥، «مجموع الفتاوى» ١٠:٢٣١، «أنوار التنزيل» للبيضاوي ١:٥.

الله أتوضأ، وعند الذبح: باسم الله أذبح، وهكذا^(١).

ويدل على التخصيص قوله تعالى في الآيتين السابقتين: ﴿يَسْمِ اللَّهَ جَجْرِنَهَا وَمُرْسِنَهَا﴾^(٢)، وقوله: ﴿أَقْرَأَ بِأَسْرِيكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وقوله ﷺ: «ومن لم يذبح فليذبح باسم الله»^(٣) فقدّر في الآية الأولى اسماً خاصاً، وهو مجريها، وفي الآية الثانية فعلاً خاصاً وهو اقرأ وفي الحديث فعلاً خاصاً وهو «يذبح».

الله: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

الرحمن الرحيم: صفتان للفظ الجلالة، كل منهما مجرورة، وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على آخرها.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١١٥-١١٦ «مجموع الفتاوى» ١٠: ٢٣١، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٩ «أنوار التنزيل» ١: ٥٠، «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» ص ٢٦-٢٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٤١.

(٣) أخرجه من حديث جندب بن عبدالله - البخاري في العيدين - الحديث ٩٨٥، ومسلم في الأضاحي - باب وقتها - الحديث ١٩٦٠.

المبحث الثاني

معنى البسمة

بسم الله : الباء للاستعانة : أي باسم الله أقرأ، أو أتوضأ، مستعيناً به، ومتميناً، ومتبركاً^(١).

واسم : الاسم مأخوذ من الوَسْم، وهو العلامة، لأن الاسم علامة على من وضع له، وهذا اختيار الكوفيين وطائفة من النحويين.

وذهب البصريون وأكثر النحويين إلى أنه مأخوذ من السمو، وهو العلو والارتفاع، لأن الاسم يسمو بالمسمى، فيرفعه عن غيره، وقيل لأن الاسم علاقته على الفعل والحرف، لأنه الأصل.

وقول الكوفيين أظهر من حيث المعنى، وهو أن الاسم علامة على من وضع له، لكن تصريف اسم وجمعه يقوي قول البصريين : إنه من السمو، وهو العلو والارتفاع فهو يجمع على أسماء وأسامي، ويصغر على سُمَيّ، ولو كان من السمة، لكان أصله «وسم»، وجمع على «أوسام»، وصغر على «وسِيم» لأن الجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها^(٢).

(١) انظر «البحر المحيط» ١: ١٤، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٩، «أنوار التنزيل» ١: ٦٠، «شرح البسمة» لأبي زكريا الأنصاري ١/ ١، «شرح البسمة والحمدلة» لأحمد بن عبدالحق ٦/ ١، «رسالة إسماعيل بن غنيم الجوهري في البسمة» ٦/ ١، «رسالة الصبان الكبرى في البسمة» ٨/ ب.

(٢) انظر «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١: ٦٦، «معالم التنزيل» ١: ٣٨، «الكشاف» ١: ٥٠، «المحرر الوجيز» ١: ٥٥، «التفسير الكبير» ١: ١٠٨، «الجامع لأحكام القرآن» =

وقد لا يمتنع أن يكون الاسم مأخوذاً من المعنيين معاً، لأن الاسم يظهر المسمى، فيكون فيه معنى العلو والارتفاع، ويميزه عن غيره فيكون فيه معنى العلامة.

واسم: اسم مفرد أضيف إلى لفظ الجلالة - كما تقدم - وهو معرفة، فاستفاد العموم، فيعم جميع أسماء الله الحسنی، فالمعنى بكل اسم من أسماء الله^(١).

و«الله» علم على «الرب» تبارك وتعالى خاص به سبحانه ولا يجوز أن يسمى به غيره. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(٢). قال سيويه «وهو أعرف المعارف» وهو أصل أسمائه الحسنی، ودال عليها جميعاً، وعلى صفاته العليا^(٣). بل قيل إنه الاسم الأعظم^(٤).

وتأتي أسماء الله - تعالى - تابعة لهذا الاسم، وأوصافاً له، ومضافة إليه^(٥) قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٦) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ

= ١٠١:١، «غرائب القرآن» للنيسابوري ٦٠:١، «باب التأويل» للخازن ١٣:١، «الدر المصون» ٢١-١٩:١، «أنوار التنزيل» ٦:١.

- (١) انظر «تفسير ابن كثير» ٤٠:١.
- (٢) سورة مريم، الآية: ٦٥.
- (٣) انظر «مدارج السالكين» ٥٦:١.
- (٤) انظر «التفسير الكبير» ١١٥:١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٠٢:١، «غرائب القرآن» ٦٢:١، «تفسير ابن كثير» ٤٠:١، «روح البيان» ٢:١. وانظر الأحاديث الواردة في الاسم الأعظم ضمن الفائدة الرابعة والثلاثين من هذه السورة فيما يأتي.
- (٥) انظر «مدارج السالكين» ٥٦:١.

الْمُهَيِّمِينَ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْمُتَكَبِّرِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿قَلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٤)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - : قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» متفق عليه (٥).

ولهذا يقال: الرحمن والرحيم والحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، أو من أسماء الرحيم أو من أسماء الحكيم.

وقد يأتي لفظ الجلالة «الله» تابعا لغيره من الأسماء، كما في قوله تعالى: ﴿الرَّكِيبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٢-٢٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٤) سورة طه، آية: ٨.

(٥) أخرجه البخاري - في الدعوات - باب لله مائة اسم غير واحد - حديث ٦٤١٠، ومسلم - في الذكر - باب في أسماء الله - تعالى، وفضل من أحصاها - حديث ٢٦٧٧، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٤٠: ١.

الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١﴾ . فلفظ الجلالة «الله» على قراءة الجر عطف بيان، تابع للاسم الذي قبله .

واختلف هل لفظ الجلالة (الله) مرتجل أو مشتق . فقيل إنه مرتجل غير مشتق، والألف واللام لازمة له، لا لتعريف، ولا لغيره، بدليل دخول حرف النداء عليه، وبدليل أنه لا يثنى، ولا يجمع . وهو اختيار الخليل وسيبويه والزجاج وأكثر الأصوليين والفقهاء^(٢) .

والصحيح أنه مشتق من «أله» إذا عبد، فهو مصدر في موضع المفعول، من أله الرجل يأله إلهة إذا تعبد وتأله وتنسك^(٣) . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾^(٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾^(٥) ، وقال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ ﴾^(٦) .

قال رؤبة بن العجاج^(٧) .

- (١) سورة إبراهيم، الآيتان: ١ - ٢ .
- (٢) انظر «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاجي ص ٢٥ ، «معالم التنزيل» ٣٨:١ ، «المحرر الوجيز» ٥٧:١ ، «زاد المسير» ٩:١ ، «الجامع لأحكام القرآن» ١٠٢:١-١٠٣ ، «لباب التأويل» ١٣:١ ، «تفسير ابن كثير» ٤٠:١-٤١ .
- (٣) انظر «تفسير الطبري» ١٢٣:١ ، «معالم التنزيل» ٣٨:١ ، «المحرر الوجيز» ٥٧:١ ، «الجامع لأحكام القرآن» ١٠٣:١ ، «لسان العرب» مادة «أله» ، «لباب التأويل» ١٣:١ ، «بدائع الفوائد» ٢٣:٢٢ ، «تفسير ابن كثير» ٤٠:١ ، «أنوار التنزيل» ٦:١ .
- (٤) سورة الأنعام، الآية: ٣ .
- (٥) سورة الزخرف، الآية: ٨٤ .
- (٦) سورة النمل، آية: ٦٠ - ٦٤ .
- (٧) «ديوانه» ص ١٦٥ .

لله در الغانيات الممدّه سَبَّحْنِ واسترجَعْنِ من تألهي
أي من تعبدي وطلبي لله بعملِي^(١).

وأصله «إله» حذف منه الهمزة، و عوض منها حرف التعريف^(٢)
ونظيره «الناس»، أصله «أناس». قال الشاعر:
إن المنيا يطلع من على الأناس الآمينا^(٣)
واختار سيبويه أن أصله «لاه»، فدخلت الألف واللام للتعظيم^(٤)
وأشدوا قول ذي الإصبع العدواني^(٥):

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياني فتخزوني
قال الزمخشري^(٦): «الإله من أسماء الأجناس، اسم يقع على كل
معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، أما «الله» بحذف
الهمزة، فيختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره».

- (١) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٢٣، «المحرر الوجيز» ١: ٥٧، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٧.
(٢) انظر «اشتقاق أسماء الله الحسنى» للزجاجي ص ٢٦-٤٢، «الناسخ والمنسوخ» لأبي
جعفر النحاس ٢: ٤٣٣، «مشكل إعراب القرآن» ١: ٦٦-٦٧، «الكشاف» ١: ٦،
«الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٢، «الدر المصون» ١: ٢٣-٢٩، «أنوار التنزيل» ١: ٦،
«تفسير ابن كثير» ١: ٤٠، «تيسير العزيز الحميد» ص ٢٨-٢٩.
(٣) البيت لذي جرن الحميري، انظر «اشتقاق أسماء الله الحسنى» ص ٣٢، وانظر
«الكشاف» ١: ٦.
(٤) انظر «الكتاب» ٢: ١٩٥، ٣: ٤٩٨.
(٥) انظر «اشتقاق أسماء الله الحسنى» ص ٣٤، «المفضليات» ١٦٠، «مجالس العلماء»
٧١، «أمالي القاضي» ١: ٢٥٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٢، «تفسير ابن كثير»
٤٠: ١.
(٦) في «تفسيره» ١: ٦.

ومعنى «الله»:

أي المألوه المعبود الذي تعبد الخلائق، وتأله له محبة وتعظيماً وخضوعاً له، وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب^(١)، لما له من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال^(٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣): «فإن الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته لأنه المألوه المعبود الذي تأله القلوب وترغب إليه، وتفزع إليه عند الشدائد».

وقال رحمه الله^(٤): «الله وهو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه، وما خلق له، وما فيه صلاحه وكماله، وهو عبادة الله، ولهذا يقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحانه الله، لا إله إلا الله».

الرحمن الرحيم: اسمان من أسماء الله - تعالى - مشتقان من الرحمة.

عن عبدالرحمن بن عوف، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: أنا الرحمن، وهي الرحم، شققت لها اسما من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»^(٥). فالرحمن والرحيم مشتقان من

(١) انظر «مدارج السالكين» ١: ٥٦.

(٢) انظر «تيسير الكريم الرحمن» ١: ٣٣.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ١: ٨٨.

(٤) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ١٢.

(٥) أخرجه أبو داود - في الزكاة - باب صلة الرحم - حديث ١٦٩٤، والترمذي في البر والصلة - ما جاء في قطيعة الرحم - حديث ١٩٠٧ وقال «حديث حسن صحيح»، =

الرحمة، والرحم مشتقة من اسمه تعالى «الرحمن».

و«الرحمن» على وزن «فعلان»، و«الرحيم» على وزن «فعليل» كل منهما صفة مشبهة، ومن صيغ المبالغة. لكن «فعلان» أبلغ من «فعليل»، لأن صيغة «فعلان» تدل على الامتلاء، يقال: رجل غضبان أي ممتلىء غضبا. ولهذا قُدِّم «الرحمن» على «الرحيم»^(١).

وكل منهما دال على إثبات صفة الرحمة الواسعة الكثيرة المستمرة العظيمة لله - تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿كُنْتُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ^(٥) كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٦).

= وأحمد ١: ١٩١، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» وأخرجه أحمد ٢: ٤٩٨ من حديث أبي هريرة.

(١) انظر «المحرر الوجيز» ١: ٥٨، «زاد المسير» ١: ٩، «البحر المحيط» ١: ١٦-١٧، «لسان العرب» مادة «رحم»، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٤، ١٠٥، «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير ١: ٤٣، «أضواء البيان» ١: ٣٩-٤٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

(٥) قد يكون المراد بالرحمة في الآية التي هي صفة ذاتية من صفات الله - تعالى - غير مخلوقة، وقد يراد بها الرحمة التي هي المطر فهذه رحمة مخلوقة هي من آثار رحمة الله التي هي من صفاته، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال النبي - ﷺ - تحاجت الجنة والنار... وفيه قوله تعالى للجنة «أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي... الحديث» أخرجه البخاري - في التفسير حديث ٤٨٥٠، ومسلم - في الجنة ونعيمها وأهلها - حديث ٢٨٤٦. فالجنة من الرحمة المخلوقة.

(٦) سورة الروم، الآية: ٥٠.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها، خشية أن تصيبه» متفق عليه^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - : «لما قضى الله الخلق، كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي» متفق عليه^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد» رواه مسلم^(٣).

وإذا اجتمع «الرحمن» مع «الرحيم» في مثل البسملة، والفاتحة، وقوله تعالى ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٤) دلّ «الرحمن» على إثبات صفة الرحمة الذاتية القائمة به سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو

(١) أخرجه البخاري - في الأدب - باب جعل الله الرحمة في مائة جزء - حديث ٦٠٠٠، ومسلم - في التوبة - باب سعة رحمة الله - تعالى، وأنها سبقت غضبه - حديث ٢٧٥٢. وأخرجه أيضاً من حديث سلمان الفارسي - رضي الله عنه - حديث ٢٧٥٣.

(٢) أخرجه البخاري - في بدء الخلق - باب ما جاء في قوله - تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ حديث ٣١٩٤، ومسلم - في التوبة - باب سعة رحمة الله - تعالى، وأنها سبقت غضبه حديث ٢٧٥١.

(٣) في الباب السابق حديث ٢٧٥٥. وانظر «تيسير الكريم الرحمن» ١: ٣٣.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٢٢.

الرَّحْمَةِ^(١)، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾^(٣).

ودل «الرحيم» على إثبات صفة الرحمة الفعلية لله عز وجل - المتعلقة بالمرحوم - فهو تعالى فاعل الرحمة وموصلها إلى من شاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبِكُمْ﴾^(٥).

قال ابن القيم رحمه الله^(٦) بعد ما ذكر قول السهيلي: «وفائدة الجمع بين الصفتين «الرحمن» و«الرحيم» الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة وخاصة وعامة... قال وهو أن «الرحمن» دال على الصفة القائمة به سبحانه، و«الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفة، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾^(٧) إنه بهم رؤوف رحيم، ولم يجيء قط «رحمن بهم» فعلم أن «الرحمن» هو الموصوف بالرحمة، و«رحيم» هو الراحم برحمته... «أه».

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٤٧.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٢١.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٥٤.

(٦) في «بدائع الفوائد» ٢٤: ١، وانظر «مدارج السالكين» ٧٥: ١.

أما إذا جاء كل منهما منفردا عن الآخر، كما في قوله - تعالى: ﴿قَلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾^(١) وكما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٢)، فإن كلا منهما - بمفرده - يدل على إثبات الرحمة لله، باعتبارها صفة ذاتية لله، وباعتبارها صفة فعلية له - تعالى^(٣).

والفرق بين «الرحمن» و «الرحيم» من وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن بينهما عموما وخصوصا، من حيث اللفظ، فالرحمن اسم خاص بالله - تعالى - لا يسمى به غيره^(٤)، كاسم «الله»، و «الرزاق».

بل إن «الرحمن» يُعَدُّ عند طائفة من أهل العلم، ثاني اسم من أسماء الله - تعالى، لقوله - تعالى: ﴿قَلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

(٣) وقد أخطأ من فسر الرحمة بالإحسان، أو بإرادة الإحسان، لأن هذا كله من آثار الرحمة.

(٤) ذكر الطبري في «تفسيره» ١: ١٣٤: إجماع الأمة على منع التسمي بالرحمن وانظر «معالم التنزيل» للبغوي ١: ٣٨، «أحكام القرآن» للقرطبي ١: ١٠٥-١٠٦. قال ابن القيم - رحمه الله: «ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى» حسن مجيئه مفرداً غير تابع كمجيء اسم الله كذلك - يعني في نحو قوله تعالى ﴿الرحمن علم القرآن﴾ سورة الرحمن الآية ١، وقوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ سورة طه الآية: ٥، وقوله: ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ سورة الملك الآية: ٢٠ وغير ذلك. انظر «بدائع الفوائد» ١: ٢٣-٢٤.

تَدْعُوا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿١﴾ وقوله - تعالى : ﴿ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾ ﴿٢﴾ . وإنما تسمى مسيلمة بذلك من باب التعنت والكفر ^(٣) ، فأذله الله .

قال ابن كثير ^(٤) - رحمه الله - تعالى : «ولما تجهرم مسيلمة الكذاب، وتسمى برحمن اليمامة، كساه الله جلاب الكذب، وشهر به، فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب، فصار يضرب به المثل في الكذب، بين أهل الحضرم من أهل المدر، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب» .

و «الرحيم» اسم عام يجوز أن يوصف به غير الله، كاسم الرؤوف، والسميع، والبصير، قال - تعالى - عن نبيه محمد - ﷺ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٥﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ﴿٦﴾ .

الوجه الثاني : أن بينهما عموماً وخصوصاً من حيث المعنى ^(٧) ،

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠ .

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٥ .

(٣) انظر «الكشاف» ٦: ١ .

(٤) في «تفسيره» ٤٣: ١ .

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

(٦) سورة الإنسان، الآية: ٢ .

(٧) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٢٧-١٢٩ ، «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص ٢٨ ،

«مقاييس اللغة» مادة «رحم»، «معالم التنزيل» ١: ٢٨ ، «المحرر الوجيز» ١: ٥٨-٥٩ ،

«زاد المسير» ١: ٩ ، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٥ ، «لباب التأويل» للنخازن

١: ١٣ ، «أضواء البيان» ١: ٤٠ .

فالرحمن رحمة عامة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، وناطقهم وبهمهم، في الدنيا والآخرة.

فرحمته للمؤمنين في الدنيا، هدايتهم للحق، وإلى الطريق المستقيم، إلى غير ذلك من نعم الله عليهم، مما هو دون ذلك، ورحمته لهم في الآخرة، وإدخالهم جنات النعيم، ووقايتهم عذاب الجحيم.

ورحمته للكافرين، والبهائم في الدنيا، ما يتمتعون به من نعم الله، من الصحة والمآكل والمشارب ونحوها. ورحمته لهم في الآخرة العدل في حسابهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَنَزَرُ أُخْرَىٰ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٢) حتى إنه ليقنص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء^(٣).

قال ابن كثير^(٤) - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر القول بأن «الرحمن» لجميع الخلق و«الرحيم» بالمؤمنين - قال: «ولهذا قال: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾^(٥)، وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىٰ﴾^(٦). قال ابن

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤، وسورة الإسراء، الآية: ١٥، وسورة فاطر، الآية: ١٨، وسورة الزمر، الآية: ٧.

(٢) سورة الطور، آية: ٢١.

(٣) أخرج مسلم - في البر والصلة والأدب - باب تحريم الظلم - حديث ٢٥٨٢ - عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

(٤) في «تفسيره» ٤٣: ١.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٦) سورة طه، الآية: ٥.

كثير: «فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته».

وقال الشنقيطي^(١) - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر كلام ابن كثير السابق قال: «ومثله قوله تعالى: ﴿أَوْلَٰئِرِوَا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَبَقِضْنَ مَأْ يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾^(٢). قال: أي ومن رحمانيته لطفه بالطير، وإمساكه إياها صفات وقابضات في جو السماء، ومن أظهر الأدلة في ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۚ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنِّي ۙ إِلَّا رَبِّكُمْ ۙ تَكْذِبَانَ﴾^(٣).

والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

الوجه الثالث: أن «الرحمن» أبلغ من «الرحيم»^(٦)، ولهذا، ولكونه أي: «الرحمن» أخص من «الرحيم» قُدِّم عليه «في البسمة والفتحة»، وقُدِّم عليهما لفظ الجلالة لأنه أخص منهما وأعرف، وهما وغيرهما من

(١) في «أضواء البيان» ٤٠: ١.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٩.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ١-١٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣. انظر «زاد المسير» ٩: ١، «الجامع لأحكام القرآن»

١٠٥: ١٠، «أنوار التنزيل» ٧: ١، «تفسير ابن كثير» ٤٣: ١، «أضواء البيان» ٤٠: ١-٤١.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٧. هكذا قدره كثير من أهل العلم وقد يشكل على هذا قوله

تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية: ١٤٣، وسورة الحج

الآية: ٦٥. انظر «تيسير العزيز الحميد» ص ٣١.

(٦) انظر «تفسير الطبري» ١٣٣: ١، «الكشاف» ٦: ١، «أنوار التنزيل» ٧: ١، «شرح البسمة

والحمدلة» لابن عبد الحق ٢٠/ب، ٢١/أ.

أسمائه تعالى تبع له .

قال ابن كثير^(١) - رحمه الله تعالى - : «بدأ باسم الله، ووصفه بالرحمن، لأنه أخص وأعرف من الرحيم، لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتداء بالأخص فالأخص» .

وقد كان اسم «الرحمن» معروفاً - والله أعلم - عند العرب قبل الإسلام، وقد ورد ذلك في أشعارهم .

كقول سلامة الجعدي^(٢) :

عَجَلْتُمْ عَلَيْنَا عَجَلْتَيْنَا عَلَيْكُمْ وما يشأ الرحمن يُعَقِّدُ وَيُطْلِقِ

وقول الآخر :

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قبض الرحمن ربي يمينها^(٣)

أما قوله - تعالى عن المشركين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۗ ﴾^(٤) .

وكذا قولهم في صلح الحديبية لما قال الرسول - ﷺ - لعلي :

(١) في «تفسيره» ٤٣: ١ .

(٢) انظر «ديوانه» ص ١٩، وانظر «تفسير الطبري» ١: ١٣١ .

(٣) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٣١، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٤ .

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٠ .

«اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» قالوا: «ما ندري ما الرحمن اكتب باسمك اللهم»^(١).

فذلك منهم محمول - والله أعلم - على الجحود والعناد، والتعنت في الكفر، كما قال كثير من المفسرين^(٢).

(١) أخرجه من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم - مطولا - البخاري في الشروط - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط - حديث ٢٧٣١-٢٧٣٢.

(٢) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٣١، «الكشاف» ٦: ١، «المحرر الوجيز» ١: ٥٩ «تفسير ابن كثير» ١: ٤٤.

المبحث الثالث

هل البسمة آية مستقلة من القرآن الكريم
أو من سورة الفاتحة، أو من كل سورة سوى براءة،
أو ليست بآية؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على أقوال عدة، بعد إجماعهم على أنها بعض آية من سورة النمل، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١).

وفيما يلي ذكر خلاصة لأقوالهم، وأدلتهم في هذه المسألة^(٢).
القول الأول:

أن البسمة ليست آية من القرآن الكريم مطلقاً^(٣)، إلا في سورة النمل فهي بعض آية منها. وإنما كتبت البسمة في أوائل السور للاستفتاح بها، والابتداء والتبرك بها، واليمين، والفصل بين السور. وهذا القول يُروى عن قراء المدينة والبصرة والشام^(٤)، وهو قول

(١) سورة النمل، الآية: ٣٠. انظر: «أحكام القرآن» للحصاص ١: ٨، ١٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٢، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢: ٤٣٨، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٤، «النشر» ١: ٢٧١.

(٢) هناك أقوال تركتها لضعفها، أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرة أقوال.

(٣) انظر «الإقناع في القراءات السبع» لابن البادش ١: ١٦٣.

(٤) انظر «معالم التنزيل» ١: ٣٨، «الكشاف» ١: ٤، «تفسير النسفي» ١: ١.

الإمام مالك^(١) وعبدالله بن معبد^(٢)، ونُسب لأبي حنيفة، وبعض أصحابه^(٣)، والأوزاعي^(٤)، وحُكي رواية عن الإمام أحمد^(٥)، لكن قال ابن تيمية^(٦): «لا يصح هذا عنه، وإن كان قولاً في مذهبه».

واختاره الباقلاني^(٧).

ولم أقف على دليل صحيح صريح لهذا القول، ولا على تعليل مقبول إلا التمسك بأدلة وأحاديث لاتدل عليه، كحديث أنس بن مالك وعائشة - رضي الله عنهما^(٨) - وما في معناهما من الأدلة، التي فيها: أن الرسول - ﷺ - وخلفاءه كانوا يستفتحون القراءة، أو الصلاة بالحمد لله رب العالمين...، وسيأتي ذكر هذه الأحاديث - إن شاء الله - في القول الرابع من هذه الأقوال، وبيان أن غاية ما تدل عليه هذه الأحاديث أنهم كانوا لا يجهرون بالبسملة، لا أنهم يتركونها، وليس عدم الجهر بها، مما يخرجها من القرآن، كما زعم بعض من ذهب إلى

(١) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٥، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٢، «المحرر الوجيز» ٥٢: ١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٣.

(٢) انظر «المغني» ٢: ١٥٢.

(٣) انظر «شرح معاني الآثار» ١: ٢٠٤-٢٠٥، «نصب الراية» ١: ٣٢٧، وانظر «الكشاف» ٤: ١، «المحرر الوجيز» ١: ٥٢، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢: ٣٤، ٤٣٨، «تفسير النسفي» ١: ١.

(٤) انظر «المغني» ٢: ١٥٢.

(٥) انظر «المغني» ٢: ١٥١-١٥٢.

(٦) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٤، ٤٣٨.

(٧) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٢: ٤٣٢.

(٨) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٤-١٧٥، ١٨٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٥.

هذا القول^(١).

وقد احتج ابن العربي^(٢) لهذا القول بأن مسجد الرسول ﷺ بالمدينة من لدن رسول الله ﷺ إلى زمان الإمام مالك لم يقرأ فيه أحد قط (بسم الله الرحمن الرحيم) اتباعاً للسنة. وهذا إن أراد به أنهم لا يجهرون بها فصحيح، وأما إن أراد أنهم لا يقرؤونها أبداً لا سراً ولا جهراً فالجواب عنه هو الجواب عن احتجاجهم بحديث عائشة وأنس المشار إليهما وأن ذلك محمول على أنهم يسرون بها لا أنهم يتركونها.

كما احتج الباقلاني^(٣) والقرطبي^(٤) لهذا القول بأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، ولا تواتر هنا فيجب القطع بنفي كونها من القرآن. وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية^(٥) عن هذا بقوله:

«والتحقيق أن هذه الحجة مقابلة بمثلها، فيقال لهم: بل يقطع بكونها من القرآن حيث كتبت كما قطعتم بنفي كونها ليست منه - ومثل هذا النقل المتواتر عن الصحابة بأن ما بين اللوحين قرآن، فإن التفريق بين آية وآية يرفع الثقة بكون القرآن المكتوب بين لוחي المصحف كلام الله، ونحن نعلم بالاضطرار أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف نقلوا إلينا أن ما كتبه بين لוחي المصحف كلام الله الذي أنزله على نبيه ﷺ

(١) انظر مثلاً «شرح معاني الآثار» ١: ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) انظر «أحكام القرآن» ١: ٣.

(٣) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢: ٤٣٢.

(٤) في «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٣.

(٥) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٢-٤٣٣.

لم يكتبوا فيه ما ليس من كلام الله . . . » ويكفي في ضعف هذا القول :
أن فيه القول على الصحابة - رضي الله عنهم - أنهم أودعوا المصحف ما
ليس من كلام الله ، على سبيل التبرك^(١) .

قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «سنن الترمذي»^(٢) ، بعد أن
ذكر الخلاف في هذه المسألة : «القول الذي زعموا نسبته إلى مالك ،
ومن معه في أنها ليست آية أصلاً قول لا يوافق قاعدة أصولية ثابتة ، ولا
قراءة صحيحة» .

القول الثاني :

أنها آية من سورة الفاتحة فقط .

وهذا القول مروى عن طائفة من السلف ، منهم سعيد بن جبير^(٣) ،
وأكثر القراء والفقهاء من أهل مكة^(٤) والكوفة^(٥) ، وهو قول
الشافعي^(٦) ، ورواية عن الإمام

(١) انظر «مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية» ٤٠٦:٢٢ ، وانظر ٤٣٢-٤٣٣ .

(٢) ٢٢:٢ .

(٣) أخرجه عنه عبدالرزاق - في الصلاة - باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم - الأثر
٢٦٠٩ .

(٤) انظر «الاستذكار» ١٧٣:٢ ، «أحكام القرآن» لابن العربي ٢:١ ، «مجموع الفتاوى»
٤٤١:٢٢ ، «النشر» ٢٧٠:١ .

(٥) انظر «تفسير الطبري» ١٠٩:١ ، «البحر المحيط» ٣١:١ ، «الجامع لأحكام القرآن»
٩٤:١ ، «النشر» ٢٧٠:١ .

(٦) انظر «الأم» ١٠٧:١ ، «المجموع» ٣٣٣-٣٣٢:٣ ، «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير
٣٥:١ ، «كتاب البسمة الصغير» لأبي شامة ٢/أ ، «رسالة الصبيان الكبرى في البسمة»
١/٢٧ .

أحمد^(١)، ورؤي عن إسحاق^(٢)، وأبي عبيد^(٣)، وأبي ثور^(٤)، ومحمد ابن كعب القرظي، والزهري^(٥) وعطاء^(٦)، وغيرهم^(٧).

واستدلوا لهذا القول بأدلة منها:

- ١- اثباتها في المصاحف مع الفاتحة، وعدّها من آياتها.
- ٢- ما جاء عن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها سُئلت عن قراءة النبي - ﷺ - فقالت: «كان يقطع قراءته آية آية، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم»^(٨).
- ووجه استدلالهم من هذا الحديث: أن الرسول - ﷺ - قرأ البسملة مع الفاتحة، قالوا: فدل هذا على أنها آية منها. والجواب من هذا: أنه لا يلزم من قراءتها مع الفاتحة أن تكون منها، إذ لو لزم هذا للزم أن

-
- (١) انظر «التحقيق» ١: ٢٩٢، «زاد المسير» ١: ٧، «المغني» ٢: ١٥١، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٥، ٤٤٢.
 - (٢) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٦، «المغني» ٢: ١٥١.
 - (٣) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٦، «المغني» ٢: ١٥١، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢: ٤٣٤، ٤٤٠.
 - (٤) أخرجه ابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٧٦.
 - (٥) أخرجه عنهما - أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ١١٤-١١٥.
 - (٦) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٦.
 - (٧) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٥١.
 - (٨) أخرجه أبو داود - في الحروف - الباب الأول - حديث ٤٠٠١، وأحمد ٦: ٣٠٢، والدارقطني في الصلاة - وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم، والجهر بها ١: حديث ٣٧ وقال: «إسناده صحيح وكلهم ثقات»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» حديث ٢٩٢٧.

تكون آية من كل سورة، لأنها تقرأ مع كل سورة، كما هو مثبت معلوم.

٣- وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه سئل عن قراءة النبي - ﷺ - فقال: «كانت مداً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم». رواه البخاري^(١).

قالوا: فقراءة النبي - ﷺ - للبسملة بالمدّ تدل على أنها آية من القرآن إذ لو لم تكون آية من القرآن لما قرأها الرسول - ﷺ - بالمد كما يقرأ القرآن. وهذا الاستدلال صحيح في الرد على الذين ينفون أن تكون البسملة آية من القرآن مطلقاً - لكن لا يلزم من قراءة الرسول - ﷺ - لها بالمد، كما يقرأ القرآن أن تكون آية من سورة الفاتحة^(٢)، ولا من غيرها، فالحديث يدل على أنها آية تقرأ - وهذا صحيح - لا أنها آية من سورة الفاتحة، أو من غيرها من السور.

٤- حديث نعيم بن المجر قال: «صليت وراء أبي هريرة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ بأمر القرآن حتى بلغ (ولا الضالين) فقال: «آمين»، فقال الناس: «آمين»، ويقول كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين قال: الله أكبر، وإذا سلم قال: والذي نفسي بيده، إني لأشبهكم صلاة برسول الله - ﷺ -».

(١) في فضائل القرآن - باب مد القراءة - حديث ٥٠٤٦. وقد أخرجه مختصراً دون ذكر «ثم قرأ إلى آخره» أبو داود - حديث ١٤٦٥، والنسائي حديث ٩٧٠، وابن ماجه حديث ١٣٥٣، وأحمد ٣، ١١٩، ١٩٢.

(٢) انظر «فتح الباري» ٩: ٩١.

ووجه استدلالهم من هذا الحديث أن أبا هريرة قرأ البسملة مع أم القرآن، ورفع ذلك إلى النبي - ﷺ - حيث قال في آخر الحديث: «والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله - ﷺ -». وهذا الحديث ضعفه جمع من أهل العلم^(١).

وأيضاً لو صح هذا الحديث فليس فيه ما ينص صراحة على أن البسملة من الفاتحة، وغاية ما فيه أن يكون أبو هريرة قرأ البسملة مع الفاتحة سواء كان ذلك جهراً أم سراً، ولا يلزم من قراءتها مع الفاتحة على أي حال أن تكون منها - كما تقدم في الجواب عن استدلالهم بحديث أم سلمة.

٥- ما رواه أبو هريرة عن النبي - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «إذا قرأتم الحمد، فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم، أحد آياتها»^(٢).

والصواب أن هذا الحديث موقوف من كلام أبي هريرة، كما ذكر

(١) سيأتي تخريج هذا الحديث، وذكر كلام أهل العلم في تضعيفه في المبحث السابع من هذا الفصل.

(٢) هذا الحديث أخرجه الدارقطني - في الصلاة - باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم - حديث ٣٦، والبيهقي - في الصلاة - ٤٥:٢ - كلاهما من طريق أبي بكر الحنفي، عن عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال أبو بكر الحنفي: «ثم لقيت نوحاً، فحدثني عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة ولم يرفعه» وقد ذكر الزيلعي كلام الأئمة عليه وصوب وقفه «نصب الراية» ١: ٣٤٣.

أهل العلم^(١) قال الزيلعي^(٢) بعد ما صوب وقف الحديث على أبي هريرة «فإن قيل إن هذا موقوف في حكم المرفوع إذ لا يقول الصحابي إن البسمة إحدى آيات الفاتحة إلا عن توقيف أو دليل قوي ظهر له... قلت: لعل أبا هريرة سمع النبي ﷺ يقرأها فظنها من الفاتحة... وأبو هريرة لم يخبر عن النبي ﷺ أن قال: هي إحدى آياتها وقراءتها قبل الفاتحة لا يدل على ذلك»

وقال أيضاً: فالمحفوظ الثابت عن سعيد المقبري عن أبي هريرة في هذا الحديث عدم ذكر البسمة كما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله - ﷺ -: «الحمد لله هي أم القرآن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم»^(٣).

القول الثالث:

أنها آية أو بعض آية من كل سورة سوى سورة براءة، وقد نُسب هذا القول لقراء مكة والكوفة وفقهائهما^(٤).

وحُكي هذا القول عن ابن عباس وابن عمر، وابن الزبير، وأبي هريرة، من الصحابة، ومن التابعين: عطاء وطاوس وسعيد ابن

(١) انظر «التحقيق» ١: ٢٩٣-٢٩٨.

(٢) في «نصب الزاوية» ١: ٣٤٣-٣٤٤.

(٣) سيأتي تخريجه في المبحث الأول من الفصل الأول من الباب الثاني.

(٤) انظر «الكشاف» ٤: ١، «تفسير النسفي» ١: ١.

جبير ومكحول والزهري^(١).

وهو المشهور من مذهب الشافعي^(٢)، ورواية عن الإمام أحمد^(٣)،
ونُسب لأبي حنيفة^(٤)، وسفيان الثوري^(٥)، وعبدالله بن المبارك^(٦)،
وإسحاق بن راهويه^(٧)، وأبي عبيد^(٨)، والأوزاعي^(٩).

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها مايلي:

١- ثبوت البسمة في المصاحف، بخط المصحف، مع كل سورة،
سوى براءة، مما يدل على أنها آية، أو بعض آية، من كل سورة^(١٠).

والجواب: أنه لا يلزم من ثبوتها في المصاحف مع كل سورة، بل
لا يلزم من قراءتها مع كل سورة أن تكون آية منها، فهناك سور ثبت

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥.

(٢) انظر «المجموع» ٣: ٣٣٢-٣٣٣، «الكشاف» ١: ٤، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٤،
«تفسير ابن كثير» ١: ٣٥، «كتاب البسمة الصغير» لأبي شامة ٢/أ، «رسالة الصبان
الكبرى في البسمة» ٢٧/أ.

(٣) انظر «المسائل الفقهية» ١: ١١٨، «النشر» ١: ٢٧٠.

(٤) انظر «النشر» ١: ٢٧٠.

(٥) انظر «معالم التنزيل للبخاري» ١: ٣٩.

(٦) انظر «الميسوط» ١: ١٥، «معالم التنزيل» ١: ٣٩، «المحرر الوجيز» ١: ٥٣، «المغني»
٢: ١٥١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٣، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥، «كتاب البسمة
الصغير» لأبي شامة ٣/ب.

(٧) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥، «كتاب البسمة الصغير» لأبي شامة ٢/أ.

(٨) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥.

(٩) انظر «البسمة الصغير» لأبي شامة ٢/ب.

(١٠) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٩، «لباب التأويل» ١: ١٥، «كتاب البسمة الصغير» لأبي شامة
٣/ب.

بالسنة وبتفاق العادين عدد آياتها، من غير احتساب البسمة منها كما سيأتي في ذكر أدلة القول الرابع.

٢- ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «أغفى النبي - ﷺ - إعفاءة - ثم تبسم ضاحكاً، فقال: «أنزل علي أنفا سورة ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾» إلى آخر السورة. رواه مسلم^(١).

ووجه استدلالهم من هذا الحديث: أن البسمة آية أنزلت مع سورة الكوثر، فهي كذلك آية، أو بعض آية من كل سورة، تنزل معها، وتعد منها.

والجواب عن هذا أن يقال: صحيح أن البسمة تنزل مع كل سورة، لكن لا يلزم من نزولها مع السورة أن تكون آية منها، ولهذا اتفق العادون على أن سورة الكوثر ثلاث آيات، بدون البسمة. فالذين قالوا: البسمة آية مستقلة أسعد بهذا الدليل، من أصحاب هذا القول، كما سيأتي بيان ذلك.

استدلوا - أيضاً - بحديث أم سلمة السابق^(٢)، الذي فيه أن النبي - ﷺ - كان يقطع قراءته آية آية: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب

(١) سيأتي هذا الحديث بتمامه وتخريجه ضمن أدلة القول الرابع. وانظر «الاستذكار» ١٧٩:٢.

(٢) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١١:١، «المبسوط» للسرخسي ١٦:١، «المغني» ١٥٣:٢.

العالمين، الرحمن الرحيم».

ووجه استدلالهم به أن النبي - ﷺ - قرأ البسملة مع الفاتحة، مما يدل على أنها آية منها، وكذلك ينبغي أن تكون آية من سائر السور سوى براءة، لأنها مثبتة مع سائر السور، كما أثبتت في الفاتحة فهي آية من كل سورة، ينبغي أن تقرأ معها سواء الفاتحة وغيرها.

والجواب: أن هذا الحديث إنما يدل على أنه - ﷺ - يقرأ البسملة مع الفاتحة، ولا يدل على أنها آية منها - كما تقدم بيانه - فكيف تكون آية من غيرها!!

٤- كما استدلوا - أيضاً - بحديث أنس - السابق^(١) - أنه سئل عن قراءة النبي - ﷺ - فقال: «كانت مدا، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم».

ووجه استدلالهم بهذا الحديث أن النبي - ﷺ - قرأ البسملة مدا، كما تمد آيات القرآن، مما يدل على أنها آية، أو بعض آية من كل سورة سوى براءة.

والجواب: أن يقال: صحيح أن البسملة آية، وأن الرسول - ﷺ - قرأها بالمد - كما تقرأ آيات القرآن، لهذا الحديث ولغيره، لكن لا يلزم من ذلك أن تكون آية أو بعض آية من كل سورة. وقد يحتمل أن أنساً رضي الله عنه ذكر هذا من باب التمثيل للسائل لكيفية قراءة النبي

(١) ضمن أدلة القول الثاني.

(١)

٥- كما استدلوا بحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي - ﷺ - لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم» (٢).

وكأنهم أخذوا من نزول البسملة مع السورة أن تكون آية منها، وهذا ليس بلازم، كما سيأتي بيان هذا في القول الرابع.

القول الرابع:

أن البسملة آية مستقلة من القرآن، وليست من السور، وإنما هي آية تنزل مع كل سورة، للفصل بينها وبين التي قبلها.

وهذا قول طائفة من أهل العلم، منهم الإمام أحمد، في المنصوص الصريح عنه (٣)، وعبدالله بن المبارك (٤)، ومحمد بن الحسن الشيباني (٥)، وأبو الحسن الكرخي (٦)، وأبو بكر الرازي (٧)، وداود

(١) انظر «فتح الباري» ٩: ٩١.

(٢) سيأتي تخريجه ضمن أدلة القول الرابع وانظر «الاستذكار» ٢: ١٧٩.

(٣) انظر «مسائل الإمام أحمد» رواية النيسابوري ١: ٥٢، «المسائل الفقهية» ١: ١١٨، «المغني» ٢: ١٥٢، ١٥٣، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢٢: ٣٥٣، ٤٠٦، ٤٣٤، ٤٣٨-٤٣٩، وانظر ١٣: ٤١٨.

(٤) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» المواضع السابقة.

(٥) انظر «المبسوط» ١: ١٦.

(٦) انظر «أحكام القرآن» للحصاص ١: ٩٠٨، «نصب الراية» ١: ٣٢٧.

(٧) انظر «المبسوط» ١: ١٥-١٦، «الاستذكار» ٢: ١٧٦.

الظاهري^(١) وغيرهم. واختاره الطبري فيما يظهر من كلامه^(٢) واختاره ابن خزيمة^(٣)، والجصاص^(٤)، وابن قدامة^(٥) وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٦)، والزيلعي^(٧).

وهذا القول هو أصح الأقوال، وهو الذي تدل عليه الأدلة الصحيحة الصريحة ومنها مايلي:

١- إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم - على إثباتها في المصحف، وكتابتهم لها بخطه، وقلمه، فنقلت نقله، كما نقلت في سورة النمل، فلا يجوز الخروج عن إجماعهم، وذلك لأنهم جردوا المصحف عن غير الآيات القرآنية، كالتفسير ونحوه^(٨).

٢- ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بينا رسول الله - ﷺ - ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ أنفا سورة. فقرأ:

-
- (١) انظر «المحلى» ١٣: ٢٥١، «الاستذكار» ٢: ١٧٦، «نصب الراية» ١: ٣٢٧، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥، «النشر» ١: ٢٧٠، «كتاب البسمة الصغير» ٢/ب، «رسالة الصبان الكبرى في البسمة» ٢٧/أ.
- (٢) في «تفسيره» ١: ١٠٩، ١٤٦-١٤٧.
- (٣) في «صحيحه» ١: ٢٤٩، ٢٥١.
- (٤) في «أحكام القرآن» ١: ٨-١٢.
- (٥) في «المغني» ٢: ١٥٣.
- (٦) في «الفتاوى» ٢٢: ٢٧٦، ٣٥٠، ٤٠٦.
- (٧) في «نصب الراية» ١: ٣٤٣.
- (٨) انظر «الكشاف» ١: ٢١، «تفسير النسفي» ١: ١، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٣.

(بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) ﴿١﴾ رواه مسلم (١).
 ووجه الدلالة في هذا الحديث على أن البسمة آية مستقلة من القرآن، أن الرسول - ﷺ - قرأ بها وأخبر أنها أنزلت مع هذه السورة. ولم تعد آية منها، فقد أجمع الناس على أن سورة الكوثر ثلاث آيات، بدون بسم الله الرحمن الرحيم (٢)، كما أجمعوا على أن سورة الإخلاص أربع آيات بدون البسمة (٣).

٣- ما رواه عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي - ﷺ - لا يعرف فصل السورة، حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم» رواه أبو داود (٤). فكونها تنزل يدل على أنها آية من القرآن، وكونها للفصل بين السور يدل على أنها ليست من السور، وإنما هي آية مستقلة (٥).

٤- ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية، شفقت لرجل حتى غفر له، وهي سورة

- (١) في الصلاة - باب حجة من قال: البسمة آية من أول كل سورة سوى براءة حديث ٤٠٠، وأبو داود - في الصلاة - من لم ير الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم - حديث ٧٨٤، والنسائي - في الافتتاح - باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم حديث ٨٦٩.
- (٢) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١١:١، المبسوط ١٦/١ المغني ٢/١٥٣.
- (٣) انظر أحكام القرآن للجصاص ١١/١.
- (٤) في الصلاة - من جهر بالبسمة - حديث ٧٨٨، قال ابن كثير ١: ٣٤، «إسناده صحيح». قلت: وصححه الألباني.
- (٥) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٢: ٢٧٦، ٣٥٠، ٣٥١، ٤٠٦، ٤٣٩.

تبارك الذي بيده الملك»^(١).

قال: فهذا الحديث يدل على أن البسملة ليست آية من السور من وجهين:

الوجه الأول: أنه ﷺ ابتدأ سورة الملك، بقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ دون البسملة، مما يدل على أن البسملة ليست من السورة.

الوجه الثاني: أن أهل العلم، والعادين لآيات القرآن اتفقوا على أن سورة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^(٢)، ثلاثون آية بدون البسملة^(٣).

٥- ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج - ثلاثا، غير تمام» ف قيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله - تعالى -: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله - تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال:

(١) أخرجه الترمذي - في فضائل القرآن - ما جاء في فضل سورة الملك - حديث ٢٨٩١، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه. - في الأدب - باب ثواب القرآن - حديث ٣٧٨٦، وأحمد ٢: ٢٩٩، ٣٢١، وصححه الألباني.

(٢) سورة الملك، الآية: ١.

(٣) انظر «أحكام القرآن» للخصاص ١: ١١، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٢: ٢٧٧، ٤٣٩، وانظر «التحقيق» لابن الجوزي ١: ٢٩٣.

﴿مَنْ لَكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ، قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوَضُّ إِلَى عبدي، فإذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٥﴾ قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل» رواه مسلم (١).

قالوا: فهذا الحديث كسابقه، يدل على أن البسملة ليست آية من الفاتحة من وجهين:

الوجه الأول: أن الله - تعالى - بدأ الفاتحة بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ولو كانت البسملة آية من الفاتحة، لابتدأ بها، وعدها آية منها (٢).

الوجه الثاني: أن الله جعل الفاتحة بينه وبين عبده نصفين، وهي سبع آيات، باتفاق أهل العلم المعتمد بقولهم، كما جعل تعالى - الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بينه وبين العبد، وهي منتصف السورة، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما قبله ثلاثة آيات ونصف، حمد وثناء وتمجيد وعبادة للرب، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وما

(١) في الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة - حديث ٣٩٥، وأبو داود - في الصلاة - باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب: حديث ٨٢١، والنسائي - في الافتتاح - باب ترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب - حديث ٨٧٢، والترمذي - في التفسير - باب ومن سورة فاتحة الكتاب - حديث ٢٩٥٤، وابن ماجه - في إقامة الصلاة - باب القراءة خلف الإمام - مختصراً دون قوله: «سمعت رسول الله - ﷺ - إلى آخره - حديث ٨٣٨، وأخرجه البيهقي بروايته في «جزء القراءة خلف الإمام» حديث ٤٩-٨٦.

(٢) انظر «المبسوط» ١: ١٦، «الاستذكار» ٢: ١٧٢، «التحقيق» ١: ٢٩٣، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٢: ٤٤٠.

بعده ثلاث آيات ونصف للعبد دعاء ومسألة، ويكون قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو الآية السادسة، وقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هو الآية السابعة، وبهذا يتحقق التنصيف للفاتحة بين الرب، وبين العبد، ولو كانت البسملة آية من الفاتحة لم يتحقق التنصيف، ولكان قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما قبله أربع آيات ونصف آية. وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وما بعده اثنتين ونصفاً، فلا يتحقق التنصيف بل يكون ما للرب في هذه القسمة أكثر مما للعبد، وهذا خلاف نص قوله - تعالى - في الحديث «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»^(١).

قال ابن عبدالبر في «الاستذكار»^(٢): «وأما قوله في هذا الحديث: «قال الله - تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل» قال رسول الله - ﷺ -: «اقرأوا، يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فبدأ بالحمد لله رب العالمين، ولم يقل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فهذا أوضح شيء وأبينه أن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ليست آية من الفاتحة لأن رسول الله - ﷺ - بدأ بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فجعلها آية، ثم ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. فهذه ثلاث آيات لم يختلف فيها المسلمون.

(١) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٠٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٤.

(٢) ١٧٢: ٢-١٧٤، وانظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٩-١٠، «المبسوط» ١: ١٦، «المغني» ٢: ١٥٢.

وجاء في هذا الحديث أنها له تبارك اسمه، ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عبده، ثم ثلاث آيات لعبده تنتم سبع آيات. فهذا يدل على أن ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، ثم الآية السابعة إلى آخر السورة. وهكذا تكون نصفين بين العبد، وبين ربه، لأنه قال في قوله ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة: فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل. وهؤلاء إشارة إلى جماعة من يعقل، وما لا يعقل، وأقل الجماعة ثلاثة، فعلمنا بقوله (هؤلاء) أنه أراد هؤلاء الآيات، والآيات أقلها ثلاث، لأنه لو أراد اثنتين لقال: هاتان، ولو أراد واحدة لقال: هذه بيني وبين عبدي، وإذا كان من قوله: ﴿أَهْدِنَا﴾ إلى آخر السورة ثلاث آيات كانت السبع آيات، من قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى قوله ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وصحت قسمة السبع على السواء، ثلاث وثلاث، وآية بينهما...

وأجمع القراء والفقهاء على أنها سبع آيات إلا أنهم اختلفوا فمن جعل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب لم يعد ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، ومن لم يجعل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية عد ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، وهو عدد أهل المدينة وأهل الشام، وأهل البصرة، وأما أهل مكة، وأهل الكوفة من القراء والفقهاء فإنهم عدوا فيها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية، ولم يعدوا ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا الحديث أبين ما يروى عن النبي - ﷺ - في سقوط ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من أي فاتحة الكتاب، وهو قاطع لموضع الخلاف...

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١): «فهذا الحديث صحيح صريح في أنها ليست من الفاتحة، ولم يعارضه حديث صحيح صريح».

قلت: وإذا كانت البسمة ليست من الفاتحة، فليست من غيرها من السور من باب أولى.

٦- حديث - عائشة - رضي الله عنها - الطويل في قصة بدء الوحي، وفيه أن أول ما جاءه الملك قال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾، الحديث متفق عليه^(٢).

قال ابن تيمية^(٣) - بعد ما أشار إلى هذا الحديث: «فهذا أول منازل ولم ينزل قبل ذلك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾». وقال في موضع آخر: ^(٤) «فالذين قالوا ليست من السورة قالوا: إن جبريل ما أتى النبي ﷺ يأمره بقراءتها بل أمره أن يقرأ: ﴿يَأْسِرُ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ ولو كانت هي أول السورة لأمره بها».

٧- حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «صليت خلف النبي - ﷺ -، وخلف أبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم، لا في

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧٧-٢٧٨ وانظر ٤٤١.

(٢) أخرجه البخاري - بدء الوحي - حديث ٣، ومسلم - في الإيمان حديث ١٦٠.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧٧.

(٤) ٢٢: ٣٤٩.

أول قراءة ولا في آخرها». رواه مسلم^(١).

٨- حديث عائشة - قالت: «كان رسول الله - ﷺ - يفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بالحمد لله رب العالمين». ^(٢)

٩- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله - ﷺ - إذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين، ولم يسكت». رواه مسلم^(٣).

وهذه الأحاديث الثلاثة، حديث أنس برواياته، وحديث عائشة، وحديث أبي هريرة كلها تدل - كما سيأتي بيان ذلك - على أن الرسول - ﷺ - وخلفاءه، كانوا لا يجهرون بالبسملة، لا أنهم يتركونها - كما زعم بعضهم.

أما ما وجه الدلالة فيها على أن البسملة آية مستقلة؟ فهو كونهم لم يجهروا بها، كبقية آيات الفاتحة إذ لو كانت آية منها لما فرقوا بينها وبين بقية آيات هذه السورة^(٤)، وإذا لم تكن آية من الفاتحة فالأولى أن لا تكون آية من غيرها من السور.

(١) سيأتي تخريجه بروايته في الكلام على حكم الجهر بالبسملة، في المبحث السابع ضمن أدلة القول الثاني وانظر «التحقيق» لابن الجوزي ١: ٢٩٢.

(٢) في الصلاة - باب ما يجمع صفة الصلاة - حديث ٤٩٨، وأبو داود - في الصلاة، - باب من لم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم - حديث ٧٨٣.

(٣) في المساجد ومواضع الصلاة - حديث ٥٩٩، وانظر «أحكام القرآن» للخصاص ١٦: ١.

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧٩، ٤٤١.

١٠- قوله - تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يدل على أن البسملة ليست من الفاتحة، إذ لو كانت منها لكان فيها تكرار قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، والأصل عدم التكرار^(١)، غالباً^(٢).

١١- أن جعل قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ آية واحدة بهذا الطول لا يناسب بقية الآيات، إذ إن غالب السور تكون آياتها متناسبة من حيث الطول والقصر. مما يقوي القول بأن هذه الآية آيتان، وأن البسملة ليست من آيات الفاتحة خلافاً للعدد الموجود في المصاحف.

وإذا لم تكن آية من الفاتحة فالأولى أن لا تكون آية من غيرها من السور.

١٢- كما يقال أيضاً لمن يقول: إنها آية من الفاتحة فقط.

إن الفاتحة سورة من سور القرآن، والبسملة مكتوبة في أولها كلها، فلا فرق بينها وبين غيرها من السور في مثل ذلك. قال ابن تيمية^(٣) «وهذا أظهر وجوه الاعتبار».

(١) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٤٦-١٤٧.

(٢) لأن بعض السور جاء فيها تكرار بعض الآيات لحكم منها ما هو معلوم، ومنها ما لا يعلمه إلا الله من ذلك قوله تعالى في سورة الرحمن ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ فقد جاءت في واحد وثلاثين موضعاً في هذه السورة، ومن ذلك قوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» فقد جاءت في عشرة مواضع من سورة المرسلات.

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٤١.

قال القاضي أبو يعلى^(١): «إن أكثر أهل العلم وجمهورهم على أن قراءتها مستحبة فقط، وهذا يدل على أنها ليست من الفاتحة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢): «وهو قول سائر من حقق القول في هذه المسألة، وتوسط فيها، وجمع بين مقتضى الأدلة وكتابتها سطرًا مفصلاً عن هذه السورة».

وقال أيضاً: «وهذا أعدل الأقوال»^(٣).

(١) في المسائل الفقهية» ١: ١١٨.

(٢) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٥.

(٣) «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٩. وانظر أيضاً ٢٧٦، ٢٧٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٤٠٦، ٤٢١.

المبحث الرابع

السبب في عدم كتابة البسملة في مطلع سورة براءة

أجمع المسلمون على ترك الفصل بالبسملة بين سورة الأنفال وسورة براءة لإجماع المصاحف على ترك التسمية بينهما^(١).

وإذا ابتدأ القارئ بسورة براءة، فإنه يتعوذ فقط، كما لو قرأ من وسطها^(٢).

وقد اختلف في السبب الذي من أجله تركت البسملة في مطلع سورة براءة.

فذهب قوم إلى أن السبب هو كما جاء في حديث ابن عباس^(٣) عن عثمان، رضي الله عنهم - من أن النبي - ﷺ - لم يبين لهم في شأنها شيئاً، وكانت قصتها تشبه قصة الأنفال، فقرنوا بينهما، ولم يكتبوا:

(١) انظر «التبصرة» لمكي ص ٢٤٨، «العنوان في القراءات السبع» ص ٦٥، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٧، «النشر» ١: ٢٦٤.

(٢) في حال الوصل: الأولى الوقف بين الأنفال وبراءة، لأن أواخر السور من أتم التمام، ويجوز الوصل بينهما، ويجوز السكت. وكذا لو وصل براءة بالفاتحة، أو بالأعراف أو بغيرهما من السور، انظر «النشر» ١: ٢٦٩-٢٧٠.

(٣) حديث ابن عباس أخرجه - أبو داود - في الصلاة - باب من جهر بالبسملة حديث ٧٨٦-٧٨٧، والترمذي - في تفسير سورة التوبة حديث ٣٠٨٦، وقال: «حديث حسن صحيح»، وأحمد ١: ٥٧، والحاكم ٢: ٣٣١-٣٣٠ وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وقد ضعف أحمد شاعر هذا الحديث في شرحه للمسند حديث ٣٩٩، كما ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» حديث ١٦٨-١٦٩، وفي «ضعيف سنن الترمذي». حديث ٥٩٩.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقد اختار هذا الطحاوي^(١)، وصححه ابن العربي^(٢).

وقيل: إن ذلك من شأن العرب إذا كان بينهم وبين قوم عهد، فإذا أرادوا نقضه كتبوا لهم كتابا، فلم يكتبوا فيه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فلما نزلت براءة بنقض العهد الذي كان بين رسول الله - ﷺ - وبين المشركين - بعث النبي - ﷺ - علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقرأها عليهم في الموسم، ولم ييسمل على ما جرت به عادتهم.

وقيل: لأن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أمان، وبراءة نزلت بالسيف، ليس فيها أمان، زوي هذا عن علي بن أبي طالب^(٣) وزوي عن المبرد نحوه.

وقيل: لأن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ رحمة، وبراءة سخط.

وقيل: تركت التسمية، إعظاما لبسم الله الرحمن الرحيم، من خطاب المشركين^(٤).

وقيل: لأنهم اختلفوا هل هما سورتان، أو سورة واحدة، فتركت بينهما فرجة لقول من قال: إنهما سورتان، وتركت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لقول من قال: إنهما سورة واحدة، فرضي الفريقان، وثبتت

(١) في «مشكل الآثار» ٢: ١٥٥.

(٢) في «أحكام القرآن» ٢: ٨٩١-٨٩٢.

(٣) أخرجه الحاكم ٢: ٣٣٠.

(٤) هذا فيه نظر لأنه ورد في القرآن سور فيها خطاب المشركين ومع هذا بدئت بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ منها سورة النبا وسورة الكافرون وسورة المسد وغير ذلك.

حجتها في المصحف^(١).

قال القرطبي^(٢): «والصحيح أن التسمية لم تكتب لأن جبريل - عليه السلام - لم ينزل بها في هذه السورة، قاله القشيري».

قلت: وما ذكره القرطبي عن القشيري، هو الذي تطمئن إليه النفس، بل يجب الجزم به، وهو أن جبريل لم ينزل بالبسملة مع هذه السورة، ولو نزلت مع هذه السورة لحفظت مع ما حفظ، ونقلت إلينا، تحقيقاً لوعده الله - تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ الحَافِظُونَ﴾^(٣). ولما لم تنقل، علمنا يقيناً، لا يخالجه شك، أنها لم تنزل مع هذه السورة، لأن الله تكفل بحفظ القرآن، وقد وصل إلينا بحمد الله كاملاً محفوظاً بحفظ الله، وهذا الذي يجب أن يعتقده كل مسلم.

أما ما رُوِيَ عن ابن عباس عن عثمان - رضي الله عنهم - أن النبي - ﷺ - لم يبين لهم في شأن البسملة مع سورة براءة شيئاً، وكانت قصتها تشبه قصة الأنفال، فقرنوا بينهما، ولم يكتبوا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ - فالحديث في هذا ضعيف - كما تقدم بيان ذلك.

أما القول بأن الصحابة اختلفوا، هل الأنفال وبراءة سورة واحدة، أو سورتان... الخ فإن الصحابة - رضوان الله عليهم - إنما أشكل

(١) انظر «معاني القرآن وإعراجه» للزجاج ٤٧٢:٢، «مشكل الآثار» ١٥٥:٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ٨٩١:٢-٨٩٢، «زاد المسير» ٣٨٩:١، «الجامع لأحكام القرآن» ٦١:٦٣، «البرهان» للزركشي ١:٢٦٢-٢٦٣.

(٢) في «تفسيره» ٦٣:٨.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

عليهم - فيما رُوِيَ عنهم ، هل براءة سورة مستقلة أو هي من سورة الأنفال ، ولهذا فصلوا بينهما . أما أن هناك شكاً في نزول البسمة مع هذه السورة أم لا فلا شك بل يجب القطع بأن ما وصل إلينا بين دفتي المصحف ، هو القرآن بكامله ، من غير زيادة أو نقصان .

أما بقية الأقوال ، التي قيلت في عدم ذكر البسمة ، والتي سبق ذكر جملة منها ، فكلها يمكن حملها على البحث عن العلة ، والسبب في عدم نزول البسمة مع هذه السورة ، فهي مجرد تعليقات ، تقبل حيناً وترد أحياناً ، وهي مجرد التماس للحكمة ، وللعلة في عدم نزولها ، مع هذه السورة ، والتعليل قد يكون عليلاً ، فالأولى - والله أعلم - التوقف في هذا .

المبحث الخامس

حكم قراءة البسملة في غير الصلاة

أجمع أهل العلم على مشروعية التسمية، واستحبابها، بعد الاستعادة، تقديمًا للتخلية على التخلية، عند قراءة أول السورة في غير الصلاة، سواء في ذلك سورة الفاتحة، أو غيرها من السور، سوى سورة براءة^(١)، لأنها آية من القرآن الكريم، نزلت مع كل سورة، سوى سورة براءة.

لكن اختلف القراء في قراءتها في حال الوصل بين السور، فقرأ ابن كثير، وقالون، وعاصم، والكسائي بالفضل بالتسمية بين السور، سوى الأنفال وبراءة^(٢).

وروي عن بعض القراء تركها في الوصل منهم حمزة، وروى عن ورش الفضل وعدمه، واختلف عن الباقيين، وهم: خلف وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ونافع، بين الفصل بالبسملة والوصل بين السورتين، أو السكت بينهما^(٣).

والأولى الفصل بالتسمية بين جميع السور سوى سورة براءة، فلا

(١) انظر «التبصرة» لمكي ص ٢٤٩-٢٥٠، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٥، «النشر» ١: ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) انظر «التبصرة» لمكي ص ٢٤٦، «العنوان في القراءات السبع» ص ٦٥، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٨، «النشر» ١: ٢٥٩.

(٣) انظر «التبصرة» لمكي ص ٢٤٧-٢٤٨، «العنوان في القراءات السبع» ص ٦٥، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٦٢-١٥٨، «النشر» ١: ٢٥٩-٢٦٠.

يفصل بالتسمية بينها وبين ما يقرأ قبلها من السور سواء سورة الأنفال أو غيرها - لأن الله أنزل التسمية مع كل سورة سوى سورة براءة، وكذا لو كرر السورة فوصل بين آخرها وأولها فالأولى الفصل بالبسملة^(١) - وإن كانت ليست آية من كل سورة - كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «كان النبي - ﷺ - لا يعرف فصل السورة، حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم»^(٢)، ولأن ذلك هو الموافق لرسم المصحف، ومن شرط صحة القراءة موافقتها لرسم المصحف^(٣)، باتفاق أهل العلم، ولهذا أكثر القراء على الفصل بها بين السور، وكل من رُوِيَ عنه الوصل، فقد رُوِيَ عنه خلافه.

والأولى: في حال الابتداء بأول السورة أن يستعيد ثم يقف، ثم يُسمي ويقف، ثم يشرع في أول السورة، لأن الوقف على الاستعاذة تام، وكذا الوقف على البسملة، ولأن الثابت أن الرسول - ﷺ - كما في حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أنه كان يقطع قراءته آية آية^(٤).

ويجوز أن يصل الاستعاذة بالبسملة، ثم يقف، ثم يشرع بأول السورة ويجوز أن يستعيد ثم يقف، ثم يسمي ويصل بالبسملة بالسورة، ويجوز وصل الجميع، وصل الاستعاذة بالبسملة، ووصل البسملة

(١) انظر «النشر» ١: ٢٧٠.

(٢) سبق تخريجه في المبحث الثالث من هذا الفصل ضمن أدلة القول الرابع.

(٣) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٢: ٣٥٢.

(٤) سبق تخريجه في المبحث الرابع من هذا الفصل ضمن أدلة القول الثاني.

بالسورة^(١).

وفي حال الوصل بين سورة وأخرى الأولى الوقف على نهاية السورة الأولى، لأن أواخر السور من أتم التمام، ثم يسمى ويقف، ثم يبدأ بأول السورة الأخرى، سواء كانت السورتان متواليتين في ترتيب المصحف أم غير متواليتين.

ويجوز أن يقف على آخر السورة، ثم يبسم، ويصل بالبسملة بأول السورة الأخرى، ويجوز وصل آخر السورة بالبسملة، ووصل البسملة بأول السورة الأخرى، وهو دون الثاني.

ويمتنع وصل البسملة بآخر السورة، ثم الوقف عليها، لأن البسملة إنما شرعت في الابتداء، لا في الانتهاء^(٢).

أما في أوساط السور فيتعوذ فقط، ولا يبسم عند أكثر أهل العلم، وهو الصحيح، وقيل يستعيد ويبسم، وقيل يبسم فقط^(٣).

وقد تقدم هذا في الكلام على الاستعاذة.

(١) انظر «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٤، «النشر» ١: ٢٦٥-٢٦٨.

(٢) انظر «التبصرة» لمكي ص ٢٤٨-٢٤٩، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٥٨، «النشر» ١: ٢٦٧-٢٧٠.

(٣) انظر «التبصرة» ص ٢٤٩، «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٦٢-١٦٣، «النشر» ١: ٢٦٥.

المبحث السادس

حكم قراءة البسملة في الصلاة

اختلف العلماء في حكم قراءة البسملة في الصلاة على أقوال:
القول الأول:

أنها تجب قراءتها في الصلاة، وجوب الفاتحة، لأنها آية منها.

وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر، والزهري، ومجاهد، ويحيى ابن جعدة^(١) وإسحاق^(٢)، وأبي ثور، وأبي عبيد^(٣)، وهو المشهور من مذهب الشافعي^(٤)، ورواية عن الإمام أحمد^(٥). وهذا على أن البسملة آية من الفاتحة^(٦)، فتجب قراءتها عندهم كما تجب قراءة بقية آيات الفاتحة، كما يشرع الجهر بها عندهم، كما يجهر ببقيّة آيات الفاتحة. وسيأتي ذكر أدلتهم ومناقشتها عند ذكر قول من قال بالجهر بالبسملة في المبحث السابع إن شاء الله تعالى.

القول الثاني:

أن قراءتها في الصلاة مستحبة مع الفاتحة، ومع كل سورة، سوى

(١) انظر «الاستذكار» ٢: ١٨١.

(٢) أخرجه عن إسحاق ابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٧٦.

(٣) انظر «الجامع لأحكام القرآن» ٧: ٩٦.

(٤) انظر «الأم» ١: ١٠٧، ١٠٨، «المهذب» ١: ٧٩، «المجموع» ٣: ٣٣٢-٣٣٣.

(٥) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٥٣، ٤٣٥، ٤٣٩.

(٦) انظر «المصدر السابق» ٢٢: ٣٥٣، ٤٣٤، ٤٤٠.

سورة براءة، كما في المصحف، وهو قول جمهور أهل العلم^(١)، منهم: أبو حنيفة^(٢)، وأحمد في المشهور عنه^(٣)، وأكثر أهل الحديث^(٤)، لأنها آية مستقلة من القرآن، وليست آية من السورة، لا من سورة الفاتحة، ولا من غيرها من السور، فلا تجب قراءتها، لا مع الفاتحة، ولا مع غيرها، لكن تستحب قراءتها معها، ومع كل سورة سوى براءة، لإثباتها في المصحف معها، ومع بقية السور، سوى براءة. وأيضاً فقد ثبت في حديث أنس وعائشة وأبي هريرة - رضي الله عنهم - أن الرسول - ﷺ - وخلفاءه، لا يجهرون بها^(٥)، فلو كانت قراءتها واجبة، وجوب الفاتحة لجهروا بها، كما يجهرون ببقية آيات الفاتحة.

القول الثالث:

أنه لا تشرع قراءتها في المكتوبة، لا سراً ولا جهراً.

وهذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك، إلا أنه قال بقراءة البسمة في النفل وقيام الليل، ولمن يعرض القرآن عرضاً^(٦).

- (١) انظر «المغني» ٢: ١٤٧، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧٦، ٤٣٦.
- (٢) انظر «المبسوط» ١: ١٥٠، «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١٣-١٤، «فتح القدير» لابن الهمام ١: ٢٩١، ٢٩٣.
- (٣) انظر «مسائل الإمام أحمد» رواية النيسابوري ١: ٥٢-٥٣، «المسائل الفقهية» ١: ١١٨، «الأفصاح» ١: ١٢٥-١٢٦، «المغني» ٢: ١٤٧، ١٥١، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٦.
- (٤) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٦.
- (٥) سيأتي تخريجها في المبحث السادس من هذا الفصل ضمن أدلة القول الثاني.
- (٦) انظر «المدونة» ١: ٦٤، «الكافي» لابن عبد البر ١: ١٧٠، «الاستذكار» ٢: ١٥٤، ١٧٥، ١٨٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٣، «بداية المجتهد» ١: ٨٩، «الجامع لإحكام

ونُقل القول بعدم مشروعية قراءتها أيضا عن الأوزاعي^(١).
وهذا القول مبني على أن البسملة ليست آية من القرآن، لا في أول
الفاتحة ولا في أوائل السور، وليست آية مستقلة من القرآن - وقد تقدم
بيان ضعف هذا القول^(٢).

وقد استدل من ذهب إلى هذا القول بأحاديث أنس وعائشة،
وعبدالله بن مغفل - رضي الله عنهم - والتي فيها أن الرسول - ﷺ -
وخلفاءه كانوا يستفتحون القراءة والصلاة بالحمد لله رب العالمين^(٣).
وحديث أبي هريرة الذي فيه قوله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين
عبدي نصفين...»^(٤).

لكن هذه الأحاديث ليس فيها نفي قراءتها مطلقاً، وإنما فيها نفي
قراءتها جهراً - كما جاء في بعض روايات حديث أنس قوله: «فكانوا لا
يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم». وفي بعض الروايات «فكانوا يسرون
ببسم الله الرحمن الرحيم». وسيأتي ذكر رواياته وتخريجها، هو
وحديث عائشة، وعبدالله بن مغفل، في الكلام على حكم الجهر

- = القرآن» للقرطبي ١: ٩٥-٩٦.
- (١) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٧، «الاعتبار» للحازمي ص ٨١، «المغني» ٢: ١٤٧، «مجموع
الفتاوى» ٢٢: ٤٠٧.
- (٢) راجع ص ١٠٤.
- (٣) انظر «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٣، «المغني» ٢: ١٤٧، «مجموع الفتاوى»
٢٢: ٤١٣، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٦.
- (٤) انظر «الاستذكار» لابن عبدالبر ٢: ١٥٤.

بالبسمة والإسرار بها^(١).

قال أبو بكر بن خزيمة - بعد أن أخرج روايات حديث أنس، والتي في بعضها التصريح بأن الرسول - ﷺ - وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يسرون بسم الله الرحمن الرحيم، ولا يجهرون بها.

قال ابن خزيمة: «هذا الخبر يصرح بخلاف ما توهم من لم يتبحر العلم، وادعى أن أنس بن مالك أراد بقوله: «كان النبي - ﷺ - وأبو بكر وعمر يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين، وبقوله: «لم أسمع أحداً منهم يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أنهم لم يكونوا يقرؤون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ جهراً، ولا خفياً. وهذا الخبر يصرح أنه أراد أنهم كانوا يسرون به ولا يجهرون به عند أنس»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣)، بعد أن نفى دلالة حديث أنس على ترك قراءة البسمة، وبين أنه إنما يدل على ترك الجهر بها قال: «وأما كون الإمام لم يقرأها، فهذا لا يمكن إدراكه، إلا إذا لم يكن له بين التكبير والقراءة سكتة، يمكن فيها القراءة سراً، ولهذا استدل بحديث أنس على عدم القراءة، من لم ير هناك سكوتاً كاملاً وغيره، لكن ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه قال: يارسول الله. «أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول؟ قال: أقول: كذا وكذا

(١) ص ١٣٤-١٤٠.

(٢) في «صحيحه» ١: ٢٥٠، وانظر «المغني» ٢: ١٤٩-١٥١.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤١٣-٤١٥.

إلى آخره»، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمران وأبي وغيرهما أنه كان يسكت قبل القراءة، وفيها أنه كان يستعيد، وإذا كان له سكوت، لم يمكن أنسا أن ينفي قراءتها في ذلك السكوت، فيكون نفيه للذكر، وإخباره بافتتاح القراءة بها، إنما هو في الجهر، وكما أن الإمساك عن الجهر مع الذكر يسمى سكوتا، كما في حديث أبي هريرة فيصلح أن يقال: لم يقرأها، ولم يذكرها، أي جهرا، فإن لفظ السكوت، ولفظ نفي الذكر والقراءة مدلولهما هنا واحد.

وقد اختلف العلماء فيما إذا جهر الإمام ولم يسكت هل يبسم المأموم أو لا: على قولين منهم: من قال: لا يبسم ولا يقرأ بل يجب عليه الإنصات، وقال بعض أهل العلم: بأنه يستعيد ثم يبسم ويقرأ الفاتحة وذلك لأن قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة والاستعاذة والبسملة تشرع قراءتها تبعاً لها.

وهذه المسألة مبينة على اختلافهم في حكم قراءة الفاتحة في حق المأموم^(١).

(١) راجع ما سبق ص ٦٢ وانظر «حكم قراءة الفاتحة في حق المأموم» ص ٣٥٤ وما بعدها.

المبحث السابع

حكم البسمة من حيث الجهر بها والإسرار،
في الصلاة، أو خارجها

أما في غير الصلاة:

فأكثر القراء على الجهر بها^(١)، ورؤي عن بعضهم إخفاؤها، منهم حمزة، ونافع^(٢)، ورؤي عنهما الجهر بها^(٣).

وأخذ بعض أهل الأداء بالتسمية جهراً لجميع القراء وأخذ بعض أهل الأداء لهم إخفاءها^(٤).

وأما في الصلاة فاختلف أهل العلم في ذلك على أقوال:
القول الأول:

أنه يسن الجهر بها في الصلاة الجهرية، والإسرار بها في الصلاة السرية.

وهو مروى عن عمر، وعلي وعبد الله بن الزبير^(٥) وابن عباس وابن

(١) انظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١: ١١-١٢، «النشر» ١: ٢٦٥.

(٢) انظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١: ١١-١٢.

(٣) انظر «التبصرة» لمكي ص ٢٤٥، «الكشف عن وجوه القراءات» ١: ١١-١٢، «النشر» ١: ٢٧١.

(٤) انظر «الإقناع في القراءات السبع» ١: ١٦٢.

(٥) أخرجه عن عمر، وابن الزبير ابن أبي شيبه في «المصنف» ١: ٤١٢، وأخرجه عنهما وعن علي البيهقي - في الصلاة - باب قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» ٢: ٤٨-٤٩.

عمر، وأبي هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان^(١)، وشداد بن أوس^(٢) - رضي الله عنهم - .

ومن التابعين: سعيد بن جبير^(٣)، ومحمد بن شهاب الزهري^(٤)، ومجاهد وعطاء وطاوس^(٥) .

وحكاه ابن كثير - أيضاً^(٦) - عن عكرمة، وأبي قلابة، وعلى بن الحسين وابنه محمد، وسعيد بن المسيب، وسالم، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وأبي وائل، وابن سيرين، ومحمد بن المنكدر ونافع مولى ابن عمر، وعمر بن عبدالعزيز، والأزرق بن قيس، وحيب بن أبي ثابت، وأبي الشعثاء، وعبدالله بن معقل بن مقرن، وعبدالله بن صفوان، ومحمد بن الحنفية وعمرو بن دينار.

(١) أخرجه عن ابن عمر وأبي هريرة ابن أبي شيبة ٤١٢:١، وأخرجه عن ابن عمر وابن عباس - النحاس في «القطع والائتناف» ١٠٤:١-١٠٥، وأخرجه عنهم وعن معاوية - البيهقي ٤٦:٢-٥٠ .

(٢) أخرجه عن شداد النحاس في «القطع والائتناف» ١٤:١ .

(٣) أخرجه عن سعيد بن جبير - عبدالرزاق - في الصلاة - باب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) - الأثر ٢٦١٤، وابن أبي شيبة ٤١٢:١، والنحاس في «القطع والائتناف» ١٠٦:١ .

(٤) أخرجه عن الزهري - البيهقي ٥٠:٢ .

(٥) أخرجه عن مجاهد وعطاء وطاوس ابن أبي شيبة ٤١٢:١، وأخرجه النحاس عن مجاهد وعطاء في «القطع والائتناف» ١٠٦:١ .

(٦) في «تفسيره» ٣٥:١-٣٦ .

وهو المشهور من مذهب الشافعي^(١). ونسب لأحمد في رواية له^(٢). ولكن قال ابن قدامة^(٣): «ولا تختلف الرواية عن أحمد أن الجهر بها غير مسنون».

وقال ابن تيمية^(٤): «وقد حكى القول بالجهر عن أحمد وغيره، بناء على إحدى الروايتين عنه، من أنها من الفاتحة فيجهر بها كما يجهر بسائر الفاتحة، وليس هذا مذهبه، بل يخافت بها عنده»، وروي عن الليث بن سعد^(٥)، وأبي عبيد^(٦)، وداود الظاهري^(٧).

وقد سبقت الإشارة - في المبحث السادس - إلى أن أدلة القائلين بوجوب قراءة البسملة في الصلاة هي نفسها أدلة القائلين بالجهر بها ومنها ما يلي:

- ١- أن الصحابة كتبوها في المصحف، مع أنهم جردوه عما ليس من القرآن^(٨)، مما يدل على وجوب قراءتها والجهر بها.
- والجواب عن هذا: أنه إنما تجب قراءتها لو كانت من السورة،

(١) انظر «الأم» ١: ١٠٧، «المهذب» ١: ٧٩، «الاعتبار» للحازمي ص ٨٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٣٥.
 (٢) انظر «الاعتبار» ص ٨٢.
 (٣) في «المغني» ٢: ١٤٩.
 (٤) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٤٢.
 (٥) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٦.
 (٦) انظر «الاعتبار» ص ٨١.
 (٧) انظر «الاستذكار» ٢: ١٧٧.
 (٨) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٢.

وبخاصة مع الفاتحة، والصحيح أنها آية مستقلة من القرآن - كما تقدم بيان ذلك في المبحث الثالث.

٢- ما رواه نعيم بن المجمر قال: «صليت وراء أبي هريرة، فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم قرأ بأم القرآن، حتى بلغ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقال: آمين. فقال الناس: آمين. ويقول كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين، قال: الله أكبر، وإذا سلم قال: والذي نفسي بيده، إني لأشبهكم صلاة برسول الله - ﷺ»^(١).

قالوا: فهذا الحديث يدل على مشروعية الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم، لأن قوله «فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يؤخذ منه أنه قرأها جهراً، وإلا فكيف يعلم أن أبا هريرة قرأها، وحيث قال أبو هريرة في نهاية الحديث: «والذي نفسي بيده، إني لأشبهكم صلاة برسول الله - ﷺ». فهذا يدل على أنه - ﷺ - يجهر بها.

وقد أجاب أهل العلم من القائلين بعدم الجهر عن هذا الحديث بجوابين:

الأول: من حيث صحة سنده، فقد ضعفه جمع من أهل العلم.

(١) أخرجه النسائي - في الصلاة - في الافتتاح - قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) - حديث ٩٠٥ وقال الألباني: «ضعيف الإسناد».

وأخرجه ابن خزيمة - في الصلاة - باب ذكر الدليل على أن الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم والمخافتة به جميعاً مباح - حديث ٤٩٩، والدارقطني - في الصلاة - باب وجوب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) حديث ١٤. وقال: «صحيح، رواه كلهم ثقات»، والحاكم - في الصلاة - ٢٣٢: ١، وقال «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» والبيهقي ٤٦: ٢، وقال «إسناده صحيح وله شواهد».

وقد أطال الزيلعي في «نصب الراية»^(١) في ذكر كلام الأئمة في تضعيفه، وأجاب عنه، وأعله من وجوه عدة، وكذا أعله وأجاب عنه من وجوه عدة الزبيدي^(٢)، كما ضعف إسناده الألباني^(٣).

الجواب الثاني أن دلالة على الجهر ليست صريحة - على فرض صحته، فيحتمل أن أبا هريرة أسر بها، ويحتمل أنه قصد تعليمهم، أو غير ذلك.

قال الجصاص^(٤): حديث نعيم بن المجرم لا دلالة فيه على الجهر بها، لأنه إنما ذكر أنه قرأها، ولم ينقل عنه أنه جهر بها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٥) «فإن العارفين بالحديث يقولون: إنه عمدتهم في هذه المسألة، ولا حجة فيه... فقد يكون أبو هريرة قصد تعريفهم أنها تقرأ في الجملة، وإن لم يجهر بها، وحينئذ فلا يكون هذا مخالفاً لحديث أنس الذي في الصحيح وحديث عائشة الذي في الصحيح، هذا إذا كان الحديث دالاً على أنه جهر بها، فإن لفظه ليس صريحاً بذلك من وجهين، أحدهما: أنه قال قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فيحتمل أنه قرأها سراً... الثاني: أنه لم يخبر أن

(١) ٣٤١-٣٣٥:١.

(٢) انظر «الرد على من أبى الحق»، وادعى أن الجهر بالبسملة من سنة سيد الخلق» ١٩:١ وما بعدها.

(٣) راجع تخريج الحديث.

(٤) في «أحكام القرآن» ١:١٦٠.

(٥) في «مجموع الفتاوى» ٢٢:٤٢٢، ٤٢٥، وانظر أيضاً: «نصب الراية» ١:٣٤١-٣٣٥.

«الرد على من أبى الحق» ١:٢١ - وما بعدها.

النبي - ﷺ - قرأها، وإنما قال في آخر الصلاة: «إني لأشبهكم صلاة برسول الله - ﷺ».

وفي الحديث: أنه آمن، وكبر في الخفض والرفع، وهذا ونحوه مما كان يتركه الأئمة، فيكون أشبههم برسول الله - ﷺ - من هذه الوجوه التي فيها ما فعله الرسول - ﷺ - وتركوه هم، ولعل قراءتها مع الجهر أشبه بصلاة رسول الله - ﷺ - من تركها».

٣- ما رواه أنس بن مالك: أن معاوية لما قدم المدينة - صلى بهم، فلم يجهر بالبسملة، فأنكر عليه المهاجرون والأنصار، فأعاد بهم الصلاة وجهر بها»^(١).

قالوا: فإنكار المهاجرين والأنصار على معاوية ترك الجهر بالبسملة، وإعادته الصلاة بهم، والجهر بها، يدل على أن السنة الجهر.

وهذا الحديث ضعفه من حيث سنده وامتته عدد من المحققين، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢)، فقد ضعفه من وجوه ستة، ثم قال

(١) أخرجه - الدارقطني - في الصلاة - وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم والجهر بها، حديث ٣٣، وقال عن رجاله «كلهم ثقات»، والشافعي، في «الأم» ١: ٩٣-٩٤. والحاكم ١: ٢٣٢. وقال «صحيح على شرط مسلم». قال الخطيب فيما نقله الزيلعي في «نصب الراية» ١: ٣٥٣: «هو أجود ما يعتمد عليه في هذا الباب». وانظر «سنن البيهقي» ٢: ٤٩، «الاستذكار» ٢/ ١٨٠.

وقد ضعف هذا الحديث جمع من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، والزيلعي، والزيدي، وغيرهم - كما هو مذكور بعاليه.

(٢) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٠-٤٣٢.

بعدها: «فهذه الوجوه وأمثالها، إذا تدبرها العالم، قطع بأن حديث معاوية إما باطل لا حقيقة له، وإما مغير عن وجهه، وأن الذي حدث به بلغه من وجه ليس بصحيح، فحصلت الآفة من انقطاع إسناده. وقيل: هذا الحديث لو كان تقوم به حجة، لكان شاذاً، لأنه خلاف ما رواه الناس الثقات الأثبات عن أنس وعن أهل المدينة وأهل الشام، ومن شرط الحديث الثابت ألا يكون شاذاً، ولا معللاً، وهذا شاذ معلل، وإن لم يكن من سوء حفظ بعض رواه...»

كما ضعفه الزيلعي^(١) والزيدي^(٢) من حيث سنده ومتمنه من وجوه عدة، وذكرنا كلام الأئمة في تضعيفه.

٤- ما رواه أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبي - ﷺ - فقال: «كانت مدا يمد (بسم الله)، ويمد ب(الرحمن)، ويمد ب(الرحيم)». رواه البخاري^(٣).

٥- ما روته أم سلمة، قالت: «كان النبي - ﷺ - يقطع قراءته تقطيعاً ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾... الحديث» رواه أبو داود وغيره^(٤).

(١) في «نصب الراية» ١: ٣٥٣-٣٥٥.

(٢) انظر «الرد على من أبي الحق» ص ٤٣.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث في ذكر أدلة من قال: البسمة آية من الفاتحة في المبحث الثالث، من هذا الفصل.

(٤) سبق تخريج هذا الحديث في ذكر أدلة من قال: البسمة آية من الفاتحة في المبحث الثالث، من هذا الفصل.

قالوا: فهذان الحديثان يدلان على أنه - ﷺ - كان يجهر بالبسملة والصحيح أنه لا حجة في هذين الحديثين، لأنه ليس فيهما ما يدل صراحه على أنه - ﷺ - كان يفعل ذلك في الصلاة^(١).

٦- ما رواه المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أنس قال: «كان رسول الله - ﷺ - يجهر بالقراءة بيسم الله الرحمن الرحيم»^(٢).

وهذا الحديث - وإن صححه الحاكم - ففيه نظر، لأنه يعارض ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أنس وغيره، من عدم جهر الرسول - ﷺ -، وخلفائه بها - كما سيأتي في أدلة القول التالي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣): «يعلم أولاً أن تصحيح الحاكم وحده وتوثيقه وحده لا يوثق به فيما دون هذا، فكيف في مثل هذا الموضوع الذي يعارض فيه بتوثيق الحاكم، وقد اتفق أهل العلم بالصحيح على خلافه، ومن له أدنى خبرة في الحديث وأهله، لا يعارض بتوثيق الحاكم، ما قد ثبت في الصحيح خلافه...».

إلى غير ذلك من الأحاديث التي استدلوا بها^(٤) وهي بين ضعيف، أو موضوع، أو مما لا حجة لهم فيه، كما بين ذلك جمع من

(١) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١٦.

(٢) أخرجه الدارقطني في الصلاة - وجوب قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» - حديث ٢٦، والحاكم ١: ٢٣٤ وقال: «رواة هذا الحديث كلهم عن آخرهم ثقات» ووافقه الذهبي.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٢٦-٤٣٠. وانظر «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية أيضاً، ١: ٩٧-١٠٠. «الرد على من أبى الحق» ١: ٣٩-٤١.

(٤) انظر «الاستدكار» ٢: ١٧٧.

المحققين.

قال الدارقطني^(١): «كل ما رُوِيَ عن النبي - ﷺ - في الجهر فليس بصحيح، وأما عن الصحابة فمنه صحيح ومنه ضعيف».

وقال ابن الجوزي في «التحقيق»^(٢) بعد أن ذكر الأحاديث التي استدل بها الشافعية على الجهر وبين ضعفها: «وهذه الأحاديث في الجملة لا يحسن بمن له علم بالنقل أن يعارض بها الأحاديث الصحاح... ويكفي في هجرانها إعراض المصنفين للمسانيد والسنن عن جمهورها» - وبعد أن ذكر قول الدارقطني السابق قال: «ثم إنا بعد ذلك نحمل أحاديثهم على أحد أمرين: إما أن يكون جهر بها للتعليم، كما رُوِيَ أنه كان يصلي بهم الظهر فيسمعهم الآية والآيتين، بعد الفاتحة أحياناً...».

وقال ابن قدامة^(٣): «وسائر أخبار الجهر ضعيفة فإن رواتها هم رواة الإخفاء، وإسناد الإخفاء صحيح ثابت بغير خلاف فيه، فدل على ضعف رواية الجهر».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤): «وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أنه ليس في الجهر بها حديث صريح، ولم يرو أهل السنن

(١) انظر «التحقيق» لابن الجوزي ١: ٣١٣.

(٢) ١: ٣١٢، وانظر ٣٠١-٣١٤. وانظر «التفتيح» ٢: ٧٩٨-٨٣١، «الرد على من أبي الحق» ص ٦٧-٧٢.

(٣) في «المغني» ٢: ١٥١.

(٤) في «الفتاوى» ٢٢: ٤١٥.

المشهوره: كأبي داود والترمذي والنسائي شيئا من ذلك، وإنما يوجد الجهر بها صريحاً في أحاديث موضوعة يروها الثعلبي والماوردي وأمثالهما في التفسير، أو في بعض كتب الفقهاء، الذين لا يميزون بين الموضوع وغيره، بل يحتجون بمثل حديث الحميراء».

وقال - أيضاً^(١) - بعدما ذكر مذهب القائلين بالجهر بالبسملة: «واعتمدوا على آثار منقولة بعضها عن الصحابة، وبعضها عن النبي - ﷺ -، فأما المأثور عن الصحابة كابن الزبير ونحوه، ففيه صحيح، وفيه ضعيف، وأما المأثور عن النبي - ﷺ - فهو ضعيف، أو موضوع، كما ذكر ذلك حفاظ الحديث، كالدارقطني وغيره...».

وقال - أيضاً^(٢) - : «وإنما كثر الكذب في أحاديث الجهر، لأن الشيعة ترى الجهر، وهم أكذب الطوائف فوضعوا في ذلك أحاديث لبسوا بها على الناس دينهم، ولهذا يوجد في كلام أئمة السنة من الكوفيين كسفيان الثوري أنهم يذكرون من السنة المسح على الخفين، وترك الجهر بالبسملة، كما يذكرون تقديم أبي بكر وعمر، ونحو ذلك، لأن هذا من شعار الرافضة، ولهذا ذهب أبو علي بن أبي هريرة أحد الأئمة من أصحاب الشافعي إلى ترك الجهر بها، قال: لأن الجهر بها صار من شعار المخالفين».

(١) في «الفتاوى» ٢٢: ٤٤١.

(٢) في «الفتاوى» ٢٢: ٤٢٣.

وقال ابن القيم^(١) مشيراً إلى أحاديث الجهر: «فصحيح تلك الأحاديث غير صريح وصریحها غير صحيح».

وقد أطال الزيلعي في «نصب الراية»^(٢) في ذكر كلام أهل العلم في تضعيف الأحاديث والآثار الواردة في الجهر بالبسملة، ثم قال:^(٣)

«وبالجملة هذه الأحاديث ليس فيها صريح، ولا صحيح، بل فيها عدمهما، أو عدم أحدهما. وكيف تكون صحيحة، وليست مخرجة في شيء من الصحيح، ولا المسانيد، ولا السنن المشهورة، وفي روايتها الكذابون والضعفاء والمجاهيل...».

كما ضعف أحاديث الجهر الزبيدي^(٤).

القول الثاني:

أنه يسن الإسرار بالبسملة في الصلاة مطلقاً، وهو قول جمهور أهل العلم من المحدثين والفقهاء وغيرهم^(٥).

وهو الثابت عن الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان^(٦)، وعلي^(٧)،

(١) في «زاد المعاد» ١: ٢٠٦.

(٢) ١: ٣٢٥-٣٦٣.

(٣) ١: ٣٥٥-٣٥٦.

(٤) انظر «الرد على من أبي الحق» ص ١٨-٥٢.

(٥) انظر «سنن الترمذي» ٢: ١٤، «الاعتبار» للحازمي ص ٨١، «المغني» ٢: ١٤٩.

(٦) بدليل حديث أنس الأتي قريباً. وانظر «سنن الترمذي» ٢: ١٤، «أحكام القرآن»

للجصاص ١: ١٧، «الاستذكار» ٢: ١٧٧، «الاعتبار» للحازمي ص ٨١، «زاد المسير»

١: ٧، «المغني» ٢: ١٤٩.

(٧) أخرجه عن علي بن أبي طالب - عبدالرزاق - في الصلاة - الأثر ٢٦٠١، وابن أبي شبة =

وعن أنس^(١)، وعائشة^(٢) ورؤي عن ابن عباس^(٣)، وبه قال ابن مسعود، وعبدالله بن الزبير، وعمار بن ياسر وعروة بن الزبير، وأبو وائل، ومحمد بن سيرين، والحكم بن عتيبة، وإبراهيم النخعي^(٤)، والحسن وقتادة وعمر بن عبدالعزيز^(٥)، وعكرمة^(٦)، والأوزاعي، وسفيان الثوري^(٧)، وسعيد بن جبيرة والأعمش والشعبي^(٨)، وأبو حنيفة وأصحابه^(٩)، وأحمد بن حنبل^(١٠) وعبدالله بن المبارك، وإسحاق بن راهوية^(١١)، وأبو عبيد^(١٢)، وجماعة من أصحاب

= ٤١١:١، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٢٠٤:١، وابن عبد البر في «الاستذكار» ١٧٨:٢.

(١) أخرجه عن أنس ابن أبي شيبه ٤٠١:١ وسيأتي ص ١٤٩ ذكر روايته ذلك عن الرسول - ﷺ - وخلفائه.

(٢) سيأتي ذكر حديثها ضمن أدلة هذا القول الدليل رقم ٢.

(٣) أخرجه عن ابن عباس - عبدالرزاق الأثر ٢٦٠٥، وابن أبي شيبه ٤١١:١، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٢٠٤:١.

(٤) أخرجه عنهم جميعا ابن أبي شيبه ٤١٠-٤١١، وانظر «الاستذكار» ١٧٩:٢.

(٥) أخرجه عن الحسن وقتادة وعمر بن عبدالعزيز - عبدالرزاق الأثر ٢٦٠٤.

(٦) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١٥:١.

(٧) انظر «الاستذكار» ١٥٤:١، ١٧٦-١٧٧، «المغني» ١٤٩:٢، «الجامع لأحكام القرآن» ٩٦:١.

(٨) انظر «زاد المسير» ٨:١.

(٩) انظر «المبسوط» ١٥:١، «أحكام القرآن» للجصاص ٨:١، ٩، ١٥، «فتح القدير» لابن الهمام ٢٩١:١، «نصب الراية» ٣٢٨:١.

(١٠) انظر «مسائل الإمام أحمد» رواية النيسابوري ٥٢:١، ٥٣، ٥٥، «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص ٧٦ «زاد المسير» ٧:١، «المغني» ١٤٩:٢، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٣٥٣:٢٢، ٤٢٤، ٤٤٢.

(١١) انظر «سنن الترمذي» ١٤:١، «المغني» ١٤٩:٢.

(١٢) انظر «أحكام القرآن» للقرطبي ٩٦:١.

الشافعي^(١) وغيرهم كثير^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول بأحاديث صحيحة صريحة منها:

١- ما رواه أنس بن مالك عن النبي - ﷺ - وعن الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - أنهم كانوا لا يجهرون بـ«بسم الله الرحمن الرحيم».

وقد أخرج الأئمة عن أنس، منهم البخاري ومسلم، وأصحاب السنن، وغيرهم بروايات وألفاظ متعددة فأخرجه البخاري^(٣) عن أنس ابن مالك - بلفظ: «أن النبي - ﷺ - وأبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين».

وأخرجه مسلم عن أنس بلفظ: «صليت خلف النبي - ﷺ - وأبي بكر، وعمر، وعثمان، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في أول قراءة، ولا في آخرها».

وفي لفظ آخر عند مسلم - أيضاً^(٤) - «صليت مع رسول الله - ﷺ - وأبي بكر وعمر، وعثمان، فلم أسمع أحدا منهم، يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾».

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٤٤٢: ٢٢.

(٢) انظر «الاستذكار» ١: ١٥٤، «الرد على من أبي الحق» ص ٦٤-٦٦.

(٣) حديث ٧٨٢، والنسائي حديث ٨٦٧، والترمذي حديث ٢٤٦، وابن ماجه حديث ٤٩١ - كلهم بنحوه إلا أن عندهم «يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين».

(٤) في الصلاة - حجة من قال: لا يجهر بالبسملة - حديث ٣٩٩.

وأخرجه النسائي^(١) عن أنس بلفظ: «صلى بنا رسول الله - ﷺ - فلم يسمعنا قراءة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، وصلى بنا أبو بكر وعمر، فلم نسمعها منهما».

وفي لفظ آخر للنسائي^(٢) عن أنس قال: «صليت خلف رسول الله - ﷺ - وأبي بكر، وعمر، وعثمان - رضي الله عنهم - فلم أسمع أحدا منهم يجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾». وأخرجه بهذا اللفظ الدارقطني^(٣)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»^(٤)، وابن خزيمة^(٥) أيضا بهذا اللفظ، إلا أنه قال: «فلم أسمع أحدا منهم يقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾».

وأخرجه الإمام أحمد^(٦) بلفظ: «صليت مع رسول الله - ﷺ - ومع أبي بكر وعمر فلم يجهروا بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾»، وأخرجه بلفظه ابن خزيمة^(٧)، وفي رواية له^(٨) وللدارقطني^(٩) بهذا اللفظ، وزادا

(١) حديث ٨٧٠.

(٢) حديث ٨٧١.

(٣) في «سننه كتاب الصلاة - اختلاف الروايات في الجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾» حديث (١).

(٤) ٢٠٢: ١.

(٥) حديث ٤٩٤.

(٦) المسند ٣: ٢٦٤.

(٧) حديث ٤٩٧.

(٨) حديث ٤٩٥.

(٩) في الباب السابق حديث ٣، ٤، ٥.

«وعثمان». وفي لفظ لابن خزيمة^(١): «أن النبي - ﷺ - لم يجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان» وفي لفظ له - أيضاً^(٢) -: «أن رسول الله - ﷺ - كان يسر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في الصلاة وأبو بكر وعمر». وفي لفظ للطحاوي^(٣): «لم يكن رسول الله - ﷺ -، ولا أبو بكر، ولا عمر - رضي الله عنهما - يجهرون بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾».

فحديث أنس هذا بروايته كلها، يدل على أن الثابت من فعل الرسول - ﷺ - وخلفائه الاسرار بالبسملة، وعدم الجهر بها^(٤).

قال الدارمي في «سننه»^(٥) مَبُوباً: «باب كراهية الجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثم أخرج حديث أنس بلفظ «أن النبي - ﷺ - وأبا بكر وعمر وعثمان، كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين». قال الدرامي: وبهذا نقول ولا أرى الجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

وقال ابن خزيمة في «صحيحه»^(٦) مَبُوباً: باب ذكر الدليل على أن أنسا إنما أراد بقوله: «لم أسمع أحداً منهم يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾: أي لم أسمع أحداً منهم يقرأ جهراً ﴿بسم الله الرحمن

(١) حديث ٤٩٦.

(٢) حديث ٤٩٨.

(٣) في «شرح معاني الآثار» ١: ٢٠٣، وانظر «نصب الراية» ١: ٣٢٦-٣٢٧.

(٤) انظر «التحقيق» ١: ٢٩٨، «المغني» ٢: ١٥٠.

(٥) ٢٨٣: ١.

(٦) ٢٤٩: ١.

الرحيم ﴿﴾ ، وأنهم كانوا يسرون بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في الصلاة .

وقال الطحاوي في «شرح معاني الآثار»^(١) بعد أن ذكر روايات حديث أنس : «ففي ذلك دليل على أنهم يقولونها من غير طريق الجهر، ولولا ذلك لما كان لذكرهم نفي الجهر معني، فثبت بتصحيح هذه الآثار ترك الجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾» .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) : «أما حديث أنس في نفي الجهر، فهو حديث صريح لا يحتمل هذا التأويل^(٣) ، فإنه قد رواه مسلم في صحيحه، فقال فيه : «صليت خلف النبي - ﷺ - وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في أول قراءة، ولا في آخرها» وهذا النفي لا يجوز إلا مع العلم بذلك، لا يجوز بمجرد كونه لم يسمع مع إمكان الجهر بلا سماع .

واللفظ الآخر في صحيح مسلم «صليت خلف النبي - ﷺ - ، وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يجهر، أو قال يصلي بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فهذا نفي فيه السماع، ولو لم يرو إلا هذا اللفظ

(١) ٢٠٣ : ١ ، ٢٠٤ .

(٢) في «مجموع الفتاوى» ٤١٠ : ٢٢ ، ٤١٣ .

(٣) وهو حمل قول أنس «فلم أسمع أحداً منهم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم» على عدم السماع لا أنهم لا يجهرون بها .

لم يجز تأويله بأن النبي - ﷺ - كان يقرأ جهراً، ولا يسمع أنس، لوجوه... . وبعد أن ذكر ابن تيمية هذه الوجوه - قال: فتبين أن هذا تحريف لا تأويل، ولو لم يرو إلا هذا اللفظ، فكيف والآخر صريح في نفي الذكر بها، وهو يفضل هذه الرواية الأخرى، وكلا الروايتين ينفي تأويل من تأول قوله: «يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين» أنه أراد السورة، فإن قوله: «يفتتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول قراءة، ولا في آخرها» صريح أنه في قصد الافتتاح بالآية، لا بسورة الفاتحة، التي أولها «بسم الله الرحمن الرحيم» إذ لو كان مقصوده ذلك لتناقض حديثاه.

وقال - أيضاً^(١) -: «وأما اللفظ الآخر «لا يذكرون» فهو إنما ينفي ما يمكن العلم بانتفائه، وذلك موجود في الجهر، فإنه إذا لم يسمع مع القرب، علم أنهم لم يجهروا... يؤيد هذا حديث عبدالله بن مغفل... (٢).

(١) ٢٢: ٤٦٤، ٤١٥، وانظر «الفتاوى الكبرى» ١: ٨٨.

(٢) حديث عبدالله بن مغفل رواه عنه ابنه يزيد، قال: «سمعتني أبي، وأنا في الصلاة أقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال: أي بني، محدث، إياك والحدث - قال: ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله - ﷺ - كان أبغض إليه الحدث في الإسلام، يعني منه - قال: وقد صليت مع النبي - ﷺ - ومع أبي بكر ومع عمر، ومع عثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا تقلها، إذا أنت صليت فقل: «الحمد لله رب العالمين».

وهذا الحديث أخرجه - النسائي - في الافتتاح - باب ترك الجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» حديث ٩٠٨، والترمذي - في الصلاة - ترك الجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» حديث ٢٤٤، وابن ماجه في الصلاة - افتتاح القراءة - حديث ٨١٥، وأحمد ٨٥: ٤. وهذا الحديث ضعيف عند أكثر أهل العلم. فقد ضعفه ابن عبدالبر في =

ويؤيد قول ابن تيمية ما أخرجه الدارقطني^(١) عن أبي مسلمة سعيد ابن يزيد قال: سألت أنس بن مالك، أكان رسول الله - ﷺ - يستفتح بالحمد لله رب العالمين، أو بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ فقال: إنك تسألني عن شيء ما أحفظه، وما سألتني عنه أحد قبلك. قلت: أكان رسول الله - ﷺ - يصلي في النعلين؟ قال: نعم».

وقال ابن حجر في «بلوغ المرام»^(٢) بعد أن ذكر حديث أنس، من رواية البخاري ومسلم، وبعد أن أشار إلى أن في رواية أحمد والنسائي وابن خزيمة «لا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم»، وإلى الرواية الأخرى لابن خزيمة: «كانوا يسرون» قال: «وعلى هذا يحمل النفي في رواية مسلم». يعني قوله «لا يذكرون اسم الله في أول قراءة، ولا في آخرها».

٢- حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله - ﷺ -

«الاستذكار» ١٧٥:٢ فقال: «حديث ضعيف، لأنه لم يعرف ابن عبد الله بن مغفل». وقال الزيلعي في «نصب الراية» ١: ٣٣٢-٣٣٣: «قال النووي في الخلاصة: وقد ضعف الحفاظ هذا الحديث، وأنكروا على الترمذي تحسينه، كابن خزيمة، وابن عبد البر والخطيب، وقالوا: إن مداره على ابن عبد الله بن مغفل، وهو مجهول». وضعفه الألباني في «ضعيف سنن النسائي» و«ضعيف سنن الترمذي»، و«ضعيف سنن ابن ماجه» في المواضع السابقة. ولو صح هذا الحديث فهو محمول - كما أشار ابن تيمية - على ما حمل عليه حديث أنس وهو ترك الجهر. وانظر «الرد على من أبي الحق» ص ٥٩-٦٣.

(١) في الصلاة - اختلاف الروايات في الجهر بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) - حديث (١٠) وإسناده صحيح.

(٢) ص ٥٦، حديث ٢٩٧-٣٠٠.

يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين...» رواه مسلم^(١).

٣- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله - ﷺ - إذ نهض إلى الركعة الثانية استفتح القراءة ولم يسكت». رواه مسلم^(٢).

ووجه الدلالة من هذين الحديثين - كما تقدم في حديث أنس - هو أنهم يسرون بقراءتها، ولا يجهرون بها، لا أنهم يتركونها.

٤- حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال: قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد «الحمد لله رب العالمين» قال الله: حمدني عبدي... الحديث». رواه مسلم^(٣).

قال ابن قدامة^(٤): «وهذا يدل على أنه لم يذكر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ولم يجهر بها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٥) - بعد أن أشار إلى حديث أبي

(١) في الصلاة - باب ما يجمع صفة الصلاة - حديث ٤٩٨، وأبو داود - في الصلاة - باب من لم ير الجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ حديث ٧٨٣.
 (٢) في المساجد ومواضع الصلاة - حديث ٥٩٩.
 (٣) سبق تخريجه في ذكر قول من قال: إن البسمة آية مستقلة من القرآن، لا آية من الفاتحة، ولا من كل سورة في المبحث الثالث، من هذا الفصل.
 (٤) في «المغني» ٢: ١٥٠.
 (٥) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٢٢-٤٢٣.

هريرة هذا: «فيه دليل على أنها ليست من القراءة الواجبة، ولا من القراءة المقسومة»، فهذا يدل على أن البسمة ليست من السورة، فلا يجهر بها.

إلى غير ذلك من الأدلة الصحيحة الصريحة على أن السنة الإسرار بالبسمة وقد اختار هذا أكثر المحققين:

قال الجصاص^(١) «والإخفاء أولى من وجهين: أحدهما ظهور عمل السلف بالإخفاء دون الجهر، وقول إبراهيم الجهر بها بدعة. والوجه الآخر: أن الجهر بها لو كان ثابتاً لورد النقل به مستفيضاً متواتراً، كوروده في سائر القراءة، فلما لم يرد النقل به من جهة التواتر، علمنا أنه غير ثابت إذ الحاجة إلى معرفة مسنون الجهر بها، كهي إلى معرفة الجهر في سائر فاتحة الكتاب».

وقال القرطبي^(٢): «وهذا قول حسن، وعليه تتفق الآثار عن أنس، ولا تتضاد ويخرج به من الخلاف في قراءة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣): «لم يثبت عن النبي ﷺ - أنه كان يجهر بها، وليس في الصحاح، ولا السنن حديث صحيح صريح بالجهر، والأحاديث الصريحة بالجهر كلها ضعيفة، بل موضوعة،

(١) في «أحكام القرآن» ١: ١٧.

(٢) في «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٩٦.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧٥-٢٧٦.

ولهذا لما صنف الدارقطني في ذلك مصنفاً قيل له: هل في ذلك شيء صحيح؟ فقال: أما عن النبي - ﷺ - فلا، وأما عن الصحابة فمنه صحيح، ومنه ضعيف. ولو كان النبي - ﷺ - يجهر بها دائماً، لكان الصحابة ينقلون ذلك، ولكان الخلفاء يعلمون ذلك، ولما كان الناس يحتاجون أن يسألوا أنس بن مالك، بعد انقضاء عصر الخلفاء، ولما كان الخلفاء الراشدون، ثم خلفاء بني أمية، وبني العباس كلهم متفقين على ترك الجهر، ولما كان أهل المدينة - وهم أعلم أهل المدائن بستته - ينكرون قراءتها بالكلية سراً وجهرًا.

وقال - أيضاً^(١) -: «فمن المعلوم أن الجهر بها مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، فلو كان النبي - ﷺ - يجهر بها كالجهر بسائر الفاتحة، لم يكن في العادة، ولا في الشرع ترك نقل ذلك، بل لو انفرد بنقل مثل هذا الواحد والاثنان لقطع بكذبهما، إذ التواطؤ فيما تمنع العادة والشرع كتمانها كالتواطؤ على الكذب فيه».

القول الثالث:

التخيير بين الجهر والإسرار، وهذا القول يُروى عن الحكم بن عتيبة، وإسحاق بن راهويه^(٢)، وابن أبي ليلي^(٣)، وهو اختيار ابن حزم^(٤).

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤١٥، وانظر: ٤٠٨، ٤١٧-٤٢٠.

(٢) انظر «القطع الاثناف» ١: ١٠٦.

(٣) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١٥٠، «الاستذكار» ١: ١٥٤.

(٤) انظر «المحلى» ١: ٢٥١، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٤٣٦.

والذين رُوِيَ عنهم هذا القول، كأنهم أرادوا الجمع بين أدلة الجهر، وأدلة الإسرار علماً أن أدلة الجهر لا تكافئ أدلة الإسرار، بل وليس فيها دليل واحد صحيح النقل صريح الدلالة على الجهر - كما تقدم ذكر كلام الأئمة في ذلك.

فالقول بالتخيير للمصلي بين الجهر والإسرار بالبسملة ليس بصحيح، وفرق بين هذا، وبين أن يقال: يجوز الجهر بها لحاجة كتعليم ونحوه، فهذا لا بأس به، أو أن يقال: تصح صلاة من أسر بها ومن جهر، فهذا - أيضاً - صحيح. قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١): «فإن الجهر بها والمخافتة سنة، فلو جهر بها المخافت صحت صلاته بلا ريب».

وقال الحافظ ابن كثير^(٢): «أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة، ومن أسر بها، والله الحمد والمنة».

أما أن يكون المصلي مخيراً بين هذا وهذا على حد سواء فليس بصحيح فالجهر إنما يجوز أحياناً لعارض، كتعليم المأمومين ونحو ذلك.

كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) أنه يستحب الجهر بها لمصلحة

(١) في «مجموع الفتاوى» ٤٢٢: ٢٢، وانظر «صحيح ابن خزيمة» ٢٥١: ١، «القطع والائتناف» ١٠٦: ١.

(٢) في «تفسيره» ٣٦: ١.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٤٠٧: ٢٢، وانظر ٤٢٤.

راجحة، وذكر عن أحمد أنه يستحب الجهر بها في المدينة، لأنهم ينكرون على من لم يجهر بها. ثم ذكر ابن تيمية - أيضاً - أنه يجوز الجهر بها لبيان أن قراءتها سنة، ثم قال: «ولهذا نقل عن أكثر من روي عنه الجهر بها المخافتة...».

وقال - أيضاً^(١) -: «وكون الجهر بها لا يشرع بحال - مع أنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة - نسبة للصحابة إلى فعل المكروه، وإقراره مع أن الجهر في صلاة المخافتة يشرع لعارض».

وقال - أيضاً^(٢) -: «ومع هذا فالصواب أن ما لا يجهر به، قد يشرع الجهر به لمصلحة أحياناً، لمثل تعليم المأمومين، ويسوغ للمصلين أن يجهروا بالكلمات اليسيرة أحياناً^(٣)، ويسوغ - أيضاً - أن يترك الإنسان الأفضل لتأليف القلوب، واجتماع الكلمة خوفاً من التنفير عما يصلح، كما ترك النبي - ﷺ - بناء البيت على قواعد إبراهيم، لكون قریش كانوا حديثي عهد بالجاهلية، وخشي تنفيرهم بذلك^(٤)، ورأى أن مصلحة

(١) في «المصدر السابق» ٢٢: ٤٠٨.

(٢) في «المصدر السابق» ٢٢: ٤٣٦ وانظر ٢٧٤، ٢٧٥.

(٣) روى النيسابوري في «مسائل الإمام أحمد» ١: ٥٣: «وسئل عن الرجل يصلي بالقوم، فيجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، أيصلى خلفه؟ قال: أرجو أن لا يكون به بأس، إذا لم يكن يجهر به شديداً، قد فعله الصالحون، لا يجهر به شديداً».

(٤) أخرج البخاري - في كتاب الأنبياء - حديث ٣٣٦٨، وفي التفسير - باب (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت) حديث ٤٤٨٤، ومسلم في الحج - باب نقض الكعبة وبنائها - حديث ١٣٣٣ - عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي - ﷺ - أن النبي - ﷺ - قال: «ألم تَرَني أن قومك لما بنوا الكعبة، اقتصروا على قواعد إبراهيم، فقلت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت».

الاجتماع والائتلاف مقدمة على مصلحة البناء على قواعد إبراهيم» .
 وقال ابن القيم في «زاد المعاد»^(١) : «وكان - يعني النبي - ﷺ -
 يجهر بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ تارة، ويخفيها أكثر مما يجهر بها،
 ولا ريب أنه لم يكن يجهر بها دائماً، في كل يوم وليلة، خمس مرات،
 أبداً حضراً وسفراً، ويخفي ذلك على خلفائه الراشدين، وعلى جمهور
 أصحابه، وأهل بلده، في الأعضار القاضلة، هذا من أمحل المحال،
 حتى يحتاج إلى الثبوت فيه بألفاظ مجتملة، وأحاديث واهية فصحيح
 تلك الأحاديث غير صريح، وصريحها غير صحيح» .

المبحث الثامن

المواضع التي تشرع فيها البسملة

تشرع البسملة وهي قول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في مواضع منها مايلي:

١- عند قراءة القرآن، وبخاصة عند الابتداء بأوائل السور سوى سورة براءة، لأنها آية تنزل مع كل سورة سوى براءة، ولهذا أثبتت في المصاحف مع كل سورة نزلت معها، وإن كانت ليست آية من السور مطلقاً.

٢- في بداية الكتب والرسائل والخطب والمسائل العلمية، تأسياً بكتاب الله - تعالى، وبسنة رسول الله ﷺ فقد كان يبتدىء بها في كتبه ﷺ للملوك كما في كتابه إلى هرقل فقد ابتدأه ﷺ بقوله: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ...»^(١). وكذا كان الأنبياء قبله كما جاء في كتاب سليمان لبليس: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓءَا إِنِّي آلَتْ لِي وَإِنَّ أَوْلَىٰ لِصِلَابِ النَّاسِ أَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ الرِّيحَ وَأِنَّ خَلْقَ رَحْمَتِ اللَّهِ لَكَنُفٌ خَابِرٌ﴾^(٢). وقد درج على هذا سلف الأمة وخلفها في كتبهم ورسائلهم وخطبهم ومقالاتهم.

وقد اختلفوا في حكم كتابتها مع الشعر، فذهب بعضهم إلى كراهة

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي - الحديث ٧، ومسلم في الجهاد - باب كتب النبي - ﷺ - إلى هرقل يدعو إلى الإسلام - الحديث ١٧٧٣.

(٢) سورة النمل، والآية: ٢٩-٣٠.

ذلك والمنع منه، وأجازه آخرون^(١)، والذي يظهر - والله أعلم - أن الشعر لا يختلف عن الثر من حيث جواز كتابتها مع المحمود منهما، وعدم جواز ذلك مع المذموم منهما، لأن في ذلك استخفافاً بالله، وأسمائه وصفاته.

ب - وتشعر التسمية وهي قول: «بسم الله» في مواضع كثيرة منها مايلي:

١- عند الوضوء - فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»^(٢).

(١) انظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١: ٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود - في الطهارة - باب في التسمية في الوضوء - حديث (١٠١)، وابن ماجه - في الطهارة - ماجاء في التسمية في الوضوء - حديث ٣٩٩، وأحمد ٤١٨: ٢. وطرق هذا الحديث كلها ضعيفة. لكن له شواهد من حديث أبي سعيد الخدري، وسعيد بن زيد، وأنس بن مالك وغيرهم. فقد أخرج: ابن ماجه حديث ٣٩٧، وأحمد ٤١: ٣، عن أبي سعيد أن النبي - ﷺ - قال: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه». وأخرج الترمذي - في الطهارة - حديث ٢٥، ٢٦، وابن ماجه في الطهارة أيضاً، حديث ٣٩٨، وأحمد ٧٠: ٤، ٣٨٢: ٥، ٣٨٢: ٦، والدارقطني - في الطهارة - حديث ١٠٥-١٠٦ عن سعيد بن زيد نحوه.

وأخرج النسائي في الطهارة - حديث ٧٦، والدارقطني - في الطهارة حديث (١) عن أنس بن مالك قال: «طلب بعض أصحاب النبي - ﷺ - وضوءاً، فقال رسول الله - ﷺ - هل مع أحد منكم ماء؟ فوضع يده في الماء، ويقول: بسم الله...» الحديث. وقد ضعف جمع من أهل العلم هذه الأحاديث كلها. قال الإمام أحمد: «ليس فيه شيء يثبت، وقال: لا أعلم في التسمية حديثاً صحيحاً». وقال البزار: «كل ما روي في هذا الباب فليس بقوى». وقد قواه بعض أهل العلم، فقال أبو بكر بن أبي شيبة: «ثبت لنا أن النبي - ﷺ - قاله». وقال ابن حجر: «والظاهر أن مجموع الأحاديث يحدث منها =

٢- عند الدخول في المسجد والخروج منه، فعن فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - قالت: كان رسول الله - ﷺ - إذا دخل المسجد يقول: «بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال: بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك»^(١).

٣- عند الركوب قال الله - تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بَجَرَّتْهَا وَمُرْسَلَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

وجاء في حديث جابر الطويل في قصة بعيره: أن رسول الله - ﷺ - قال له: «اركب باسم الله» رواه مسلم^(٣).

قوة تدل على أن له أصلاً.

وأكثر أهل العلم على أن هذا الحديث، بمجموع طرقه وشواهد، إما حسن، وإما صحيح: منهم ابن الصلاح، والمراعي، وابن القيم، وابن كثير والسيوطي والصنعاني والشوكاني، والألباني من المعاصرين. انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٣٨، «سبل السلام» ١: ٧٠-٧١، «نيل الأوطار» ١: ١٥٩-١٦١، «إرواء الغليل» حديث ٨١، «صحيح سنن أبي داود» حديث ٩٠، ٩١ وقد استدلل بهذه الأحاديث على وجوب التسمية في الوضوء بعض أهل العلم منهم الإمام أحمد في رواية له اختارها أبو يعلى وجمع من الحنابلة وإسحاق والحسن وداود وحملوا قوله في الحديث «لا وضوء» على نفي الحقيقة الشرعية والصحة والإجزاء وجمهور العلماء على أن التسمية في الوضوء سنة منهم أبو حنيفة ومالك والشافعي ورواية لأحمد اختارها بعض أصحابه كالخرفي وابن قدامة وابن تيمية وحملوا الأحاديث المذكورة على القول بصحتها - على نفي الكمال أو على الاستجاب.

(١) أخرجه النسائي في الصلاة - الدعاء عند دخول المسجد، حديث ٧٧١ بهذا اللفظ،

وصححه الألباني. والحديث ضعيف عند أكثر أهل العلم.

(٢) سورة هود، الآية: ٤١.

(٣) في المساقاة - باب بيع البعير، واستثناء ركوبه - حديث ٧١٥.

وفي حديث علي - رضي الله عنه - «وَأْتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ...» الْحَدِيثُ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ: «رَأَيْتَ النَّبِيَّ - ﷺ - فَعَلَّ كَمَا فَعَلْتُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١).

٤- عند الذبيح (٢)، وعند الصيد لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣)، وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (٤)، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (٥).

(١) في الجهاد - ما يقول الرجل إذا ركب - حديث ٢٦٠٢، وصححه الألباني.
 (٢) اختلف العلماء في حكم التسمية عند الذبيح فذهب بعض أهل العلم إلى أن التسمية شرط لحل الذبيحة وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها أبو الخطاب وشيخ الإسلام ابن تيمية لقوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الآية ١٢١ الأنعام وغيره من الأدلة وذهب الجمهور منهم أبو حنيفة. ومالك وأحمد في المشهور عنهما إلى أنها واجبة مع الذكر للآية السابقة ولغيرها من الأدلة: وتسقط عند النسيان لقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ نَسِينَا أَوْ نَسِينَا أَوْ نَسِينَا﴾ قال الله قد فعلت رواه مسلم. وللحديث: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ» رواه ابن ماجه. وذهب الشافعي وبعض أهل العلم إلى أنها سنة واستدلوا بأحاديث ضعيفة. والأظهر والله أعلم القول الأول وهو الذي تؤيده الأدلة أما أحاديث العفو عن النسيان فليس فيها ما يدل على أن ذبيحة الناسي حلال بل غاية ما فيها أنه غير مؤاخذ وهذا صحيح. كما اختلفوا في حكم التسمية عند الصيد فذهب الإمام أحمد في المشهور عنه وأبو ثور وأهل الظاهر إلى أن التسمية شرط لحل الصيد وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية لقوله تعالى ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ سورة المائدة الآية: ٤ وغيرها من الأدلة وذهب الجمهور ومنهم أبو حنيفة وإسحاق ومالك في المشهور عنه ورواية عن أحمد إلى أنها واجبة عند الذكر وتسقط عند النسيان للأدلة السابقة في التسمية عند الذبيح وقيل إنها سنة وهو قول الشافعي ورواية عن مالك وأحمد رحمهم الله والراجح - والله أعلم - القول الأول.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (١).

وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه، فكل مما أمسك عليك» الحديث متفق عليه (٢).

وأخرجنا نحوه من حديث أبي ثعلبة، وفيه زيادة «وما صدت بقوسك، فذكرت اسم الله فكل» (٣).

٥- عند الأكل لحديث عمرو بن سلمة - رضي الله عنه - قال: «كنت غلاماً في حجر النبي - ﷺ - وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك» متفق عليه (٤).

وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ -: «إن الشيطان يستحل الطعام، أن لا يذكر اسم الله عليه» رواه مسلم (٥).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - ﷺ - يقول: «إذ دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال

(١) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٢) أخرجه البخاري - في الذبائح - باب التسمية على الصيد، والأبواب بعده الأحاديث ٥٤٧٥-٥٤٧٧، ومسلم - في الصيد والذبائح - باب الصيد بالكلاب المعلمة - حديث ١٩٢٩.

(٣) عند البخاري حديث ٥٤٧٨، ٥٤٨٨، وعند مسلم حديث ١٩٣٠.

(٤) أخرجه البخاري - في الأطعمة - باب الأكل مما يليه حديث ٥٣٧٧ - ٥٣٧٨، ومسلم - في الأشربة - آداب الطعام والشراب حديث ٢٠٢٢.

(٥) حديث ٢٠١٧.

الشیطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء». رواه مسلم^(١).

٦- عند الجماع - لما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ - قال: «أما إن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فرزقا ولدا لم يضره الشيطان» متفق عليه^(٢).

٧- عند الخروج من البيت لما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ - قال: «إذا خرج الرجل من بيته، فقال: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: يقال حينئذ: هُديت وكُفيت ووُقيت، ففتنحى له الشيطانين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي»^(٣).

٨- في المساء والصبح. فعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ - يقول: «من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث

(١) حديث ٢٠١٨. وفي حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ - «إذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله، فإن نسي في أوله فليقل: بسم الله في أوله وآخره». أخرجه أبو داود حديث ٣٧٦٧، والترمذي حديث ١٨٥٨، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري - في الوضوء - باب التسمية على كل حال، وعند الوقاع حديث ١٤١، ومسلم - في النكاح - باب ما يستحب أن يقول عند الجماع حديث ١٤٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود - في الأدب - باب ما يقول إذا خرج من بيته حديث ٥٠٩٥، والترمذي - في الدعوات - باب ما يقول إذا خرج من بيته حديث ٣٤٢٦، وصححه الألباني. وعند أحمد ١: ٦٦ - من حديث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ - قال: «بسم الله آمنت بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

مرات، لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي»^(١).

٩- عند النوم - فعن أبي الأزهر الأنماري: أن رسول الله - ﷺ - كان إذا أخذ مضجعه من الليل، قال: «بسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي، وأخسىء شيطاني، وفك رهاني، واجعلني في الندي الأعلى»^(٢).

١٠- عند دخول الخلاء - فعن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «ستر ما بين الجن وعورات بني آدم، إذا دخل الكنيف، أن يقول: بسم الله»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود - في الأدب - باب ما يقول إذا أصبح - حديث ٥٠٨٨، والترمذي في الدعوات - باب الدعاء إذا أصبح - حديث ٣٣٨٥، وقال «حسن صحيح غريب»، وابن ماجه - في الدعاء - باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح، وإذا أمسى - حديث ٣٨٦٩. وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود - في الأدب - ما يقول عند النوم - حديث ٥٠٥٤، وصححه الألباني. وفي حديث حذيفة قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا أوى إلى فراشه قال: «اللهم باسمك أموت وأحيا» أخرجه البخاري في الدعوات حديث ٦٣١٢، وأخرج مسلم نحوه من حديث البراء. وأخرج البخاري حديث ٦٣٢٠، ومسلم حديث ٢٧١٤ - عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه».

(٣) أخرجه ابن ماجه - في الطهارة وسنتها - باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء - حديث ٢٩٧، وقد رُوِيَ هذا الحديث من حديث أنس وأبي سعيد وابن مسعود ومعوية بن حيدة. وقد ضعفه جمع من أهل العلم، وصححه آخرون بمجموع طرقه وشواهده منهم الألباني. انظر «إرواء الغليل» حديث ٥٠، «صحيح الجامع الصغير» حديث: ٣٦٠٤-٣٦٠٥. وقد قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»

٢٤٤:١ - في كلامه على حديث أنس «كان النبي - ﷺ - إذا دخل الخلاء قال: =

١١- إذا عثر المرء أو عثرت دابته - لما رواه أبو تميمة الهجيمي عن أبي المليح بن أسامة بن عمير عن أبيه، قال: كنت رديف النبي - ﷺ - فعُثر بالنبي - ﷺ - فقلت: تعس الشيطان فقال النبي - ﷺ -: «لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاذلم، وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت: بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب»^(١).

١٢- عندما يجد المسلم وجعا في جسده، يشرع له أن يضع يده على موضع الألم، ويُسمي، ويذكر بقية الدعاء.

لما رواه عثمان بن أبي العاص أنه شكأ إلى رسول الله - ﷺ - وجعا في جسده، منذ أسلم، فقال له رسول الله - ﷺ -: «ضع يدك على الذي يألم من جسديك، وقل: بسم الله ثلاثا... الحديث» رواه مسلم^(٢).

١٣- عند وضع الميت في قبره - فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - كان إذا وضع الميت في القبر قال: «بسم الله، وعلى

= «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» قال ابن حجر: «وقد روى العمري هذا الحديث، من طريق عبدالعزيز بن المختار عن عبدالعزيز بن صهيب، بلفظ الأمر قال: «إذا دخلتم الخلاء فقولوا: بسم الله، أعوذ بالله من الخبث والخبائث» وإسناده على شرط مسلم، وفيه زيادة التسمية، ولم أرها في غير هذه الرواية.

(١) أخرجه أبو داود في الأدب - الحديث ٤٩٨٢ ورجاله ثقات، وأخرجه أحمد: ٧١: ٥. قال ابن كثير في «تفسيره» ٣٨: ١ «ورجاله رجال الصحيح، ورواه النسائي في اليوم والليلة، وابن مردويه في تفسيره» والحاكم في المستدرک ٤: ٢٩٢ وصححه إسناده ووافقه الذهبي وصححه الألباني في «صحيح الكلم الطيب» حديث ١٩٣.

(٢) في السلام - باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء - ٢٢٠٢.

سنة رسول الله»^(١).

١٤- عند إغلاق الباب، وإطفاء المصباح، وعند إيكاء السقاء، وتخمير الإناء لما رواه جابر - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «إذا استجبح الليل، أو كان جنح الليل، فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك، واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك، واذكر اسم الله، وأوك سقاءك، واذكر اسم الله عليه، وخمر إناءك، واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئاً» متفق عليه^(٢).

إلى غير ذلك من المواضع، بل إن الذي يفهم من حديث جابر هذا أنه ينبغي أن يذكر المسلم اسم الله على جميع أحواله، تبركاً وتيمناً واستعانة.

أما حديث أبي هريرة الذي رواه أحمد^(٣)، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «كل كلام، أو أمر ذي بال، لا يفتح بذكر الله - عز وجل - فهو أبت، أو قال: أقطع» فهو حديث ضعيف^(٤).

(١) أخرجه أبو داود - في الجنائز - الدعاء للميت إذا وضع في قبره حديث ٣٢١٣، والترمذي في الجنائز - حديث ١٥٥٠، وابن ماجه - في الجنائز - حديث ١٤٠٦. وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري - في بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده - حديث ٣٢٨٠ ومسلم - في الأشربة - الأمر بتغطية الإناء - حديث ٢٠١٢.

(٣) «المسند» ١: ٣٥٩.

(٤) انظر «إرواء الغليل» حديث (١)، «ضعيف الجامع الصغير» حديث ٤٢٢٢.

المبحث التاسع

فوائد البسملة، والأحكام التي تضمنتها

فوائد البسملة والأحكام التي تضمنتها كثيرة منها ما يلي:

١- مشروعنة البداية باسم الله على كل أمر ديني، أو دنيوي، استعانة وتبركاً وتيمناً.

٢- إثبات اسمه تعالى «الله» الدال على أن له كمال الألوهية والعبودية سبحانه وتعالى.

٣- إثبات اسمي الله: «الرحمن»، «الرحيم»، وما تضمناه من الصفة والأثر.

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي^(١) - رحمه الله -:

«الرحمن ، الرحيم» اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم، فله نصيب منها.

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلاً بأنه «رحمن رحيم» ذو الرحمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم

(١) في «تفسيره» ١: ٣٣-٣٤، وانظر: «بدائع الفوائد» ١: ٢٤، «مدارج السالكين» ١: ٧٥، «القواعد المثلى» لشيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين وفقه الله ص ١٠-١١.

كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء، يقال في العليم: إنه عليم، ذو علم يعلم به كل شيء، قدير، ذو قدرة يقدر على كل شيء».

٤- أن اسمه تعالى «الله» هو أصل أسمائه - تعالى - تأتي بقية أسمائه تابعة له، لهذا جاء اسماء «الرحمن» و«الرحيم» تابعين لهذا الاسم.

٥- أن اسم «الله» أعظم من اسمه «الرحمن» ولهذا قدم عليه، وأن اسمه «الرحمن» أبلغ من «الرحيم» وأخص منه من حيث اللفظ، ولهذا قُدم عليه، تقديماً للأعظم والأهم.

٦- الاعتراف بنعمة الله - تعالى - وفضله وإحسانه، لأن هذا كله من آثار رحمته المذكورة في قوله - تعالى (الرحمن الرحيم).

٧- الجمع بين أسلوب الترهيب والترغيب، لأن في قوله (الله) دلالة على عظمة الله وقهره، وفي قوله (الرحمن الرحيم) دلالة على فضل الله، وإحسانه وإنعامه، والأول أسلوب ترهيب، والثاني ترغيب.

٨- الدلالة على أن الاستعانة إنما تستمد من الله - تعالى، ويجب صرفها له، فهو القادر على إعانة من استعان به، وهو (الرحمن الرحيم) بعباده، أرحم من الوالدة بولدها، كما جاء في الحديث: «الله أرحم بعباده، من هذه بولدها»^(١) فهو نعم النصير والمعين، ومفزع الخائفين وأرحم الراحمين.

(١) أخرجه من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - البخاري في الأدب حديث ٥٩٩٩، ومسلم - في التوبة حديث ٢٧٥٤.

٩- إظهار مخالفة المشركين، الذين يفتتحون أمورهم باسم اللات والعزى ومناة، وغيرها من الأصنام والأنداد، من المخلوقين وغيرهم، ومن المؤسف أن نرى كثيرا من الكتاب من المسلمين أو من المنتسبين إلى الإسلام يصدرن كتبهم وصحفهم باسم الشعب وباسم الحرية، وتقرأ الكتاب من أوله إلى آخره لا تجد فيه ذكر اسم الله.

١٠- فيها الرد على القدرية الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه، إذ لو كان ذلك كذلك لما احتاج العبد إلى طلب العون من الله - تعالى.

١١- أن ذكر اسم الله عون للعبد على جميع أحواله، وسبب لحصول الخير، والبركة، والحصول على مطلوبه، والنجاة من مرهوبه، بإذن الله تعالى، والسلامة من الشيطان وهمزاته وشروبه، وإغاظته ودحره وطرده من أن يحول بين العبد وبين قراءته، ويوسوس له فيها، أو في وضوئه، أو أن يشاركه في أكله وشربه ودخوله وخروجه، وسائر أحواله^(١).

(١) انظر «أحكام القرآن» للجصاص ١: ١٧-١٨.

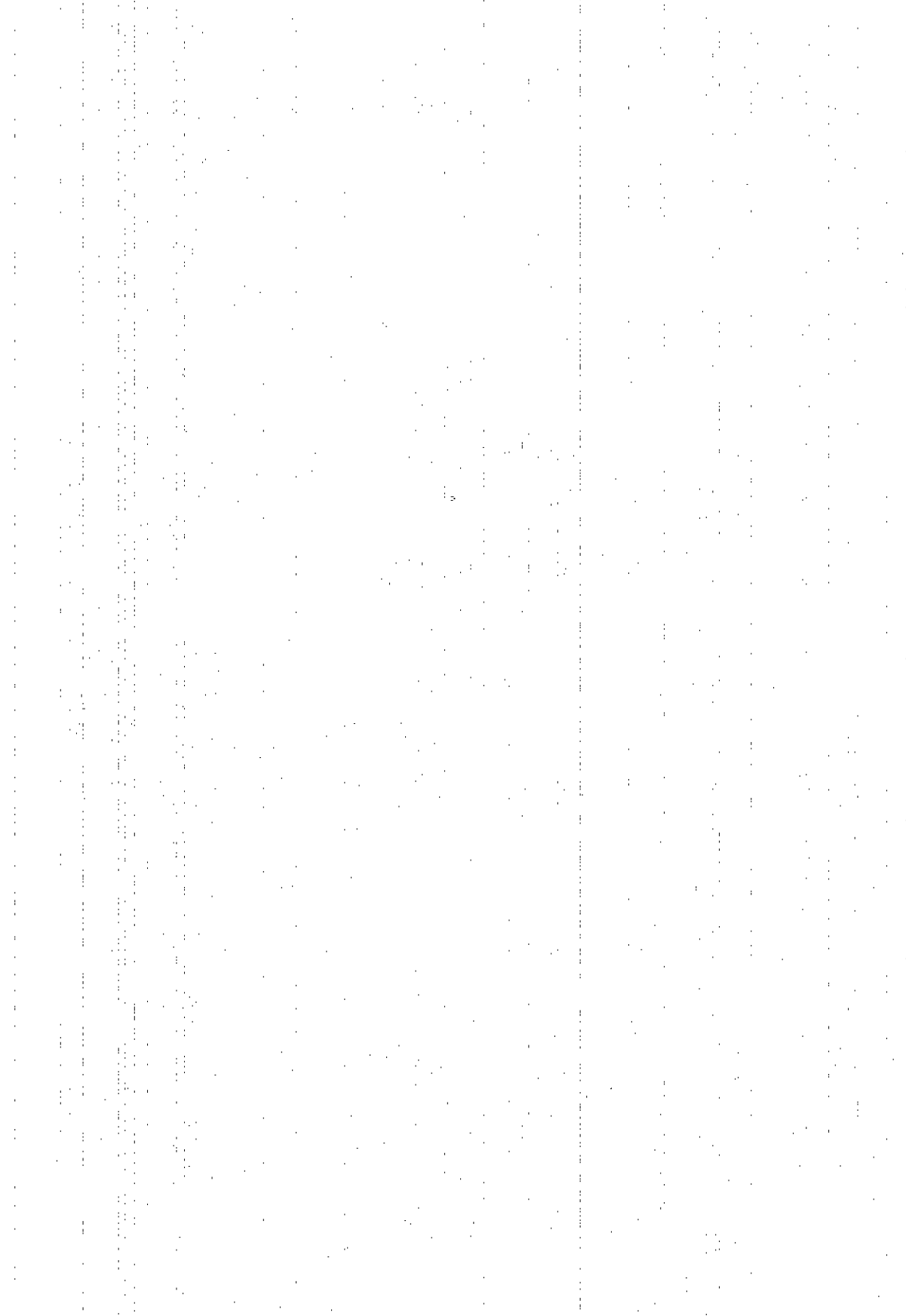
الباب الثاني

تفسير سورة الفاتحة

معناها، وأحكامها وفيه فصلان:

الفصل الأول: تفسير سورة الفاتحة، وبيان ما فيها من المعاني والفوائد والأحكام - وفيه ثمانية مباحث.

الفصل الثاني: الأحكام التي تتعلق بسورة الفاتحة - وفيه مبحثان.



الفصل الأول

تفسير سورة الفاتحة،

وبيان ما فيها من المعاني والفوائد والأحكام

وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول: مكان نزول الفاتحة

المبحث الثاني: أسماء الفاتحة.

المبحث الثالث: عدد آيات الفاتحة، وهل البسملة آية منها.

المبحث الرابع: فضل سورة الفاتحة.

المبحث الخامس: المعاني التي اشتملت عليها سورة الفاتحة.

المبحث السادس: بيان معنى السورة والآية.

المبحث السابع: تفسير مفردات الفاتحة، وبيان معاني آياتها.

المبحث الثامن: ما يؤخذ من سورة الفاتحة من فوائد وأحكام.

المبحث الأول مكان نزول الفاتحة

نزلت سورة الفاتحة بمكة، بدليل أنها ذكرت في سورة الحجر، وهي مكة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (١) وسورة الحجر مكة بالإجماع (٢).

وقد فسر الرسول ﷺ السبع المثاني في هذه الآية بالفاتحة.

فعن أبي سعيد بن المعلى، قال: «كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله - ﷺ - فلم أجه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ (٣) الآية. ثم قال لي: لأعلمنك سورة، هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» رواه البخاري (٤).

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٢) انظر «المحرر الوجيز» لابن عطية ١: ٦١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٥، «مجموع الفتاوى» ١٧: ١٩٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٤) في باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ مَحْشُرُونَ﴾ (٥) الحديث ٤٦٤٧. وفي باب =

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال: «أم القرآن، هي السبع المثاني والقرآن العظيم» رواه البخاري^(١)، ورواه ابن جرير^(٢) بلفظ: «هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني».

ورواه أبو داود^(٣) بلفظ: «الحمد لله رب العالمين: أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني» وكذا رواه الترمذي^(٤)، وزاد: «والقرآن العظيم» وقال: حديث صحيح.

وأيضاً فقراءتها ركن من أركان الصلاة - على الصحيح -، لا تصح الصلاة بدونها، وقد فرضت الصلاة بمكة، عندما أسرى بالرسول ﷺ

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ - الحديث ٤٧٠٣، وفي فضائل القرآن - فضل فاتحة الكتاب - الحديث ٥٠٠٦، وأخرجه أبو داود - في الصلاة باب فاتحة الكتاب - الحديث ١٤٥٨، والنسائي - في الافتتاح - باب تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ - الحديث ٨٧٦، وابن ماجه - في الأدب - باب ثواب القرآن - الحديث ٣٧٨٥، وأحمد ٤: ٢١١.

وقد أخرجه أيضاً أحمد ٢: ٤١٣، ٥: ١١٤، وابن ماجه - في الفضائل - الحديث ٢٨٧٥ من حديث أبي بن كعب بنحوه، وقد أخرجه عنه - مختصراً - النسائي - في الموضوع السابق - الحديث ٨٧٧، والترمذي - في تفسير سورة الحجر - الحديث ٣١٢٥، وصححه الألباني. وأخرجه مطولاً ومختصراً ابن خزيمة - في الصلاة - باب قراءة الفاتحة - الحديث ٥٠١، والبيهقي - في ٢: ٣٧٦، وفي «جزء القراءة خلف الإمام» ص ١٠٣ - ١٠٥.

(١) الحديث ٤٧٠٤، وأخرجه الإمام أحمد بنحوه ٢: ٤٤٨.

(٢) الحديث ١٣٤.

(٣) في الصلاة - باب فاتحة الكتاب - الحديث ١٤٥٧.

(٤) في تفسير سورة الحجر - الحديث ٣١٢٤.

وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير الفاتحة^(١).
بل روي أنها من أول ما نزل، وأنها أول سورة نزلت كاملة^(٢).

(١) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٦١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٥، «البحر المحيط»

١٦: ١.

(٢) انظر: «تفهيم القرآن» لأبي الأعلى المودودي ص ٣٣.

وقد قيل: إنها نزلت بالمدينة، وقيل: نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة، وقيل: نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة. وكل هذه الأقوال ضعيفة لا دليل عليها. انظر

«معالم التنزيل» ١: ٣٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٥ - ١١٦، «تفسير ابن كثير»

٢٢: ١.

المبحث الثاني أسماء الفاتحة

تعددت أسماء الفاتحة، وقد أوصلها بعضهم إلى نحو من عشرين اسماً^(١)، منها مايلي:

١- السبع المثاني والقرآن العظيم:

لقوله - تعالى - في سورة الحجر ﴿لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٢).

رقد فسر الرسول ﷺ السبع المثاني والقرآن العظيم بالفاتحة، كما في حديث أبي سعيد بن المعلى، وأبي بن كعب، وأبي هريرة - رضي الله عنهم^(٣) -.

وسميت بالمثاني - والله أعلم - لأنها حمد لله وثناء عليه وتمجيد له، ولأنها تثنى في كل صلاة، بل في كل ركعة^(٤)، ولأنها اشتملت

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٠٧، «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٢٣-٢٤، «معالم التنزيل» ١: ٣٧، «الكشاف» ١: ٤، «زاد المسير» ١: ١٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١١، «البحر المحيط» ١: ٣٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٢١، «صحيح البخاري مع الفتح» ٨: ١٥٦، «الاتقان» ١: ١٨٧-١٩١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٣) سبق ذكر هذه الأحاديث، وتخريجها في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٠٩-١١٠، «المبسوط» ١: ١٨، «معالم التنزيل» ١: ٣٧، «المحور الوجيز» ١: ٦٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٢٢.

على جميع المعاني التي اشتمل عليها القرآن الكريم - كما سيأتي بيانه - وهو مثنائي تشبيهي فيه المواعظ والقصاص والأخبار والحكم والأحكام، كما قال الله - تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا﴾^(١).

وقيل: لأن الله استثنى هذه الأمة فخصها بها من بين الأمم^(٢)، كما في حديث أبي بن كعب - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «والذي نفسي بيده ما نزل في التوراة، ولا في الزبور، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن مثلها»^(٣).

٢- فاتحة الكتاب:

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» متفق عليه^(٤).

وعن أبي قتادة قال: «كان النبي - ﷺ - يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين وفي رواية: ويقرأ في الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب» متفق عليه^(٥).

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ١: ٣٧، «المحرر الوجيز» ١: ٦٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٢.

(٣) سبق تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) أخرجه البخاري في الأذان - باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها - الحديث ٧٥٦، ومسلم في الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة - الحديث ٣٩٤.

(٥) أخرجه البخاري في الأذان - باب القراءة في الظهر - الحديث ٨٥٩، ومسلم في الصلاة - باب القراءة في الظهر والعصر - الحديث ٤٥١.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أمرني رسول الله - ﷺ - «أن أنادي: «أنه لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب، فما زاد»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر»^(٢).

وفي حديث ابن عباس الآتي في المبحث الرابع في فضل سورة الفاتحة: «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة»^(٣).

وعن جابر بن عبد الله قال: «كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الآخرين بفاتحة الكتاب»^(٤).

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عند الطبري^(٥) - كما سبق في الاسم الأول للفاتحة: «هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب».

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله - ﷺ - قال:

-
- (١) أخرجه أبو داود في الاستفتاح - من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب الحديث ٨٢٠، والترمذي في الصلاة - الحديث ٣١٢. وصححه الألباني.
- (٢) أخرجه أبو داود - الحديث ٨١٨، وأحمد ٣: ٣، والبخاري في جزء القراءة - الحديث ١٢، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديثان ٣٣، ٣٤. وصححه الحافظ ابن حجر كما في «نيل الأوطار» ٢: ٢٣٩، كما صححه الألباني.
- (٣) انظر ص ٩٤ - ١٩٥.
- (٤) أخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة - القراءة خلف الإمام - الحديث ٨٤٣ وصححه الألباني.
- (٥) الحديث ١٣٤.

«كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج»^(١).

وسميت بهذا الاسم لأنها تفتح بها المصاحف خطأ وتلاوة،
وتفتح فيها القراءة في الصلاة^(٢).

٣- الرقية :

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : «كنا في مسير لنا،
فزلنا، فجاءت جارية، فقالت: إن سيد الحي سليمٌ، وإن نفرنا غُيبٌ
فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبئه^(٣) برقية، فرقاه، فبرأ، فأمر
لنا بثلاثين شاةً، وسقانا لبنا، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية، أو
كنت ترفي؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب. فقلنا: لا تحدثوا شيئاً،
حتى نأتي، أو نسأل النبي - ﷺ -، فلما قدمنا المدينة، ذكرناه للنبي -
ﷺ - فقال: «وما يُدريه أنها رقية؟ اقسموا، واضربوا لي بسهم» متفق
عليه^(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه - الحديث ٨٤١ وقال الألباني «حسن صحيح».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١: ٢٠، «تفسير الطبري» ١: ١٠٧.

(٣) نأبئه: أي تعلم أنه يرفي فتعيبه بذلك «النهاية» مادة: أبن.

(٤) أخرجه البخاري - في الإجازة - باب ما يعطى في الرقية - الحديث ٢٢٧٦، وفي فضل
فاتحة الكتاب - الحديث ٥٠٠٧، وفي الطب - الرقي بفاتحة الكتاب - الحديث
٥٧٣٦، وفي النفث في الرقية - الحديث ٥٧٤٩، ومسلم - في كتاب السلام - باب
جواز أخذ الأجرة على الرقية في القرآن والأذكار - الحديث ٢٢٠١، وأبو داود - في
اليوم - باب في كسب الأطباء - الحديث ٣٤١٨، ٣٤١٩، والترمذي - في الطب - ما
جاء في أخذ الأجر في التعويذ - الحديث ٢٠٦٣، ٢٠٦٤، وابن ماجه في الإجازات -
باب أجر الراقي - الحديث ٢١٥٦، وقد أخرجه البخاري - أيضاً - من حديث ابن
عباس - في الطب - باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب - الحديث ٥٧٣٧، وقد =

وعن خارجة بن الصلت عن عمه أنه مر يقوم فأتوه، فقالوا: إنك جئت من عند هذا الرجل بخير، فارق لنا هذا الرجل، فأتوه برجل معتوه في القيود، فرقاه بأمر القرآن، ثلاثة أيام غدوة وعشية، كلما ختمها جمع بزاقه، ثم تفل، فكأنما أنشط عن عقال، فأعطوه شيئاً، فأتى النبي - ﷺ - فذكره له، فقال النبي - ﷺ - : «كل فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق»^(١) «(٢)» .

٤- أم القرآن :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأمر القرآن فهي خداج - ثلاثا، غير تمام...» الحديث رواه مسلم^(٣) .

= ذكر الحافظ ابن حجر أن القصة واحدة، وقعت لهم مع الذي لدغ «فتح الباري» ٤: ٤٥٥، ١٠: ١٩٩ .

(١) هكذا ذكر كثير من المفسرين أن الرقية من أسماء الفاتحة، والذي يظهر والله أعلم أن المراد برقية حق هي فعل الرقية سواء بالفاتحة أو غيرها من القرآن، وكذا المراد بقوله في حديث أبي سعيد «وما يدرية أنها رقية» أي هذه الفعلة قال ابن الأثير في النهاية: «مادة «رقى»: «الرقية العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات» .

(٢) أخرجه أبو داود - في الإجازات - باب في كسب الأطباء - الحديث ٣٤٢٠، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» الحديث ٢٩١٨، وفي «الأحاديث الصحيحة» الحديث ٣٠٢٧ .

(٣) في الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة - الحديث ٣٩٥، وأبو داود في الصلاة - باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب - الحديث ٨٢١، والنسائي في الافتتاح - باب ترك قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» في فاتحة الكتاب، الحديث ٨٧٢، والترمذي في التفسير - الحديث ٢٩٥٤ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «في كل صلاة يقرأ، فما أسمعنا رسول الله - ﷺ - أسمعناكم، وما أخفى عنا أخفينا عنكم، وإن لم تزد على أم القرآن أجزاء، وإن زدت فهو خير» متفق عليه^(١).

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن» رواه مسلم^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «لا تجزيء صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن»^(٣).

وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - السابق في المبحث الأول - عن رسول الله - ﷺ - قال: «أم القرآن هي السبع المثاني، والقرآن العظيم»^(٤) وفي رواية «هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني»^(٥).

وفي رواية: «الحمد لله رب العالمين» أم القرآن وأم الكتاب

(١) أخرجه البخاري في الأذان القراءة في الفجر - الحديث ٧٧٢، ومسلم في الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة - الحديث ٣٩٦، وأبو داود - في الصلاة - باب ما جاء في القراءة في الظهر - الحديث ٧٩٧، وأحمد ٢: ٢٥٨، ٢٧٣، ٢٨٥.

(٢) في الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة - الحديث ٣٩٤، وأحمد ٥: ٣٢٢، والدارقطني ١: ٣٢٢.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في الصلاة - الحديث ٤٩٠، وابن حبان في «زوائد» ٤٥٨ من موارد الظمان. وقال مقبل الوادعي في تعليقه على «تفسير ابن كثير» ١: ٢٨: «هذا على شرط مسلم».

(٤) لفظ البخاري - الحديث ٤٧٠٤، وأحمد ٢: ٤٤٨.

(٥) لفظ الطبري الحديث ١٣٤.

والسبع المثاني»^(١).

وسميت أم القرآن، لأنه ابتدء بها، فهي أصله وابتداؤه، ولأنها أيضاً اشتملت على معاني القرآن كلها^(٢)، كما سميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها، وجمعها ما سواها، وقيل: لأن الأرض دحيت منها^(٣).

قال الطبري^(٤): «سميت أم القرآن لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، وتأخر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة، وذلك من معناها شبيه بمعنى فاتحة الكتاب، وإنما قيل لها بكونها كذلك أم القرآن لتسمية العرب كل جامع أمراً، أو مقدم لأمر - إذا كانت له توابع تتبعه - هو لها إمام جامع «أمًا». فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: «أم الرأس». وتسمي لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش «أمًا». ومن ذلك قول ذي الرمة^(٥) يصف راية معقودة على قناة، يجتمع تحتها هو وصحبه:

على رأسه أم لنا نفتدي بها جماع أمور لا نعاصي لها أمرا

٥- الصلاة:

- (١) لفظ أبي داود الحديث ١٤٥٧، والترمذي الحديث ٣١٢٤.
- (٢) انظر: «الكشاف» ١: ٤.
- (٣) انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٢٢.
- (٤) في «تفسيره» ١: ١٠٧-١٠٨. وانظر «تفسير ابن كثير» ١: ٢٢.
- (٥) ديوانه ص ١١٦٤ - تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح - دمشق ١٣٩٤هـ.

عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ قال الله: حمدني عبدي...» الحديث رواه مسلم^(١).

فالمراد بالصلاة في الحديث الفاتحة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١١﴾: أي لا تجهر بقراءتك، ولا تخافت بها.

قال ابن كثير^(٢): «فدل على عظمة القراءة في الصلاة، وأنها من أكبر أركانها...، كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة في قوله تعالى ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿٧٨﴾^(٣). والمراد صلاة الفجر...».

٦- أم الكتاب:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، والقرآن العظيم»^(٤).

(١) في الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة - الحديث ٣٩٥. وأخرج الطبري نحوه مختصراً من حديث جابر بن عبد الله - الحديث ٢٢٤. قال أحمد شاكر: «إسناده جيد صحيح»، وقد سبق ذكره بتمامه وتخريجه في الكلام على البسمة. انظر ص ١١٧-١١٨.

(٢) في «تفسيره» ٢٧: ١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٤) سبق تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب، فهي خداج»^(١).

وفي حديث أبي سعيد الخدري في قصة اللديغ^(٢) أن الرجل رماه بأم الكتاب.

قال البخاري^(٣): «سميت أم الكتاب، لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة».

وقد أخرج ابن الضريس في «فضائل القرآن» عن محمد بن سيرين أنه كان يكره أن يقول: أم الكتاب. يقول: قال الله - تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، ولكن يقول: «فاتحة الكتاب» وروي نحوه عن أنس ابن مالك^(٤).

وروي عن الحسن قال: «أم الكتاب الحلال والحرام. قال الله تعالى: ﴿مِنَهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾»^(٥).

وإنما كرهه هؤلاء لأن الله سمي اللوح المحفوظ أم الكتاب. في

(١) أخرجه ابن ماجه - في إقامة الصلاة - باب القراءة خلف الإمام - الحديث ٨٤٠، وأحمد ٦: ١٤٢، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ٩٠-٩١، وقال الألباني: «حسن صحيح».

(٢) سبق ذكره وتخرجه في هذا المبحث في اسمها الرقية.

(٣) في صحيحه انظر «فتح الباري» ٨: ١٥٥، وانظر ما تقدم في ذكر التعليل في تسمية الفاتحة أم القرآن.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١١. «تفسير ابن كثير» ١: ٢١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧، انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٦٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٢١.

قوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١)، وفي قوله: ﴿وَلَا تَمُوتُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾^(٢).

كما سمي الآيات المحكمات المشتملة على الحلال والحرام وغيره «أم الكتاب» في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(٣).

وهذه العلة لا تكفي حجة إذ لا يلزم من تسمية الفاتحة «أم الكتاب» أن لا يسمى غيرها بذلك.

قال القرطبي^(٤) بعدما ذكر ما روي عن أنس والحسن وابن سيرين من كراهتهم تسميتها أم الكتاب، وما روي عن أنس وابن سيرين - أيضاً - من كراهيتهما تسميتها أم القرآن قال: «والأحاديث الثابتة ترد هذين القولين».

٧- القرآن العظيم:

لقوله تعالى في سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٥).

ولما جاء في حديث أبي سعيد بن المعلى، وأبي بن كعب وأبي

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٤) في «تفسيره» ١: ١١٢ وانظر ص ١١٤.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

هريرة - رضي الله عنهم - من قوله - ﷺ -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم^(١). على اعتبار أن الواو في الحديث لعطف الصفات، والتي بمعنى التفصيل، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا فَتْكُهُمْ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(٣). وذلك لأن سورة الفاتحة تضمنت معاني القرآن كلها كما سبقت الإشارة إلى ذلك^(٤).

ويحتمل أن تكون الواو لعطف التغاير، كما هو الأصل في العطف، فيكون المراد بالقرآن العظيم: أي الذي أوتيته زيادة على الفاتحة^(٥).

٨- الحمد لله رب العالمين:

لما جاء في حديث أبي سعيد بن المعلى^(٦). قال ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السبع المثاني... الحديث.

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث في المبحث الأول من هذا الفصل. وانظر «دقائق التفسير» ١٧١:١.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٦٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٨.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١١٢:١ وانظر ما يأتي في ذكر بيان ما اشتملت عليه الفاتحة..

(٥) انظر: «فتح الباري» ١٥٩:٨.

(٦) سبق ذكره وتخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل. وانظر «فتح الباري» ١٥٩:٨.

- هذه الاسماء الثمانية هي التي دل عليها الدليل من الكتاب والسنة .
وهناك اسماء عدة ذكرها بعض أهل العلم ، منها ما يلي :-
- ١- الأساس ، قيل : لأنها أساس القرآن . رُوِيَ عن ابن عباس : «إذا اعتلت أو اشتكيت فعليك بالأساس»^(١) .
 - ٢- الشافية^(٢) ، أو الشفاء^(٣) .
 - ٣- الوافية . بالقاف المثناة^(٤) .
 - ٤- الوافية : بالفاء الموحدة ، قالوا : لأنها لا تُصَف ، ولا تحتمل التنصيف ولا يجوز تنصيفها^(٥) .
 - ٥- الكافية : قالوا لأنها تكفي عن غيرها ، ولا يكفي غيرها عنها^(٦) .
 - ٦- الكثر : رُوِيَ أنها نزلت من كثر تحت العرش^(٧) .

(١) انظر : «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٣ ، «تفسير النسفي» ١: ١ ، «تفسير ابن كثير» ٢١: ١ .

(٢) انظر : «الكشاف» ٤: ١ ، «مجموع الفتاوى» ٥: ١٤ .

(٣) انظر : «الكشاف» ٤: ١ ، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٢ ، «تفسير ابن كثير» ٢١: ١ .

(٤) انظر : «البحر المحيط» ١: ٣٢٢ ، «تفسير ابن كثير» ٢١: ١ .

(٥) انظر : «الكشاف» ٤: ١ ، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٣ ، «لباب التأويل في معاني التنزيل» ١: ١١ .

(٦) انظر : «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٣ ، «مجموع الفتاوى» ٥: ١٤ . «تفسير ابن كثير» ٢١: ١ . واستدل له بحديث أخرجه الدارقطني ١: ٣٢٢ ، والحاكم في «المستدرک» ١: ٢٣٨ ، عن عبادة أن النبي ﷺ قال : «أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها منها عوضاً» قال الدارقطني : «نفرد به محمد بن خلاد عن أشهب عن ابن عيينة» .

(٧) انظر «الكشاف» ٤: ١ ، «تفسير النسفي» ١: ١ ، «تفسير ابن كثير» ٢١: ١ ، «فتح الباري» ٨: ١٥٦ .

- ٧- سورة السؤال، أو المناجاة^(١).
- ٨- الواجبة لأنها تجب قراءتها في الصلوات، ولا تصح الصلاة إلا بها^(٢).
- ٩- سورة النور^(٣).
- ١٠- سورة التفويض^(٤).
- ١١- سورة الحمد^(٥).
- ١٢- سورة الضلوة^(٦).
- ١٣- سورة تعليم المسألة^(٧).
- إلى غير ذلك^(٨).

- (١) انظر: «البحر المحيط» ١: ٣٢.
- (٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٥: ١٤.
- (٣) انظر: «البحر المحيط» ١: ٣٢.
- (٤) انظر: «البحر المحيط» ١: ٣٢.
- (٥) انظر: «الكشاف» ٤: ١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١١، «البحر المحيط» ١: ٣٢، «لباب التأويل في معاني التنزيل» ١: ١١، «تفسير ابن كثير» ١: ٢١.
- (٦) انظر: «الكشاف» ٤: ١، «البحر المحيط» ١: ٣٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٢١.
- (٧) انظر: «غرائب القرآن و رغائب الفرقان» ١: ٨١، «أنوار التنزيل» ١: ٥، «البحر المحيط» ١: ٣٢.
- (٨) أوصلها السيوطي في «الإتقان» ١/ ٥٢-٥٣ إلى خمس وعشرين اسماً.

المبحث الثالث

عدد آيات الفاتحة، وهل البسمة آية منها؟

عدد آيات الفاتحة سبع آيات بإجماع المسلمين^(١)، لقوله تعالى في سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٢) وقد فسر الرسول - ﷺ - السبع المثاني والقرآن العظيم بالفاتحة - كما سبق ذكره - في حديث أبي سعيد بن المعلى وأبي بن كعب وأبي هريرة^(٣).

وهي سبع آيات بدون البسمة الآية الأولى منها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والثانية: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، والثالثة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، والرابعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والخامسة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، والسادسة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والسابعة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٤). والبسمة ليست آية منها - على الصحيح - الذي تؤيده

(١) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٠٩، «المحرر الوجيز» ١: ٨٩، «أحكام القرآن» لابن العربي ٥: ١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٤، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٥١، «تفسير ابن كثير» ١: ٢٢، «فتح الباري» ٨: ١٥٩. وما قيل من أنها ست أو ثمان آيات فذلك شاذ لا يعتد به.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٣) راجع المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٨٩.

الأدلة الصحيحة الصريحة.

أما الترقيم الموجود في المصاحف فهو وفق قول قراء الكوفة وبعض أهل العلم، لكن الصحيح خلافه. وقد تقدم بيان ذلك وبسط الأدلة فيه في الكلام على البسمة^(١).

(١) راجع المبحث الثالث في الكلام على البسمة، في الفصل الثاني من الباب الأول.

المبحث الرابع فضل سورة الفاتحة

سورة الفاتحة من أعظم سور القرآن، وأفضلها، بل هي أفضل سورة في القرآن، ومما يدل على فضلها:

- ١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (١).
- ٢- ما رواه البخاري وغيره عن أبي سعيد بن المعلى أن رسول الله - ﷺ - قال: «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن. قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) هي السبع المثاني، والقرآن العظيم، الذي أوتيته» (٢).

وقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما عن أبي بن كعب نحوه (٣).

وفي بعض روايات حديث أبي أن رسول الله - ﷺ - قال: «ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلها، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته».

- ٣- ما رواه مسلم وغيره (٤) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال:

(١) سورة الحجز، الآية: ٨٧.

(٢) سبق تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٣) سبق تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) أخرجه مسلم - في صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة

الحديث ٨٠٦، والنسائي - في الافتتاح - باب فضل فاتحة الكتاب - الحديث ٨٧٥.

وأخرجه بهذا اللفظ أو نحوه - أيضاً - مالك في «الموطأ» الحديث ١٨٣، وابن المنذر =

«بينما جبريل قاعد عند النبي - ﷺ - سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»^(١).

- ٤- ما رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» .
 وغيره من الأحاديث الدالة على وجوب قراءة الفاتحة^(٢)، وأنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها، مما يدل على فضلها
- ٥- ما رواه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن، فهي خداج، ثلاثاً - غير تمام..»^(٣).

= في «الأوسط» الحديث ١٣٠٠.

(١) أخذ بعض أهل العلم من هذا الحديث أن جبريل - عليه السلام - لم ينزل بسورة الفاتحة، ولا خواتيم سورة البقرة، وإنما نزل بذلك ملك غيره والحق أنه ليس في هذا الحديث ما يدل على أن الملك الذي نزل - وجبريل عند النبي - ﷺ - هو الذي نزل بسورة الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، وإنما الذي فيه بيان فضل هذه السورة وتلك الآيات: أي التبشير بفضلهما وعظيم ثوابهما. والثابت أن ملك الوحي هو جبريل عليه السلام. قال الله - تعالى عن القرآن ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٥٦﴾ عَلَيَّ فَلْيَكْ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

الآيتان (١٩٣-١٩٤) الشعراء. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٦.

(٢)، (٣) سبق تخريجها كلها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

وكذا ما جاء من الأحاديث في معناه الدالة على أن من صلى صلاة لا يقرأ فيها بالفاتحة فصلاته ناقصة غير تامة، أو أنها غير مُجَزَّئة، فهذا أيضاً يدل على فضلها.

٦- ما رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدى ما سأل...» الحديث^(١).

فقد سمي الله - تعالى - الفاتحة الصلاة وقسمها بينه وبين عبده، فأولها حمد وثناء وتمجيد للرب، وآخرها للعبد دعاء ومسألة. وكل هذا يدل على عظمها وفضلها^(٢).

٧- ما رواه البخاري ومسلم - عن أنس بن مالك: «أن النبي - ﷺ - وأبا بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - كانوا يفتتحون الصلاة، وفي بعض الروايات يفتتحون القراءة بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

٨- ما رواه مسلم عن عائشة - رضي الله عنها -: «أن رسول الله - ﷺ - كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين»^(٤).

(١) سبق تخريجه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٢) انظر: «دقائق التفسير» ١٧٢-١٧٣.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان - ما يقول بعد التكبير - الحديث ٧٤٣، ومسلم في الصلاة - الحديث ٣٩٩.

(٤) أخرجه مسلم في الصلاة - ما يجمع صفة الصلاة - الحديث ٤٩٨، وأبو داود - في الصلاة - الحديث ٧٨٣.

٩- ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد الخدري في قصة اللديغ وأن رجلا منهم رقاہ بأم الكتاب، وفي بعض رواياته «فقام الرجل كأنما نشط من عقال».

وقوله - ﷺ -: «وما يدريه أنها رقية، اقسما واضربوا لي بسهم». وفي حديث خارجة عن عمه^(١): «أنه مر بقوم فأتوه برجل معتوه في القيود فرقاہ بأم القرآن» وذكر نحوه. فأتوها في إبراء المريض يدل على عظمها وفضلها، ولهذا سماها الرسول - ﷺ - بالرقية.

١٠- وعن عبدالله بن جابر أن رسول الله - ﷺ - قال: «ألا أخبرك بخير سورة في القرآن، قلت: بلى يا رسول الله - قال: اقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى تختمها»^(٢).

١١- ومما يدل على عظم سورة الفاتحة، وفضلها اشتغالها على معاني القرآن كله، من حمد الله وثنائه وتمجيده، وأنواع توحيده، وإثبات الرسالات والبعث والجزاء، وذكر العامل وعمله وأقسام الناس وغير ذلك - كما سيأتي بسط ذلك قريباً إن شاء الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) - في الكلام على الفاتحة: «والصلاة

(١) سبق تخريجها في المبحث الثاني، من هذا الفصل.

(٢) أخرجه أحمد ٤: ١٧٧. قال ابن كثير في «تفسيره» ٢٥: ١ «هذا إسناد جيد، وابن عقيل هذا يحتج به الأئمة الكبار، وعبد الله بن جابر هذا هو الصحابي، ذكر ابن الجوزي أنه هو العبدى، والله أعلم. ويقال: إنه عبدالله بن جابر الأنصاري البياضي فيما ذكره الحافظ ابن عساكر». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦: ٣١ «حديث حسن».

(٣) انظر «دقائق التفسير» ١: ١٧١-١٧٢ وانظر «مجموع الفتاوى» ١٤: ٥-٧، ١٧: ١٤-١٨.

أفضل الأعمال، وهي مؤلفة من كلم طيب وعمل صالح، أفضل كلمها الطيب، وأوجهه أم القرآن، وأفضل عملها الصالح وأوجهه السجود».

وقال أيضاً: «وأم الكتاب كما أنها القراءة الواجبة، فهي أفضل سورة في القرآن..»

وفضائلها كثيرة جداً. وقد جاء مأثورًا عن الحسن البصري، رواه ابن ماجه وغيره: أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، جمع علمها في الأربعة، وجمع علم الأربعة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصل، وجمع علم المفصل في أم القرآن، وجمع علم أم القرآن في هاتين الكلمتين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

فائدة:

حيث ثبت بالأحاديث الصريحة الصحيحة عن النبي - ﷺ - أن الفاتحة أعظم سورة في القرآن فتجوز المفاضلة بين السور، خلافاً لمن منع ذلك (١).

وقد أخرج مسلم وغيره عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله - ﷺ - : «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قال: فضرب في

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٠٩، «تفسير ابن كثير» ١: ١٠٩.

صدري، وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر^(١)».

لكن التفضيل بين السور والآيات مقيد بأن يكون ثبت بالنص الصحيح الصريح عن النبي - ﷺ - أما المفاضلة بين السور والآيات بلا دليل صحيح فإنها لاتجوز.

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي - الحديث ٨١٠، وأبو داود في الصلاة - ماجاء في آية الكرسي الحديث ١٤٦٠. وانظر «مجموع الفتاوى» ١٧: ١٣، ١٢٩-١٣٠.

المبحث الخامس

المعاني التي اشتملت عليها سورة الفاتحة

اشتملت سورة الفاتحة على جميع المعاني التي اشتمل عليها القرآن الكريم.

ففيها حمد الله والثناء عليه وتمجيده، وفيها توحيده بأقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وفيها الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، وإثبات البعث والجزاء والعمل: أي العمل وجزائه، والعامل وعمله.

وفيها: إرشاد الخلق إلى حمد الله والثناء عليه وتمجيده وعبادته والاستعانة به في جميع أمورهم الدينية والدينية، وإخلاص العمل لله، وإعلان البراءة من حولهم وقوتهم، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم المؤدي بسالكة إلى سعادة الدارين.

وفيها ذكر أقسام الناس الثلاثة: المنعم عليهم، وهم الذين هداهم الله ووقفهم إلى العلم، ومعرفة الحق، والعمل به.

والمغضوب عليهم: وهم الذين علموا الحق وعرفوه، ولم يعملوا به، والضالين: وهم الذين جهلوا الحق، فعملوا بالباطل.

وفيها إثبات الرسل والرسالات والوحي، إذ كيف يحمد العباد،

وكيف يعبدونه وفق ما شرع، وكيف لهم بمعرفة طريق المنعم عليهم واقتفائه، والحذر من طريق المغضوب عليهم، وطريق الضالين، والبعد عنهما، إلا من طريق الوحي والرسول والرسالات، وكيف يجازون على ذلك حسب أعمالهم إلا بعد البيان وإقامة الحجة عليهم، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجْمَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرُ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٢). وقال حذيفة بن اليمان: «كان الناس يسألون رسول الله - ﷺ - عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»^(٣). وكما قيل:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لم يعرف الشر حري أن يقع فيه
كما تضمنت السورة الرد على جميع المبطلين، وأهل البدع والضلال والإلحاد.

قال ابن القيم - رحمه الله - في «مدارج السالكين»^(٤): «اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال،

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٣) أخرجه البخاري في المناقب - الحديث ٣٦٠٦، ومسلم في الإمارة - باب لزوم جماعة المسلمين الحديث ١٨٤٧.

(٤) ٣٠: ١، وانظر: «التفسير القيم» ص ٧-١١ وانظر أيضاً ٩٩: ١-١٠٠ من «مدارج السالكين».

وتضمنتها أكمل تضمن فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء مرجع الأسماء الحسنی والصفات العليا إليها، ومدارها عليها وهي: «الله»، و«الرب»، و«الرحمن». وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة، و ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مبني على الإلهية، و ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على الربوبية. وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة، فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته، والشأن والمجد كما لان لجده.

وتضمنت اثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، حسنها وسيئها، وتفرد الرب - تعالى - بالحكم إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل. وكل هذا تحت قوله ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة...»

وقال - أيضاً - في كتابه «الفوائد»^(١): «فائدة: للإنسان قوتان: قوة علمية نظرية، وقوة علمية إرادية، وسعادته التامة موقوفة على استكمال قوته العلمية والإرادية، واستكمال القوة العلمية إنما يكون بمعرفة فطره وبارئه، ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة الطريق التي توصل إليه، ومعرفة آفاتها، ومعرفة نفسه، ومعرفة عيوبها، فهذه المعارف الخمس يحصل كمال قوته العلمية. وأعلم الناس أعرفهم بها، وأفقههم فيها، واستكمال القوة العلمية الإرادية لا يحصل إلا بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد، والقيام بها، إخلاصاً وصدقاً، ونصحاً وإحساناً،

ومتابعة، وشهوداً لمتته عليه وتقصيره هو في أداء حقه، فهو مستحي من مواجهته بتلك الخدمة، لعلمه أنها دون ما يستحقه عليه، ودون ذلك، وأنه لاسبيل له إلى استكمال هاتين القوتين إلا بمعونته، فهو مضطر إلى أن يهديه الصراط المستقيم، الذي هدى إليه أولياءه وخاصته، وأن يجنبه الخروج عن ذلك الصراط، إما بفساد في قوته العلمية، فيقع في الضلال، وإما في قوته العملية، فيوجب له الغضب.

فكمال الإنسان وسعادته لا تتم إلا بمجموع هذه الأمور، وقد تضمنتها سورة الفاتحة، وانتظمتها أكمل انتظام فإن قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ يتضمن الأصل الأول، وهو معرفة الرب تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنی، وهو اسم «الله» و«الرب» و«الرحمن». فاسم «الله» متضمن لصفات الألوهية، واسم «الرب» متضمن لصفات الربوبية، واسم «الرحمن» متضمن لصفات الإحسان والجود والبر، ومعاني أسمائه تدور على هذا.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ يتضمن معرفة الطريق الموصلة إليه، وأنها ليست إلا عبادته وحده بما يحبه ويرضاه، واستعانتة على عبادته.

وقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ يتضمن بيان أن العبد

لا سبيل إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له، كما لا سبيل له إلى عبادته إلا بمعونته، فلا سبيل له إلى الاستقامة على الصراط إلا بهدايته.

وقوله: ﴿غَيْرِ الْمَقْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يتضمن طرفي الانحراف عن الصراط المستقيم، وأن الانحراف إلى أحد الطرفين انحراف إلى الضلال، الذي هو فساد العلم والاعتقاد، والانحراف إلى الطرف الآخر انحراف إلى الغضب الذي سببه فساد القصد والعمل. فأول السورة رحمة، وأوسطها هداية، وآخرها نعمة. وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية، وحظه منها على قدر حظه من الرحمة، فعاد الأمر كله إلى نعمته ورحمته، والنعمة والرحمة من لوازم ربوبيته فلا يكون إلا رحيماً منعماً، وذلك من موجبات إلهيته، فهو الإله الحق، وإن جحدته الجاحدون، وعدل به المشركون، فمتى تحقق بمعاني الفاتحة علماً ومعرفة وعملاً وحالاً فقد فاز من كماله بأوفر نصيب، وصارت عبوديته عبودية الخاصة، الذين ارتفعت درجاتهم عن عوام المتعبدين، والله المستعان».

وقال ابن كثير - رحمه الله^(١) -: «اشتملت هذه السورة الكريمة، وهي سبع آيات على حمد الله وتمجيده، والشأن عليه، بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا، وعلى ذكر المعاد، وهو يوم الدين،

(١) في «تفسيره ٦٠: ١»، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ٩٨: ١، «مجموع الفتاوى» ٦٧: ١٧. «التسهيل لعلوم التنزيل» ٣٤: ١، «تيسير الكريم الرحمن» ٣٧: ١.

وعلى إرشاد عبده إلى سؤاله، والتضرع إليه، والتبرؤ من حولهم وقوتهم، وإلى إخلاص العبادة له، وتوحيده بالألوهية تبارك تعالى، وتنزيهه أن يكون له شريك، أو نظير، أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه حتى يفضي لهم بذلك إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة، المفضي بهم إلى جنات النعيم في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة. والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضالون. .»

المبحث السادس بيان معنى السورة والآية

أ- بيان معنى السورة:

السورة: فيها لغتان: «سورة» بدون همز. و «سورة» بالهمز.
أما «سورة» بدون همز فهي لغة قريش وأكثر قبائل العرب، تجمع
على «سور»^(١). قال تعالى: ﴿فَأَتَوْا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾^(٢).
وقال الراعي^(٣):

هن الحرائر لاربات أخمرة سود المحاجر لا يقرآن بالسور

ويجوز أن تجمع على سُورَات، وسُورَات^(٤).

وهي مأخوذة من معنى الإبانة والارتفاع ومن معنى الإحاطة ومعنى
التمام.

أما كونها مأخوذة من معنى الإبانة والارتفاع فإن السورة بائنة عن
السورة الأخرى منفصلة عنها، ولأن منزلتها رفيعة وعظيمة وشريفة

(١) انظر «المحرر الوجيز» ١: ٤٦، «لسان العرب» مادة: «سور».

(٢) سورة هود، الآية: ١٣.

(٣) انظر: «ديوانه» ص ١٢٢، «المختص» ١٤: ٢٠١، «جمهرة اللغة» ٢: ٤١٢، «مغني

الليبي» ص ٤٥. «لسان العرب» مادة: «سور».

(٤) انظر: «لسان العرب» مادة: «سور».

يشرف بها القارىء ويرتفع بها من منزلة إلى منزلة^(١)، كما قال النابغة
الذبياني^(٢).

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

أي: أعطاك منزلة رفيعة قصرت عنها منازل الملوك.

وأما كونها بمعنى الإحاطة فلأنها محيطة بما احتوت عليه من
الآيات، ومن قرأها بكاملها أشرف واطلع على ما فيها من الآيات.
كسور البلد يكون عالياً مرتفعاً ويحيط بما في داخله من العمران من
المنازل والدور والبيوت وغيرها^(٣)، ومن صعد عليه شاهد ما بداخله
من ذلك العمران.

وأما كونها بمعنى التمام فلأنها تامة منفصلة عن السورة الأخرى،
تامة بموضوعاتها وآياتها، كما تسمى العرب الناقية التامة الكريمة
سورة^(٤).

وأما اللغة الثانية: «سورة» بالهمز فإنها لغة تميم وتجمع على
«سُور» بهمز.

والسورة في الأصل معناها القطعة من الشيء، والبقية منه، ومنه

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢٠: ١، «تفسير الطبري» ١٠٤: ١-١٠٥، «مشكل إعراب القرآن»

٦٨: ١، «المحرر الوجيز» ٤٦: ١، «لسان العرب» مادة «سور».

(٢) انظر: «ديوانه» ٥٦، «تفسير الطبري» ١٠٥: ١، «لسان العرب» مادة «سور».

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ١٨.

(٤) انظر: «لسان العرب» مادة «سور».

«سؤر الشراب»: أي بقيته .

قال الأعشى^(١):

فبانت وقد أسارت في الفؤا د صدعا على نأيها مستطيرا

أي: أبتت في الفؤاد .

ومعنى السؤرة من القرآن هي القطعة منه .

والقرآن من سورة بعد سورة: أي قطعة بعد قطعة، حتى كمل منها القرآن^(٢).

والسورة من القرآن في الاصطلاح: القطعة من كلام الله - تعالى - في كتابه، ذات بداية ونهاية معروفة، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر .
وسور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة، أطولها سورة البقرة، وأقصرها سورة الكوثر .

ب - بيان معنى الآية:

(١) انظر: «ديوانه» ص ١٤٣، شرح د/محمد محمد حسين - بيروت ١٩٨٣م «تفسير الطبري» ١: ١٠٥ . بانت: بعدت: صدع مستطير: تصدع من أوله إلى آخره . ومستطير: متفرق، منتشر . النأي: البعد . والشاعر يصف امرأة فارقته فأبقت في قلبه من محبتها ووجدتها بقية .

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١: ٢، «تفسير الطبري» ١: ١٠٥، «لسان العرب» مادة (سور)، «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١: ٦٨، «المحرر الوجيز» ١: ٤٦، «تفسير ابن كثير» ١: ١٨ .

الآية لغة: العلامة^(١). قال تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ
هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى عن الحواريين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ
السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عَيْدًا أَلَوْنًا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ﴾^(٣).

وقال الأسير الموصي لقومه^(٤): «بآية ما أكلت معكم حيسا».

وقال النابغة الذبياني^(٥):

توهمت آيات لها فعرفتها لسته أعوام وذا العام سابع

وتطلق الآية بمعنى الجماعة، يقال: خرج القوم بآيتهم: أي
بجماعتهم^(٦).

قال برج بن مسهر الطائي^(٧):

-
- (١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٠٦، «المحرر الوجيز» ١: ٤٧، «النهاية» مادة «آية»،
«تفسير ابن كثير» ١: ١٨.
- (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.
- (٣) سورة المائدة، الآية: ١١٤.
- (٤) انظر قصته في كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي ١: ٧-٦، وانظر: «المحرر الوجيز»
١: ٤٧.
- (٥) انظر: «ديوانه» ص ١٦٢، «تفسير ابن كثير» ١: ١٨.
- (٦) انظر: «النهاية» مادة «آية».
- (٧) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٤٧، «تفسير ابن كثير» ١: ١٨. ومعنى نزجي: نسوق، =

خرجنا من النقيين لا حي مثلنا بأيتنا نزجي اللقاح المطافلا

والآية القرآنية مأخوذة من معنى العلامة، لأن الآية القرآنية علامة على وجود الله وكماله في ذاته وصفاته. كما أنها علامة للفصل بين ما قبلها وما بعدها^(١).

ويحتمل أنها من المعنيين جميعاً من معنى العلامة، ومعنى الجماعة لأنها مع كونها من معنى العلامة فهي أيضاً معنى الجمع، لأنها تجمع حروفاً وكلمات من القرآن^(٢).

وتجمع الآية على آيات، وآيات الله تنقسم إلى قسمين: آيات كونية، وآيات شرعية.

فالآيات الشرعية هي ما يتعلق بالوحي، من كلام الله تعالى، وسميت بذلك لمباينتها كلام البشر، وعجزهم عن الإتيان بمثلها، ولأن في إصلاح هذا الوحي لمن أنزله الله عليه، حسب ما شرع الله. علامة ودلالة واضحة على أنه من عند الله ذو الكمال في ذاته وصفاته، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣).

والآية الشرعية في الاصطلاح: هي القطعة من كلام الله - تعالى -

= واللقاح: ذوات الألبان، والمطافلا: النوق معها أولادها.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٠٦، «المحرر الوجيز» ١: ٤٧، «تفسير ابن كثير» ١: ١٨.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٤٧، «النهاية» مادة: «آية».

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢.

ذات بداية ونهاية، منفصلة عما قبلها وعما بعدها، مندرجة تحت سورة من سور القرآن الكريم^(١). وأطول آية في القرآن آية الدين ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدِينٍ...﴾^(٢) الآية، وأقصر آية ﴿مُدَاهَمَتَانِ﴾^(٣) باستثناء الحروف المقطعة أوائل السور.

والآيات الكونية: ما يتعلق بالخلق والتقدير، وهي تشمل كل ما خلق الله في هذا الكون من أرض وسماء، وليل ونهار، وشمس وقمر، وحجر وشجر، وجن وإنس، وحيوان، وسائر المخلوقات. لأن في إيجاد هذه المخلوقات وانتظامها علامة ودلالة واضحة على وجود خالقها وباريها، وعلى قدرته وحكمته ووحدانيته ورحمته، وكماله في ذاته وصفاته.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافَ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْرُ إِنِّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعٰلَمِينَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَعَآيَةٌ لَّهُمُ الْاَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾^(٦) وَحَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ^(٧)

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٠٦، «تفسير ابن كثير» ١: ١٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٦٤.

(٤) سورة الروم، آية: ٢٢.

(٥) سورة الروم، آية: ٢٥.

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ، وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَلْتَلُّ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾
وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ
مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ
مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٤٤﴾

وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢١﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا
تَبْصُرُونَ ﴿٢٢﴾ (٥)

(١) سورة يس، الآيات: ٣٣-٣٥.

(٢) سورة يس، الآيات: ٣٧-٣٩.

(٣) سورة يس، الآيات: ٤١-٤٢.

(٤) سورة فصلت، آية: ٣٧.

(٥) سورة الذاريات، الآيات: ٢٠-٢١.

المبحث السابع

تفسير مفردات الفاتحة، وبيان معاني آياتها

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الحمد مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. وهو مصدر سماعي للفعل «حمد» دخلت عليه «أل».

و «أل»: إذا دخلت على الأوصاف، وأسماء الأجناس دلت على الاستغراق والشمول والاستقصاء^(١)، وعلامتها صحة وضع كل الشمولية مكانها: أي كل الحمد بجميع صنوفه وأجناسه لله تعالى.

والحمد. وصف المحمود بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم. فإن لم يكن مع المحبة والتعظيم كان نفاقاً ورياءً، وكذباً وتزلفاً ومدحاً مذموماً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢): «الحمد الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة لها. فلو أخبر مخبر بمحاسن غيره من غير محبة لها لم يكن حامداً، ولو أحبها ولم يخبر بها لم يكن حامداً».

وإذا كرر الحمد مرة ثانية سمي ثناءً، وإذا كرر الثالثة سمي «تمجيداً»

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٣٨، «المحرر الوجيز» ١: ٦٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١٣٣: ١، «تفسير النسفي» ١: ٤، «مجموع الفتاوى» ١: ٨٩، «البحر المحيط» ١: ١٨.
(٢) في مجموع الفتاوى ٨: ٣٧٨. وانظر ٦: ٢٥٩.

بدليل ما جاء في حديث أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل. فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال العبد ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣﴾ قال الله: أثنى علي عبدي. فإذا قال ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾ قال الله: مجدني عبدي...» الحديث رواه مسلم^(١).

فقوله (الحمد لله) حمد مطلق. و«الحمد» اسم جنس والجنس له كمية وكيفية. فالثناء كمية الحمد وتكثيره والتمجيد كفيته وتعظيمه. وهذا يدل على خلاف ما درج عليه كثير من المفسرين وأهل اللغة من تفسير الحمد مطلقاً بالثناء^(٢).

الفرق بين الحمد والشكر:

فسر بعض أهل العلم الحمد بمعنى الشكر، منهم المبرد^(٣) والطبري^(٤). قال الطبري: «العرب تقول الحمد لله شكراً». والصحيح أن الحمد غير الشكر فالحمد كالمدح نقيضه الذم،

(١) سبق تخريجه في ذكر أسماء الفاتحة في المبحث الثاني.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» ٦: ٢٦٦. وانظر: «تفسير الطبري» ١: ١٣٩، «الكشاف» ١: ٧، «المحرر الوجيز» ١: ٦٣، «زاد المسير» ١: ١١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٣، ١٣٤، «أنوار التنزيل» ١: ٧، «لسان العرب» مادة (حمد) «البحر المحيط» ١: ١٨، «أضواء البيان» ١: ٣٩.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٣.

(٤) في «تفسيره» ١: ١٣٥-١٣٨.

والشكر نقيضه الكفران^(١) وبين الحمد والشكر عموم وخصوص^(٢).

فالحمد أعم من حيث ما يقع عليه، فهو يقع على الصفات اللازمة والمتعدية تقول: حمدته لفروسيته وشجاعته، وحمدته لكرمه.

وهو أخص من حيث الأداة التي يقع بها، فهو يقع باللسان فقط، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾^(٣).
قال الزمخشري^(٤):

«وهو إحدى شعب الشكر».

قلت: وليس معنى كونه يقع باللسان فقط أن يكون ذلك بدون مواطأة القلب وموافقته، لأن الحمد كما تقدم وصف المحمود بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم في القلب، ومعلوم أن مدار الأعمال كلها صلاحاً أو فساداً على القلب قال - ﷺ -: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٥) وقال - ﷺ -: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي

(١) انظر: «الكشاف» ٨: ١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٣.
(٢) انظر: «المفردات» مادة «شكر»، «معالم التنزيل» ١: ٣٩، «الكشاف» ١: ٨٧، «المحرر الوجيز» ١: ٦٣، «زاد المسير» ١: ١١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٤، «تفسير النسفي» ١: ٣، «مجموع الفتاوى» ١١: ١٣٣-١٣٤، ١٣٥، ١٤٦، «تفسير ابن كثير» ٤٥: ١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١١.

(٤) في «تفسيره» ٧: ١، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٣-١٣٤.

(٥) أخرجه من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - البخاري في بدء الوحي - الحديث (١)، ومسلم في الإمارة - الحديث ٧٠٩١.

القلب^(١).

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) رحمه الله: (والحمد إنما يكون بالقلب واللسان . .).

والشكر أخص من حيث ما يقع عليه فهو لا يقع إلا على الصفات المتعدية. تقول: شكرته لكرمه، ولا تقول: شكرته لفروسيته وشجاعته، فهو لا يكون إلا جزاء على نعمة بينما الحمد يكون جزاء كالشكر، ويكون ابتداء.

وهو: أي الشكر أعم من حيث الأداة التي يقع بها، فهو يقع في القلب واللسان والجوارح كما قال الشاعر:

وما كان شكري وافياً بنو الكُفِّمِ ولكنني حاولت في الجهد مذهباً
أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير والمحجبا^(٣).

فالشكر بالقلب بالاعتراف بالنعمة باطنا ونسبتها إلى المنعم بها ومسديها.

والشكر باللسان بالاعتراف بالنعمة ظاهراً والتحدث بها باللسان.
قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا نِعْمَةَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٤).

(١) أخرجه من حديث النعمان بن بشير - البخاري - في الإيمان - الحديث ٥٢، ومسلم في المساقاة - الحديث ١٥٩٩.

(٢) في «مجموع الفتاوى» ١١: ١٣٤.

(٣) انظر «الكشاف» ١: ٧، «مجموع الفتاوى» ١١: ١٣٣-١٣٤، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٥.

(٤) سورة الضحى، الآية: ١١.

وهذا على القول بأنه يدخل تحت معنى الآية التحدث بنعم الله عامة والآية تحتمله بلا شك، لأنه لا ينافي القول بأن المراد بالنعمة هنا نعمة النبوة .

والشكر بالجوارح بالاستعانة بالنعمة على طاعة المنعم قولاً وعملاً كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾^(١). وقام ﷺ حتى تورمت قدماه، وقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٢). ويكون بظهور أثر النعمة على المنعم عليه. كما في الحديث «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(٣). وفي حديث أبي مالك الجشمي أن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا آتاك الله مالاً فليُرْ أثر نعمة الله عليك وكرامته»^(٤).

والمدح أعم منهما جميعاً: من حيث ما يقع عليه^(٥)، فإنه يقال، مما يقع من الإنسان بالتسخير، ومما يقع منه باختياره متعدياً أو لازماً، فقد يُمدح الإنسان بطول قامته، كما يُمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه،

(١) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - الحديث ٤٨٣٦ عن المغيرة قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقبل له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

وأخرجه أيضاً بنحوه من حديث عائشة رضي الله عنها - الحديث رقم ٤٨٣٧. وانظر «تيسير الكريم الرحمن» ٦: ٢٦٧.

(٣) أخرجه الترمذي في الأدب - الحديث ٢٨١٩ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وقال «حديث حسن». وأخرجه أحمد ٣١١: ٢ من حديث أبي هريرة، ٤: ٤٣٨ من حديث عمران بن حصين.

(٤) أخرجه أبو داود - في اللباس - الحديث ٤٠٦٣٤، والنسائي في الزينة الحديث ٤٨١٩ - وصححه الألباني.

(٥) انظر: «الصحاح» و «المفردات» مادة: «مدح»، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٦.

كما يُمدح بفروسيته وشجاعته. وهو يقع على الحي والميت، وعلى الحيوان والنبات والجماد والزمان والمكان وغير ذلك، وهو كالحمد من حيث إنه يقع بالقول باللسان لا غير.

قال الراغب^(١): «فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكرا، وكل حمد مدح، وليس كل مدح حمدا».

«الله» اللام حرف جر، وهي تفيد معنى الاختصاص والاستحقاق^(٢)، ولفظ الجلالة مجرور بها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف هو خبر (الحمد) تقديره: مستحق، أو واجب أو ثابت لله. وقد تقدم في بحث البسملة الكلام مستوفى على معنى لفظ الجلالة (الله) واشتقاقه^(٣).

ومعنى (الحمد لله): أي أن الحمد المطلق لله وحده فهو المستحق له المختص به دون سواه وحمده - تعالى هو وصفه - عز وجل - بصفات الكمال اللازمة والمتعدية، كمال العظمة وكمال الاحسان والنعمة مع المحبة والتعظيم له والرضا عنه والخضوع له، لأنه المنعم بأكبر النعم وأعظمها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) - رحمه الله - : «والحمد نوعان حمد على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر، وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وهذا الحمد لا يكون إلا على ما هو في نفسه مستحق

(١) المفردات مادة «حمد».

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ١: ٣٩، «لباب التأويل في معاني التنزيل» ١: ١٦.

(٣) راجع المبحث الثاني من الفصل الثاني، من الباب الأول: معنى البسملة.

(٤) في «مجموع الفتاوى» ٦: ٨٤.

للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال، وهي أمور وجودية، فإن الأمور العدمية المحضة لا حمد فيها، ولا خير ولا كمال.

ومعلوم أن كل ما يحمد فإنما يحمد على ماله من صفات الكمال، فكل ما يُحْمَدُ به الخلق فهو من الخالق، والذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد، فثبت أنه المستحق للمحامد الكاملة، وهو أحق من كل محمود بالحمد، والكمال من كل كامل، وهو المطلوب».

وقال ابن القيم^(١) - رحمه الله تعالى - : «الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه والخضوع له، فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له. وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها. ولهذا كان الحمد لله، حمداً لا يحصيه سواه، لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل هذا لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه^(٢)، لما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال التي لا يحصيه سواه».

والذين قالوا معنى الحمد الثناء، معناه عندهم: الثناء عليه - تبارك

(١) في «مدارج السالكين» ١: ٤٨، وانظر: «التفسير القيم» ص ٢٥. وانظر - أيضاً - : «تفسير الطبري» ١: ١٣٧، «الكشاف» ١: ٧، «تفسير النسفي» ١: ٣.

(٢) كما قال ﷺ - في الدعاء «اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». أخرجه مسلم في الصلاة - باب ما يقال في الركوع والسجود الحديث ٤٨٦ - من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

وتعالى - بأسمائه الحسنى وصفاته العليا .

قال القرطبي^(١) - رحمه الله تعالى - : « الحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل . . . فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العليا » .

وقال - أيضاً - : « الحمد ثناء على الممدوح بصفاته . . . وذكر عن جعفر الصادق في قوله (الحمد لله) قال : من حمده بصفاته كما وصف نفسه فقد حمد . . . » .

وقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ جملة خبرية فيها معنى الأمر، فهو - جل وعلا - يخبر عن اتصافه بالحمد، ويأمر عباده أن يحمده^(٢) . كما قال تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^(٣) .

وإنما جاءت جملة اسمية للدلالة على الاستمرار والدوام، فله سبحانه وتعالى الحمد في جميع الأوقات والأزمان، وهو المحمود بكل حال، على ماله - سبحانه - من المحاسن والإحسان، وعلى ماله من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى^(٤) .

افتتح كتابه بالحمد فقال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(١) في «تفسيره» ١: ١٣٣-١٣٤ .

(٢) انظر : «تفسير الطبري» ١: ١٣٩، «معالم التنزيل» ١: ٣٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٥-١٣٦، «لياب التأويل في معاني التنزيل» ١: ١٦، «البحر المحيط» ١: ٣١، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢، «أضواء البيان» ١: ٣٩ .

(٣) سورة النمل، الآية: ٥٩ .

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» ١١: ١٣٣ .

وله الحمد على إنزاله، كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾^(١).

وله الحمد على خلق السموات والأرض وسائر المخلوقات. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّنْفَىٰ وَتُلُكٍ وَرَبِيعٍ﴾^(٣).

وله الحمد على ملك ما في السموات والأرض قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤).

وله الحمد في السموات والأرض، وفي جميع الأوقات. قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾^(٥).

وله الحمد في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٧).

وحمده تعالى آخر دعوى أهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَعَاخِرُ

(١) سورة الكهف، الآية: ١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١.

(٤) سورة سبأ، الآية: ١.

(٥) سورة الروم، الآية: ١٨.

(٦) سورة القصص، الآية: ٧٠.

(٧) سورة سبأ، الآية: ١.

دَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ (١)

وشق لنبيه - ﷺ - اسماً من الحمد، فسماه: محمداً.

قال حسان بن ثابت - رضي الله عنه (٢) :-

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه (٣) ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمد

فهو تعالى المحمود على الدوام في جميع الأحوال، ولهذا أمر
عباده أن يحمده في آيات كثيرة. وكان نبينا محمد - ﷺ - إذا رأى
ما يحب قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا رأى ما يكره
قال: الحمد لله على كل حال» (٤).

كما رغب ﷺ - بحمد الله تعالى في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه أبو مسلم الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -
ﷺ -: «الظهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله
والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور،
والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك، أو عليك، كل

(١) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٢) انظر: «ديوانه» ص ٣٣٨ تحقيق د. سيد حسنين، د. حسن الصيرفي القاهرة ١٩٧٤.

(٣) لم يرد أن من أسمائه تعالى «المحمود» لا في الكتاب ولا في السنة. فمعنى
«المحمود» في البيت الموصوف بالحمد.

(٤) أخرجه ابن ماجه في الأدب - باب فضل الحامدين - الحديث ٣٨٠٣. وقال في
«الزوائد»: «إسناده صحيح ورجاله ثقات». وصححه الألباني.

الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها» رواه مسلم^(١).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -:
«إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها» رواه مسلم^(٢).

وبما أن كل نعمة على العباد فهي من الله تعالى كما قال تعالى:
﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٣)، وبما أن نعم الله على العباد كثيرة لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٤).

فإن العبد ليس بمقدوره أن يشكر الله حق شكره على هذه النعم التي منها النعم الدينية من الإيمان والعلم والتقوى، والنعم الدنيوية كالصحة والمال والنعم أخروية وهي الجزاء الكثير على العمل القليل في العمر القصير، ومضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

إذ كيف يمكن العبد أن يشكر الله حق شكره والشكر نفسه نعمة من الله على العبد تستوجب الشكر. فما على العبد إلا أن يقوم بما يستطيع من الشكر ويقول «سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٥).

(١) في الطهارة - فضل الوضوء - الحديث ٢٢٣.

(٢) في الذكر - استحباب حمد الله - تعالى - بعد الأكل الحديث ٢٧٣٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤ وسورة النحل، الآية: ١٨.

(٥) أخرجه مسلم في الصلاة - باب ما يقال في الركوع والسجود - الحديث ٤٨٦ عن =

وكما قيل :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة علي بها الله يستوجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر
﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : رب صفة أولى للفظ الجلالة «الله»، أو بدل
منه. ورب مضاف والعالمين مضاف إليه، مجرور وعلامة جره الياء،
لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

و «رب العالمين» بمعنى خالقهم ومالكهم والمتصرف فيهم.

و «رب» في الأصل مأخوذ من التربية للشيء وتنميته، وتبليغه إلى
كماله، كما قال تعالى : ﴿ وَرَبِّبْكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ
نِّسَائِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾^(١) أي اللاتي تربونهن في حجوركم.

وهو بمعنى المالك والسيد، كما قال تعالى : ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْتَقِ

رَبَّهُ خَمْرًا ﴾^(٢) أي مالكة وسيده. وفي الحديث : «أن تلد الأمة ربتها»^(٣)

= عائشة قالت : فقدت رسول الله - ﷺ - ليلة من الفراش فالتمسته، فوقعت يدي علي بطن
قدمه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول : «اللهم إني أعوذ برضاك من
سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أخصى ثناء عليك، أنت كما
أثيت على نفسك»، وأبو داود في الصلاة - باب الدعاء في الركوع والسجود - الحديث
٨٧٩.

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤١.

(٣) أخرجه من حديث طويل من رواية أبي هريرة - البخاري في الإيمان - الحديث ٥٠،
ومسلم في الإيمان - الحديث ٩، وأخرجه أيضاً مسلم مطولاً من حديث عمر بن
الخطاب رضي الله عنه الحديث ٨.

أي مالكتها وسيدتها.

وبمعنى: المعبود حتى لو كان بغير حق، كما قال تعالى:

﴿أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرًا أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١).

وقال أحد المشركين وقد وجد الثعلب قد بال على صنمه:

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب (٢)

وبمعنى القائم على الشيء ومدبره ومصالحه ومتوليه.

ومنه قوله في الحديث: «هل لك عليه من نعمة تربها» (٣): أي تقوم

بها وتصلحها.

وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: «لأن يَرْبِّيَ بنو عمي أحب إلي

من أن يَرْبِّيَ غيرهم» (٤): أي يكون علي ربا، أي أميراً يقوم بأمره

ويملك تدبيره ويدخل تحت طاعته.

ومنه قولهم: «أديم مربوب» (٥) وقول النابغة الذبياني (٦):

تخب إلى النعمان حتى تناله فدى لك من رب طريفي وتالدي

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٩.

(٢) ذكر صاحب «شرح مغني اللبيب» للبغدادي ٢: ٣٠٤-٣٠٩: أنه يُروى لراشد بن عبد

ربه، ولغاوي بن ظالم السلمي، ولأبي ذر الغفاري، وللعباس بن مرداس، وانظر:

«المحرر الوجيز» ١: ٦٥، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٧، «البحر المحيط» ١: ١٨.

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة - الحديث ٢٥٦٧ من حديث أبي هريرة، وكذا أحمد

٢: ٢٦٢، ٤٠٨، ٤٦٢، ٤٨٢، ٥٠٨.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير - الحديث ٤٦٦٦.

(٥) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٦٥.

(٦) انظر: «ديوانه» ص ٩٢، «تفسير الطبري» ١: ١٤٩٠.

وبمعنى صاحب الشيء، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١) أي صاحب العزة.

وكل هذه المعاني حق بالنسبة له - تعالى - فهو تعالى مربى الخلق وخالقهم ومالكهم وسيدهم، وهو معبودهم بحق، وهو القيوم على كل شيء ومدبره ومصلحه. وهو صاحب العزة سبحانه وتعالى^(٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) «الرب: هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي». وأسمه تعالى «الرب» يفيد أن الربوبية صفة ذاتية له - تبارك وتعالى وصفة فعلية^(٤).

وربوبية الله لخلقه نوعان: ربوبية خاصة، وربوبية عامة: فالربوبية العامة: هي خلقه للمخلوقين وملكه لهم، وتديريته الكوني لهم، ورزقه لهم، وهدايتهم لمصالح دنياهم ونحو ذلك. وهذه شاملة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، ناطقهم وبهمهم، حيهم وجمادهم كما في قوله - تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) سورة الصافات، الآية: ١٨٠.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٤١-١٤٣، «معالم التنزيل» ١: ٣٩، «الكشاف» ١: ٨، «المحرز الوجيز» ١: ٦٤-٦٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٦-١٣٧، «لباب التأويل» ١: ١٦، «البحر المحيط» ١: ١٨، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٨، «أنوار التنزيل» ١: ٨. وانظر: «الصحاح»، «اللسان» مادة «رب».

(٣) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ١٣.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٧.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورِبَكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(٢).

والربوبية الخاصة: هي ربوبية الله - تعالى - لأوليائه بهدائيتهم إلى الصراط المستقيم بالإيمان والعلم النافع، والعمل الصالح، وفعل الخيرات، وترك المنكرات، وذلك ملاك الأمر مع توفيقهم وحفظهم.

كما قال إبراهيم - عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾^(٣).

وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٤).

وكما في قول المؤمنين: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٥) وغير ذلك.

ولما كان من أخص معاني الرب المالك والمدبر والقائم بما يصلح الخلق كان كثير من دعاء الأنبياء والمؤمنين باسمه تعالى «الرب» لأنه أحق باسم الاستعانة والمسألة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٦): «فعامة المسألة والاستعانة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٦) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ١٣، وانظر «دقائق التفسير» ١: ١٧٦-١٧٧، وانظر ما يأتي في الفائدة الرابعة عشره من فوائد الفاتحة ص ٣٠٧ - ٣٠٩.

المشروعة باسم الرب».

و«الرب» بالتعريف لا يطلق إلا على الله تعالى. ورب كذا بالإضافة يطلق عليه وعلى غيره فلزم إذا أريد به غير الله أن يقيد بالإضافة، فيقال: رب الدار، ورب الإبل^(١)، كما قال تعالى: ﴿يَصْحَبِي السَّجَنُ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيسْتَقِي رَبَّهُ حَمْرًا﴾^(٢).

وقال يوسف عليه السلام: ﴿أذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٣).

وقال أيضاً: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾^(٤).

وفي الحديث: «أن تلد الأمة ربتها»^(٥).

ويظهر جلياً من تعريف اسمه تعالى «الله»، و«رب العالمين» دخول اسم «الرب» في اسمه تعالى «الله».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٦) عن هذين الاسمين: «فالاسم الأول - يعني - «الله» يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه، وما خلق له، وما فيه صلاحه وكماله وهو عبادة الله. والاسم الثاني - يعني - «رب العالمين» يتضمن خلق العبد ومبتداه، وهو أنه يَرْبُّهُ ويتولاه، مع أن

(١) انظر: «الصحاح» مادة: «رب»، «معالم التنزيل» ٤٠: ١، «الكشاف» ٨: ١، «زاد

المسير» ١١: ١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٣٧: ١، «تفسير ابن كثير» ٤٨: ١.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٤٢.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٥٠.

(٥) سبق تخريجه قريباً.

(٦) في «مجموع الفتاوى» ١٣: ١٤، وانظر «دقائق التفسير» ١٧٧: ١.

الثاني يدخل في الأول دخول الربوبية في الإلهية، والربوبية تستلزم الألوهية أيضاً.

والعالمين: جمع عالم بفتح اللام، اسم جمع لا واحد له من لفظه، كرهط وقوم.

والعالمين: كل موجود سوى الله - تعالى - وقد جمع ليشمل كل جنس ممن سُمى به، فيعم جميع المخلوقات في السموات والأرض، وما بينهما من الملائكة والإنس والجن والشياطين، والحيوانات والجمادات وغير ذلك من سائر المخلوقات^(١) كما دخلت عليه «أل» الدالة على الاستغراق ليشمل كل فرد من أفراد تلك الأجناس^(٢).

وهو مشتق من العلامة^(٣)، لأن كل ما في الوجود من المخلوقات علامة على وجود الله، وكماله بذاته وصفاته.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ آتَيْنَاهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَلْنَا أَسْنَانَكُمْ

(١) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٤٣-١٤٦، «معالم التنزيل» ١: ٤٠، «الكشاف» ١: ٩٨،

«المحرر الوجيز» ١: ٦٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٨، «البحر المحيط» ١: ١٩،

«تفسير ابن كثير» ١: ٤٨-٤٩، وانظر: «لسان العرب» مادة «علم».

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٣.

(٣) انظر: «زاد المسير» ١: ١٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٤٩، «أضواء البيان» ١: ٣٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

وَأَلْوَيْكُمْ ﴿١﴾ . إلى غير ذلك من الآيات (٢) .

قال ابن المعتز:

فواعجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ويقال إنه مشتق من «العلم» بكسر العين (٣) .

والقول بأنه مشتق من «العلم» إن أريد به أنه تعالى خلق «العالمين»
عن علم منه جل وعلا بهم، كما خلقهم - أيضاً - عن قدرة تامة
«فصحيح»، كما قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ
الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٤) .

وإن أريد به أن هذه المخلوقات سميت عوالم، لأن عندها شيئاً من
العلم المحدود الناقص القليل، أو عندها ما يخصها من العلم .

كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا لَيْسَ حِجْبُهُ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ
كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٥) فهذا محتمل .

والقول بأنه مشتق من العلامة هو الأظهر، ويحتمل أنه مشتق منها

(١) سورة الروم، الآية: ٢٢ .

(٢) راجع ما تقدم في المبحث السادس في بيان معنى الآية من هذا الفصل .

(٣) انظر: «الكشاف» ١: ٨-٩، «زاد المسير» ١: ١٢، «البحر المحيط» ١: ١٨، «تفسير ابن
كثير» ١: ٤٩ .

(٤) سورة الطلاق، الآية: ١٢ .

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٤ .

ومن العلم^(١) والله أعلم.

وجمع «العالمين» جمع من يعقل، علماً أنه يتناول العقلاء وغيرهم من باب تغليب العقلاء على من سواهم، لأن العقلاء هم المعنيون بالخطاب والتكليف، لما ميزهم الله به عن الحيوان والجماد من العقل والإدراك، الذي هو مناط التكليف.

وهذا كقوله - تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

وكقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾^(٣).

فقد غلب العقلاء على غيرهم في الآية الأولى بقوله ﴿عرضهم﴾، ﴿هؤلاء﴾، وفي الآية الثانية بقوله: ﴿فمنهم﴾.

أما قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٤) ونحوه.

فالمراد به الإنس والجن فقط فاستخدم لفظ «العالمين» لبعض مدلوله.

وإنما حمل على أنه خاص بهم، لأنهم هم المعنيون بالندارة دون غيرهم من سائر المخلوقات.

(١) انظر: «معالم التنزيل» ١: ٤٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٣) سورة النور، الآية: ٤٥.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ١.

وهكذا فإن السياق نفسه يحدد المراد بلفظة: «العالمين» أهو العموم لجميع المخلوقات كما في أكثر المواضع الواردة في القرآن أم الخصوص لبعضها كما في آية الفرقان.

وكما في قوله: ﴿آتَاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١). فالمراد بهذا الذكران من عالمي زمانهم من الإنس، وهكذا.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: الرحمن صفة ثانية للفظ الجلالة «الله» والرحيم صفة ثالثة له، وكل منهما مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره أو هما بدلان من لفظ الجلالة.

وهذا بعد قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثناء على الله - تبارك وتعالى لقوله - عز وجل - في حديث أبي هريرة: «إذا قال العبد (الرحمن الرحيم) قال الله: أثنى علي عبدي» رواه مسلم^(٢).

و«الرحمن الرحيم»: اسمان من أسماء الله - تعالى يدل كل مهما على إثبات صفة الرحمة وأثرها، وقد تقدم الكلام عليهما مستوفى في الكلام على البسملة^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) بعدما بين أن اسم «الله» أحق بالعبادة، وأن اسم «الرب» أحق بالاستعانة. - قال: «والاسم «الرحمن»

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٦٥.

(٢) سبق تخريجه في ذكر أسماء الفاتحة في المبحث الثاني من هذا الباب.

(٣) في المبحث الثاني من الفصل الثاني من الباب الأول.

(٤) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ١٣ وانظر «دقائق التفسير» ١: ١٧٧.

يتضمن كمال التعلقين، وبوصف^(١) الحالين فيه تتم سعادته - يعني العبد - في دنياه وأخراه، ولهذا قال - تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾^(٢). فذكر ههنا الأسماء الثلاثة: «الرحمن»، و«ربي»، و«الإله»، وقال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾^(٣) كما ذكر الأسماء الثلاثة في أم القرآن ..».

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٤) مالك صفة رابعة للفظ الجلالة «الله»، أو بدل منه مجرور مثله وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف و«يوم» مضاف إليه مجرور، ويوم مضاف و«الدين» مضاف إليه مجرور وعلامة جره كل منهما الكسرة الظاهرة على آخره.

وهذا بعد قوله - تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿تمجيد لله - تعالى. لقوله - تعالى - في حديث أبي هريرة: [فإذا قال العبد: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٦) قال الله: «مجدني عبدي».

قرأ عاصم والكسائي: ﴿مالك﴾ بالألف اسم فاعل من «المَلِك» بكسر الميم وسكون اللام كقوله - تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾^(٧).

ومعنى «المالك»: المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء.

وقرأ باقي السبعة (مَلِك) والمَلِك هو الحي الذي يتصرف فيأمر وينهى ويظاع، مأخوذ من «المُلْك» بضم الميم كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ

(١) في بعض النسخ: «ووصف» انظر «دقائق التفسير» ١: ١٧٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ ، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٢﴾ ، وقوله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ ﴿٣﴾ ، وقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ ﴿٤﴾ ، وقوله: ﴿تَبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ﴿٥﴾ ، وقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ﴾ ﴿٦﴾ ، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿٧﴾ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿٧﴾ .

و«مَلِكٌ» على وزن «فَعِلٌ» صفة مشبهة تدل على ثبوت ملكه ودوامه، وأن له التصرف التام في الأمر والنهي.

وقراءة «مَلِكٌ» أعم وأشمل من قراءة «مالِكٌ» إذ إن كل مَلِكٌ مالِكٌ، وليس كل مالِكٌ ملكاً ﴿٨﴾ .

وقال بعضهم بل قراءة (مالِك) أعم وأشمل. قال في «لسان العرب» ﴿٩﴾: «روى المنذر عن أبي العباس أنه اختار «مالِك يوم الدين» وقال: كل من يملك فهو مالِك، لأنه بتأويل الفعل مالِك يوم الدين أي

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٧، وسورة المائدة، الآية: ٤٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٣، وسورة الزمر، الآية: ٦.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١.

(٥) سورة الملك، الآية: ١.

(٦) سورة الحشر، الآية: ٢٣، وسورة الجمعة، الآية: ١.

(٧) سورة الناس، الآية: ١-٢.

(٨) انظر: «معالم التنزيل» ١: ٤٠، «الكشاف» ٩: ١، «زاد المسير» ١٣: ١، «الجامع

لأحكام القرآن» ١: ١٤٠-١٤١.

(٩) مادة: ملك.

يملك إقامته، ومنه قوله تعالى: ﴿مَلِكُ الْمَلِكِ﴾^(١).

وكل من القراءتين سبعية وصحيحة ثابتة، نزل بها جبريل من عند الله على النبي - ﷺ - وإذا صح في الآية أكثر من قراءة فكل قراءة بمثابة آية. ولا تجوز المقارنة بين ألفاظ تلك القراءات من حيث الجودة والحسن إذ ليس في كلام الله جيد وأجود، وحسن أحسن، بل كل كلامه - تعالى في غاية الجودة والحسن، وفي أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).

﴿يوم الدين﴾ «اليوم» في الأصل هو القطعة من الزمن قليلة كانت أو كثيرة: أي مطلق الوقت.

فمن اطلاقه على الزمن وإن كان قليلاً قوله - تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَى الْجَمْعَانَ﴾^(٣): أي ساعة التنى الجمعان.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٥)، ويقال: «شاهدتك يوماً، أو سمعتك يوم كذا»: أي لحظة من يوم^(٦).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٥) سورة مريم، الآية: ١٥.

(٦) انظر «البحر المحيط» ١: ٢١.

كما يطلق على الزمن الطويل قال تعالى: ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٢)، وهو اليوم الآخر، ويوم القيامة، كما ذكره الله تعالى في آيات عديدة من كتابه العزيز.

واليوم في الشرع: ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس (٣).
ومنه قوله - تعالى -: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (٤)، وقوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (٥).

وقوله: ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ (٦)، وقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ (٨).

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (٩).

(١) سورة الحج، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الماعز، الآية: ٤.

(٣) انظر «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٣، «البحر المحيط» ١: ٢١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٠٣.

(٨) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

(٩) سورة يونس، الآية: ٣.

لأن الصحيح من أقوال أهل العلم أن هذه الأيام الستة كأيام الدنيا، لأن الله خاطب العرب بما يعرفون.

وأيام الله تعالى هي نعمه تعالى، وثوابه للمطيعين، ووقائعه في العاصين كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢).

و (الدين) هو الحساب والجزاء على الأعمال خيرها وشرها (٣).

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٤) أي جزاء أعمالهم.

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (٥): أي غير مجزيين بأعمالكم ومحاسبين عليها.

وذكر الله عن الكفار قولهم: ﴿أَيُّ ذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْلَمًا أَيُّ نَا

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٤. انظر: «تفسير الكريم الرحمن» ٤: ١٢٤، ٧: ٢٣.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ١: ٢٣، «تفسير الطبري» ١: ١٥٥-١٦٠، «صحيح البخاري» مع الفتح ٨: ١٠٦، «معالم التنزيل» ١: ٤٠، «الكشاف» ١: ٩، «المحرر الوجيز» ١: ٧٣، «تفسير ابن كثير» ١: ٥١، وانظر: مادة «دين» في «المفردات في غريب القرآن»، و«لسان العرب».

(٤) سورة النور، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٦، ٨٧.

لَمَدِيُونٌ ﴿٥٣﴾ (١): أي لمجزيون، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ ﴿٦﴾ (٢): أي إن الجزاء على الأعمال لواقع حقيقة.

وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ ﴿٤﴾ (٣): أي تكذبون بالحساب والجزاء على الأعمال.

وقال تعالى: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿١٥﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿١٧﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الدِّينِ﴾ ﴿٧﴾ (٦): أي فما يكذبك بالبعث والحساب والجزاء على الأعمال.

وتفسير الدين بالمحاسبة والمجازاة معروف مشهور في كلام العرب.

قال شهل بن شيبان من قصيدة له في حرب البسوس (٧).

ولم يبق سوى العدو ن دناهم كما دانوا
وقال آخر:

واعلم يقينا أن ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان (٨)

(١) سورة الصافات، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٦.

(٣) سورة الانفطار، الآية: ٩.

(٤) سورة الانفطار، الآية: ١٥.

(٥) سورة الانفطار، الآية: ١٧-١٩.

(٦) سورة التين، الآية: ٧.

(٧) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ١: ٣٥ - نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون - القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، «الكشاف» ١: ٩، «المححر الوجيز» ١: ٧٣.

(٨) انظر «تفسير الطبري» ١: ١٥٥. وقد نسب البيت ليزيد الكلابي في «الكامل» ١: ١٩١، «جمهرة الأمثال» للعسكري ١٦٩، «المنخصص» ١٧: ١٥٥، ونسب في «اللسان» مادة: «دان» لخويلد بن نوفل الكلابي يخاطب الحارث بن أبي شمر الغساني، وكان اغتصبه =

وقال آخر:

حصادك يوماً ما زرعت وإنما يدان الفتى يوماً كما هو دائن^(١)
وفي المثل والأثر: «كما تدين تدان»^(٢)

والمراد بـ ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم القيامة، يوم قيام الناس من قبورهم،
وقيام الأشهاد من الرسل والأنبياء والصالحين والملائكة، ويوم قيام
العدل الحقيقي، يوم إدانة الخلاق ومحاسبتهم ومجازاتهم بأعمالهم إن
خيراً فخير، وإن شراً فشر. كما قال تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ أَلْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣)، وقال تعالى:
﴿أَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

قال عمر - رضي الله عنه -: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا
وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى
عليه أعمالكم ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾»^(٥).
ويطلق الدين على الملة والشريعة، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا
إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ ابْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

= ابنته. ونسب في «مجاز القرآن» ١: ٢٣ - إلى ابن نفيل يزيد بن الصعق واسم الصعق:
عمرو بن خويلد بن نفيل.

(١) نسبة القرطبي في «تفسيره» ١: ١٤٣-١٤٤ - لليبي، وليس في ديوانه.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١: ٢٣، «لسان العرب: مادة» دين»، «فتح الباري» ٨: ٤٥٨.

(٣) سورة غافر، الآية: ١٧.

(٤) سورة الجاثية، الآية: ٢٨.

(٥) سورة الحاقة، الآية: ١٨. انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٥١.

مُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾^(١). وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٨).

ويطلق على الحكم والقضاء الشرعي قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾^(٩): أي في حكمه وقضائه الشرعي^(١٠).

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾^(١١): أي في قضاء الملك.

ويطلق على العادة والشأن والحال والخلق^(١٢)

- (١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.
- (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦، انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٧٢، «أنوار التنزيل» ١: ٨.
- (٣) «البحر المحيط» ١: ٢١.
- (٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
- (٥) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
- (٦) سورة المائدة، الآية: ٣.
- (٧) سورة التوبة، الآية: ٣٣، وسورة الفتح، الآية: ٢٨، وسورة الصف، الآية: ٩.
- (٨) سورة التوبة، الآية: ٣٦، وسورة يوسف، الآية: ٤٠، وسورة الروم، الآية: ٣٠.
- (٩) سورة التوبة، الآية: ٣٣، وسورة الفتح، الآية: ٢٨، وسورة الصف، الآية: ٩.
- (١٠) سورة النور، الآية: ٢.
- (١١) انظر: «البحر المحيط» ١: ٢١.
- (١٢) سورة يوسف، الآية: ٧٦.
- (١٢) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٧٢، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٤، «البحر المحيط» =

قال امرؤ القيس^(١):

كدينك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

وقال المثنب العبدي^(٢):

تقول إذا درأت لها وضيئي أهذا دينه أبدا وديني

ويطلق على الطاعة^(٣). قال زهير^(٤):

لئن حللت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فذك

أي: في طاعة عمرو.

وفي السير أنه عليه السلام قال لقريش: «كلمة واحدة تعطونهاها تملكون بها

العرب وتدين لكم بها العجم»^(٥): أي تطيعكم وتخضع لكم.

ويطلق على القهر ومنه: المدين للعبد، والمدينة للأمة^(٦)، ومنه

٢١: ١ =

(١) «ديوانه» ص ٩. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، «شرح القصائد العشر» للتبريزي ص ٣٠، «وهو البيت السابع في معلقته» تحقيق فخر الدين قباوة - حلب ١٣٩٣هـ.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» ٧٣: ١، وانظر: «اللسان» مادة: «وضن». والوضين: بطن منسوج بعضه على بعض يشد به الرجل على البعير.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤٠: ١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٥، «البحر المحيط» ٢١: ١، «أنوار التنزيل» ٨: ١.

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» ٧٣: ١.

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» ٥٩: ٢، «اللسان» مادة: «دين».

(٦) انظر: «البحر المحيط» ٢١: ١، وانظر: «اللسان» مادة: «دين».

قول عمرو بن كلثوم^(١):

وأيام لنا غرط طوال عصينا المَلِكَ فيها أن نديننا
أي: أن نقهر.

وقال ذو الأصبغ العدواني^(٢):

لاه ابنُ عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياني فتخزوني
والدِّين: بالفتح ما تعلق بذمة العبد من حقوق الله، كصيام نذر، أو
من حقوق العباد كثمن مبيع، أو رد قرض ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِ إِلَهِ أَحْكِمِ مُسَمِّي
فَأَكْتَبُوهُ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ﴾^(٤).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «جاء رجل إلى النبي -
ﷺ - فقال: يارسول الله إن أُمِّي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟
فقال: «لو كان على أمك دين، أكنت قاضيه عنها؟ قال: نعم. قال:
«فدين الله أحق أن يقضى» متفق عليه^(٥).

(١) «شرح القصائد السبع الطوال» لأبي بكر بن الأنباري ص ٣٨٨، تحقيق عبدالسلام
هارون، القاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ضمن معلقة عمرو بن كلثوم.

(٢) انظر: «البحر المحيط» ١: ٢١، وفي «اللسان» مادة: «دين»:

لاه ابنُ عمك لا أفضلت في حسب فينا، ولا أنت دياني فتخزوني
قال ابن منظور: «أي لست بقاهر لي فتسوس أمري».

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١.

(٥) أخرجه البخاري في الصوم - باب من مات وعليه صوم - الحديث ١٩٥٣، ومسلم في
الصيام - باب قضاء الصيام عن الميت - الحديث ١١٤٨.

وقال الشاعر:

تُعَيِّرُنِي بِالذِّينِ قَوْمِي، وَإِنَّمَا تَدَيَّنْتُ فِي أَشْيَاءِ تُكْسِبُهُمْ حَمْدًا^(١)
ومعنى (مالك يوم الدين):

أي أنه - عز وجل - مالك ذلك اليوم، ومليكه، لا مَلِك في ذلك اليوم، ولا مالك سواه - تبارك وتعالى - فهو تعالى المالك لجميع الأعيان، المتصرف فيها، لا ينازعه أحد في مملوكاته.

وهو الملك الذي أمره ونهيه نافذ في جميع مملكته جل وعلا. كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلرَّحْمَنِ ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ

(١) انظر: «لسان العرب» مادة: (دين).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٣.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٦.

(٥) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٦) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٧) سورة طه، الآية: ١٠٨.

(٨) سورة هود، الآية: ١٠٥.

وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ (١).

وإنما أضاف «الملك» ليوم الدين، وخصه به، دون ملك أيام الدنيا، مع أنه تعالى مالك الدنيا والآخرة، ومليكهما كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ (٤)، لعظمة ذلك اليوم (٥)، وتفرده - تعالى - بنفوذ الأمر فيه حيث يظهر للخلائق تمام الظهور تفرده بالملك حقيقة، وتمام ملكه وعدله تعالى - وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق الدنيوية (٦).

تلك الأملاك التي حولها الله تعالى - من شاء كما قال تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ (٧) وقال

(١) سورة النبأ، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الليل، الآية: ١٣.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤، وسورة المؤمنون، الآية: ١١٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١١١، وسورة الفرقان، الآية: ٢.

(٥) أخرج مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها - الحديث ٢٨٥٨ - عن المستورد قال قال رسول الله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بيم يرجع» وأخرج الترمذي في الزهد - الحديث ٢٣٢٠ عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء».

(٦) انظر «معالم التنزيل» ١: ٤٠، «زاد المسير» ١: ١٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٣.

«مجموع الفتاوى» ٦: ٢٦٦، «البحر المحيط» ١: ٢٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٥١، «أنوار

التنزيل» ١: ٨، «تفسير الكريم الرحمن» ١: ٣٥.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُومَن يَشَاءُ﴾^(١).

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَالًا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وهذه الأملاك الدنيوية، ملوكها وما ملكوا ملك له - جل وعلا - . ولهذا حرم أن يسمى بملك الأملاك، لأن الله عز وجل هو مالك الأملاك كلها ولهذا قال - ﷺ - في حديث أبي هريرة: «أخضع الأسماء عند الله رجل تسمى بملك الأملاك»^(٤).

وكثير من هؤلاء الملوك خارجون عن طاعته - جل وعلا - مبارزون له في المعصية كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا﴾^(٥) أي ملك عاص لله ظالم للعباد. بل كثير منهم يحكمون ممالكهم بغير حكم الله، ويظلمون عباد الله، ويتخوضون في مال الله بغير ما يرضي الله.

وقد حكم الله تبارك وتعالى وقضى بزوال هذه الأملاك، ورجوع الملك له وحده في ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب - باب أبغض الأسماء إلى الله - الحديثان ٦٢٠٥، ٦٢٠٦، ومسلم في الأدب - تحريم التسمي بملك الأملاك، الحديث ٢١٤٣.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿١﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢﴾ ، وذلك هو الملك الحقيقي ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَهَّ الْمَلِكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ ﴿٣﴾ ، وقال تعالى : ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿٤﴾ ، وقال تعالى : ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ ﴿٥﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لِمَنِ الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ ﴿٦﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ ﴿٧﴾ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يقبض الله الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض » ﴿٨﴾ .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - « يطوي الله - عز وجل - السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ ، أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ، ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين

(١) سورة مريم ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢٣ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٧٣ .

(٤) سورة الحج ، الآية : ٥٦ .

(٥) سورة الفرقان ، الآية : ٢٦ .

(٦) سورة غافر ، الآية : ١٦ .

(٧) سورة الانفطار ، الآية : ١٩ .

(٨) أخرجه البخاري في التفسير - باب ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ الحديث ٤٨١٢ ، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم - كتاب صفة الجنة - الحديث ٢٧٨٧ .

المتكبرون؟»^(١).

بل إن ذلك اليوم هو اليوم الحقيقي، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ
فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾^(٢).

فمجيئه حق، وفيه يظهر الحق تمام الظهور، وهو اليوم الذي
يستحق أن يعمل له، وأن يحسب له كل حساب لا أيام الدنيا بل ولا
الدنيا كلها.

ولهذا نجد القرآن الكريم كثيراً ما يقرن بين الإيمان بالله تعالى،
والإيمان بهذا اليوم «اليوم الآخر» لأنه أكبر حافظ على الاستعداد
بالأعمال الصالحة^(٣).

وقد رُوِيَ عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: «لولا
الإيمان باليوم الآخر لرأيت من الناس غير ماترى»: أي إن ذلك اليوم
أعظم مانع للناس من التهالك في الشر والمعاصي.

وتلك الدار هي الدار الحققة، وتلك الحياة هي الحياة الحقيقية،
قال الله - تعالى -: ﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

لهذا كله أضاف الله تبارك وتعالى - الملك إلى يوم الدين، إضافة

(١) أخرجه مسلم في الموضع السابق الحديث ٢٧٨٨.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٣٩.

(٣) انظر: «تيسير الكريم الرحمن» ١: ٤٤.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

إلى أن في قوله قبل هذا: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما يدل على أنه مالك الدنيا^(١).

قال ابن كثير^(٢): «وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة...».

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذه الآية هي الآية الرابعة من الفاتحة، نصفها للرب - جل وعلا -، ونصفها للعبد كما قال الله - عز وجل - في حديث أبي هريرة «فإذا قال العبد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل...» فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ للرب تبارك وتعالى - مع ثلاث آيات قبلها، وقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ للعبد، مع ثلاث آيات بعدها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: فهذا تفصيل لقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهذا يدل على أنه لا معبود إلا الله، وأنه لا يستحق أن يعبد أحد سواه، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلهيته من المحبة والخوف والرجاء والأمر والنهي. و﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

(١) انظر: «زاد المسير» ١: ١٣.

(٢) في «تفسيره» ١: ٥١.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ١: ٨٩.

إشارة إلى ما اقتضته الربوبية، من التوكل والتفويض والتسليم».

و ﴿إِيَّاكَ﴾ في الموضعين ضمير بارز منفصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به مقدم للفعل بعده أو «إيا» ضمير مبني في محل نصب مفعول به والكاف حرف خطاب، لا محل له من الإعراب. وهذا مذهب الأخفش، واختاره الزمخشري، وقال: «وعليه المحققون»^(١).

وقُدِّم المفعول «إِيَّاكَ» على الفعل في الموضعين للاهتمام^(٢)، ولثلاثا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود^(٣)، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا﴾^(٤)، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾^(٥)، ولثلاثا يتقدم ذكر الاستعانة والمستعين على المستعان به - جل وعلا كقوله - تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٦).

وقُدِّم أيضاً لإفادة الحصر والاختصاص، لأن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر^(٧) والاختصاص^(٨)، لأن في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تحقيق لمعنى «لا إله إلا الله»، ففي تقديم المعمول

(١) في «الكشاف» ٩: ١، وانظر «معالم التنزيل» ٤١: ١، «البحر المحيط» ٢٣: ١، «أنوار التنزيل» ٩: ١، «الجدول في إعراب القرآن» ١٩: ١.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» ٧٥: ١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٤٥: ١، «مدارج السالكين» ١٠٢: ١-١٠٣: ١، «البحر المحيط» ٢٤: ١، «تفسير ابن كثير» ٥٢: ١.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٤٥: ١، «مدارج السالكين» ١٠٢: ١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٤.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٧) الحصر هو اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه.

(٨) انظر: «الكشاف» ٩: ١.

«إياك» في الموضوعين نفى للعبادة عن غير الله، ونفى للاستعانة بغيره.
وفي قوله: «نعبد» و «نستعين» إثبات العبادة والاستعانة له سبحانه.

قال ابن القيم - رحمه الله - في «مدارج السالكين»^(١): «فهو في قوة لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك... مع أن في ضمير «إياك» الإشارة إلى نفس الذات والحقيقة ما ليس في الضمير المتصل، ففي «إياك» قصدت وأحببت من» الدلالة على معنى حقيقتك وذاتك قصدي ما ليس في قولك: «قصدتك وأحببتك...»

وكرر الضمير «إياك» مرة أخرى للاهتمام^(٢)، ولأن ذلك أفصح^(٣).
قال ابن القيم^(٤): وفي إعادة «إياك» مرة أخرى دلالة على تعلق هذه الأمور بكل من الفعلين، ففي إعادة الضمير من قوة الاقتضاء لذلك ما ليس في حذفه فإذا قلت لملك مثلاً: «إياك أحب، وإياك أخاف وإياك أخاف» كان فيه من اختصاص الحب والخوف بذاته والاهتمام بذكره ما ليس في قوله: «إياك أحب وأخاف».

وفي قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد الآيات الثلاث الأولى التفات من الغيبة إلى الخطاب كقوله - تعالى -:

(١) ١٠٢:١.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» ٧٥:١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٤٥:١.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٦٤:١.

(٤) في «مدارج السالكين» ١٠٣:١، وانظر: «التفسير القيم» ص ٦٨، «البحر المحيط»

﴿ وَسَقَنَهُمْ رِيحَهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (١).

وعكسه قوله - تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ (٢).

والغرض العام من الالتفات في جميع المواضع التي ورد فيها هو تنبيه القارئ والمستمع لأن انتقال الكلام من الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو العكس ونحو ذلك مما ينبه القارئ والمستمع، وأدعى للاصفاء، وأبعث على النشاط (٣)، بخلاف ما إذا جاء الكلام على وتيرة واحدة، فإن القارئ أو المستمع قد يغفل أو يمل.

وهناك غرض خاص في كل التفات بكل موضع بحسبه، وقد يكون هذا الغرض ظاهرا كما في قوله - تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ (٤). ثم قال: ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَبْرِكُ ﴿١﴾ ﴾ (٥) فقوله: ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ ﴾ التفات للخطاب بعد الغيبة في قوله: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾.

والغرض من مجيء الكلام أولا بضمير الغيبة كراهية مواجهة الرسول - ﷺ - بذلك فلم يقل: «عبست وتوليت أن جاءك الأعمى». بينما خاطبه مواجهة بقوله: ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَبْرِكُ ﴿٢﴾ ﴾ إذ لا غضاضة، ولا

(١) سورة الإنسان، الآيتان: ٢١-٢٢، انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٥، «البحر المحيط» ١: ٢٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٢.

(٣) انظر: «الكشاف» ١: ١٠.

(٤) سورة عبس، الآية: ١-٢.

(٥) سورة عبس، الآية: ٣.

محذور في مواجهة الرسول - ﷺ - بهذا الخطاب، لأنه - ﷺ - لا يعلم الغيب قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (١)

واختلف في الغرض الخاص من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد الآيات الثلاث قبلها.

فقد قيل إنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله - تعالى - فلماذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٢)

وقيل: لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء وصفاته العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء والعبادة والاستعانة، فخطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: (إياك) يامن هذه صفاته يخص بالعبادة والاستقامة (٣). والله أعلم.

﴿نعبد﴾:

العبادة في الأصل: التذلل والخضوع، ومنه سمي العبد عبداً لذلته وخضوعه وسكينته وخشوعه وانقياده لمولاه. ومنه قولهم: بعير معبد أي مذلل بالركوب في الحوائج. قال طرفة بن العبد: (٤)

(١) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢.

(٣) انظر: «الكشاف» ١٠: ١.

(٤) انظر: شرح القوائد السبع الطوال لأبي بكر بن الأنباري ص ١٩١ تحقيق عبدالسلام =

إلى أن تحامنتي العشيرة كلها وأفردت أفراد البعير المعبد
أي: المذلل.

ومنه قولهم: طريق معبد: أي مذلل بكثرة وطئه بالأقدام^(١).

قال طرفة بن العبد^(٢):

تُبَارِي عِتَاقَا نَاجِيَاتٍ وَأَتَبَعْتُ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدٍ
وقال عامر بن الطفيل^(٣):

شَحْنَا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى تَرَكَنَاهُمْ أَدْلَ مِنْ الصَّرَاطِ
فمعنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي نخصك دون غيرك بأقصى غاية التذلل
والخضوع لك محبة وتعظيمًا وخوفًا.

والعبادة تطلق ويراد بها فعل العبادة: أي التعبد وهو التذلل
والخضوع لله محبة وتعظيمًا، وتطلق ويراد بها نفس العبادات، وهي
بهذا الإطلاق: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال

هارون، طبع بمصر سنة ١٤٠٠هـ.

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٤١: ١، «الكشاف» ١٠: ١، «الجامع لأحكام القرآن» ١٤٥: ١،

«البحر المحيط» ٢٣: ١، «تفسير ابن كثير» ٥٢: ١.

(٢) «ديوانه» ص ١١ «البيت الثالث عشر من معلقته» تصحيح مكس سلفسون شالون

١٩٠٠م. وانظر «تفسير الطبري» ١٦١: ١، «المحرر الوجيز» ٧٦: ١.

ومعنى تباري: تجاري وتسابق، والعِتَاقُ: جمع عتيق، وهو كريم الأصل، وناجيات: مسرعات. والوظيف: من رسغ البعير إلى ركبته في يديه، وأما في رجليه فمن رسغيه إلى عرقوبيه. والمراد بالوظيف هنا: الخف. والمور: الطريق.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٤٧: ١.

والأعمال الباطنة والظاهرة^(١).

قال ابن القيم^(٢): «وبني ﴿إياك نعبد﴾ على أربع قواعد: التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح. فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب (إياك نعبد) حقاً هم أصحابها. فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسوله. وقول اللسان الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره. وعمل القلب كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضى به وعنه، والموالاة فيه، والمعادة فيه، والذل له والخضوع، والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة، أو قليل المنفعة. وأعمال الجوارح كالصلاة والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك، ف(إياك نعبد) التزام لأحكام هذه الأربعة وإقرار بها».

وعلى هذا فكل ما أمر الله به، بل كل ما تعبد له به - سبحانه

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ١٠: ١٤٩.

(٢) في «مدارج السالكين» ١: ١٢٦. وانظر «التفسير القيم» ص ٩١، وانظر أيضاً ١: ٩٩ من «مدارج السالكين».

وتعالى - فهو عبادة سواء كان ذلك مما يجب فعله كالصلاة والزكاة والحج والصيام ونحو ذلك، أو مما يجب تركه من المحرمات كالربا والزنا والسرقة ونحو ذلك أو مما يستحب فعله كالصدقة والإحسان وإماطة الأذى عن الطريق، أو مما يستحب تركه كتدخل الإنسان فيما لايعنيه، كما يدخل في ذلك الأمور المباحة كالأكل والشرب والنوم ونحو ذلك، فهذه المباحات مما يفعله الإنسان جبلة، وهي مصلحة صرفة للنفس إلا أن فعلها تقرباً إلى الله - تعالى -، وامتنالاً لأمره، وصيانة للنفس، وبهدف التقوي على طاعة الله تعالى، وإظهاراً لنعمته - تعالى على العبد، كل ذلك عبادة لله تعالى .

عن عوف بن مالك بن نضلة الجشمي، قال: أتيت النبي - ﷺ - في ثوب دون، فقال: «ألك مال؟ قال: نعم. قال: من أي المال؟ قال: أتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: فإذا آتاك الله مالا فليزر أثر نعمه الله عليك وكرامته»^(١).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله - ﷺ - : «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(٢).

وبهذه النية والقصد الحسن تكون جميع أعمال العبد المباحة من عادات ونحوها عبادات بينما قد تصبح عبادات كثيرين أشبه شيء

(١) أخرجه أبو داود في اللباس - باب في غسل الثوب وفي الخلقان - الحديث ٤٠٦٣ وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي في الأدب - ما جاء أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، الحديث ٢٨١٩، وقال: «حديث حسن».

بالعادات، بسبب الغفلة، وعدم استحضار النية والقصد الحسن. ولهذا يقال «المُؤَفَّقون عاداتهم عبادات والمخذولون عباداتهم عادات» والمُؤَفَّق من وفقه الله.

ولابد لصحة العبادة من توفر شرطين:

الأول: الإخلاص لله - تعالى - كما دل على ذلك قوله - تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: أي نخصك بالعبادة ونخلصها لك، ونبتأ من الشرك وأهله ووسائله.

وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «قال الله - تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»^(٤)».

وقال - ﷺ -: «إنما الأعمال بالنيات» متفق عليه^(٥).

والشرط الثاني: متابعة شرع الله. قال - ﷺ -: «من أحدث في

(١) سورة الزمر، الآية: ٢.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٤) أخرجه مسلم في الزهد والرفائق - باب من أشرك في عمله غير الله - الحديث ٢٩٨٥.

(٥) أخرجه من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - البخاري في بدء الوحي -

الحديث (١)، ومسلم في الإمامة - الحديث ١٩٠٧.

أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه^(١).

وقال - عليه السلام -: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢).

وذلك بأن تكون العبادة وفق ما شرع الله من حيث الجنس والقدر والصفة والزمان والمكان والسبب. فمثلاً زكاة الفطر عبادة ولا بد أن يكون المخرج فيها من جنس ما أمر الشرع بإخراجه وهو الطعام لا من الخضار، ولا بد من أن يكون المخرج عن الشخص الواحد بمقدار صاع على الصحيح. وأما موافقة الشرع في الصفة فبأن تكون العبادة على الصفة التي شرع الله كالصلاة مثلاً ركوعها قبل سجودها ولو عكس لما صحت صلاته. وأما الزمان فبكون العبادة في وقتها كالصلاة مثلاً. وأما المكان فتكون العبادة في مكانها كذبح الهدي. وأما السبب فبأن يكون سبب العبادة قد وجد كصلاة الكسوف لا تصلى إلا عندما يحصل الكسوف أو الخسوف.

وينتظم الشرطين معاً في الدلالة قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(٤) وقوله

(١) أخرجه من حديث عائشة - رضي الله عنها - البخاري في الصلح - باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود - الحديث ٢٦٩٧، ومسلم في الأفضية - باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور - الحديث ١٧١٨.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في البيوع - باب النجش قبل الحديث ٢١٤٢، وأخرجه مسلم عن عائشة موصولاً في الأفضية الحديث ١٧١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ (١)

فالمراد بإسلام الوجه لله الإخلاص له في العبادة.

والمراد بقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي متبع لما جاء عن الله، لا مبتدع وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿لِيَتْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٣).

قال الفضيل بن عياض: «أي أخلصه وأصوبه» (٤).

وقد جعل الله - تعالى - العبودية وصفاً لأكمل خلقه وأحبهم إليه، وهم رسله وأنبيأؤه - عليهم السلام، كما جعلها وصفاً لمن اصطفاه من المؤمنين.

فوصف بها نبيه محمداً - ﷺ - أفضل خلقه وخاتم رسله، في أشرف مقاماته، وهو مقام إنزال الكتاب عليه، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٣) سورة هود، الآية: ٧، وسورة الملك، الآية: ٢.

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» ١٠: ١٧٣. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن الناس ينقسمون بالنسبة لهذين الأصلين، وهما الإخلاص والمتابعة إلى أربعة أقسام أحدها أهل الإخلاص والمتابعة وهم أهل ﴿إياك نعبد﴾ حقيقة والضرب الثاني من لا إخلاص له ولا متابعة، والضرب الثالث من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر والضرب الرابع من أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله. انظر «مدارج السالكين»

كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴿١﴾ ، وقال تعالى :
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ
الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ (٣) .

ووصفه بها في مقام دعائه - ﷺ - لربه ، وعبادته له ، ودعوته إليه
فقال تعالى : ﴿ وَأَنْتَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ (٤) .

وأرشدته إلى القيام بالعبادة في أوقات الشدة والضيق ، وأمره
بالاستمرار عليها حتى الموت فقال : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَاكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا
يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ
الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (٥) .

وقال - ﷺ - : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا
عبد فقولوا عبد الله ورسوله » (٦) .

وعن عبد الله بن عمرو قال : « قرأت في التوراة صفة محمد - ﷺ - :
محمد رسول الله ، عبدي ورسولي ، سميته المتوكل ، ليس بفظ ولا
غليظ ، ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ١ .

(٤) سورة الجن ، الآية : ١٩ .

(٥) سورة الحجر ، الآيات : ٩٧-٩٩ ، انظر : «مدارج السالكين» ١ : ١٢٧-١٣٠ ، «تفسير ابن
كثير» ١ : ٥٣ .

(٦) أخرجه من حديث عمر - رضي الله عنه - البخاري في الأنبياء - باب (واذكر في الكتاب
مريم إذ انتبذت من أهلها) الحديث ٣٤٤٥ ، وأحمد ١ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٧ .

ويغفر»^(١).

كما وصف الله بها سائر أنبيائه ورسله فقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾^(٣)، وقال عن سليمان: ﴿يَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾^(٥)، وقال تعالى عن المسيح: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾^(٦)، وقال عنه وعن الملائكة: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٧) وقال أيضاً عن الملائكة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾^(٨)، وقال عنهم: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(١٠)، وقال عنهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾^(١٠).

كما وصف الله بها الصالحين من المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾^(١١)، وقال تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ

(١) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الفتح الحديث ٤٨٣٨.
 (٢) سورة ص، الآية: ٤٥.
 (٣) سورة ص، الآية: ١٧.
 (٤) سورة ص، الآية: ٣٠.
 (٥) سورة ص، الآية: ٤١.
 (٦) سورة الزخرف، الآية: ٥٩.
 (٧) سورة النساء، الآية: ١٧٢.
 (٨) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.
 (٩) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٩-٢٠.
 (١٠) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.
 (١١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

اللَّهِ ﴿١﴾ .

وجعل لهم البشارة المطلقة فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (٢).

كما جعل لهم الأمن المطلق فقال: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ (٣).

وعزل عنهم سلطان الشيطان فقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (٤).

وجعل ﷺ احسان العبودية أعلى مراتب الدين فقال في حديث جبريل وقد سأله عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» متفق عليه (٥).

وقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٢١﴾ معطوف على ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وهو وما بعده من الآيات للعبد كما سبق بيانه.

ومعنى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٢٢﴾: أي نخصك بطلب العون منك في جميع أمورنا (٦) الدينية والدنيوية في جميع الأوقات

(١) سورة الإنسان، الآية: ٦.

(٢) سورة الزمر، الآيات: ١٧-١٨.

(٣) سورة الزخرف، الآيات: ٦٨-٦٩.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٥) أخرجه من حديث عمر بن الخطاب - البخاري في الإيمان - باب سؤال جبريل النبي - ﷺ - الحديث ٥٠، ومسلم في الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان - الحديث (١)، وأخرجه مسلم - أيضاً - من حديث أبي هريرة - الحديث ٩.

(٦) أنظر: «تفسير الطبري» ١: ١٦١-١٦٢، «معالم التنزيل» ١: ٤١، «المحرر الوجيز» ١: ٧٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٥، «البحر المحيط» ١: ٢٣.

والأحوال، ونعتمد عليك في جلب المنافع ودفع المضار، مع تمام الثقة بك يا ربنا في تحصيل ذلك^(١)، ونعلن لك عجزنا وضعفنا وبراءتنا من حولنا وقوتنا وحول كل مخلوق وقوته، فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولهذا شرع للمسلم أن يقول عند قول المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح: «لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

وفي الدعاء في الحديث: «اللهم لا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين»^(٣).

قال ابن القيم^(٤) - رحمه الله -: «فإن قلت فما معنى التوكل والاستعانة؟ قلت: هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفرد بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن، وإن شاء الناس فيوجب له هذا اعتماداً عليه، وتفويضاً إليه، وطمانينة به، وثقة به، و يقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه، وأنه ملئ به، ولا يكون إلا بمشيئته شاءه الناس أم أبوه. فتشبه حاله حالة الطفل مع أبويه، فيما ينوبه من رغبة ورهبة هما مَلِيَّان بهما، فانظر في تجرد قلبه عن الالتفات إلى غير أبويه، وحسبه همه على إنزال ما ينوبه بهما فهذه حال المتوكل، ومن كان هكذا مع الله فالله كافيه ولا بد.

(١) انظر: «مدارج السالكين»: ١: ١٠٠، «تيسير الكريم الرحمن»: ١: ١.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان من حديث معاوية الحديث ٦١٣، ومسلم في الصلاة من حديث عمر بن الخطاب الحديث ٣٨٥.

(٣) أخرجه من حديث أبي بكره أحمد: ٥: ٤٢. وليس فيه «ولا إلى أحد من خلقك».

(٤) في «مدارج السالكين» ١: ١٠٦ - ١٠٧.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١) أي كافيته، والحسب: الكافي، فإن كان مع هذا من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة».

وذكرت الاستعانة بعد العبادة مع أن الاستعانة من العبادة من باب ذكر الخاص بعد العام، وتقديم حقه تعالى على حق عباده وحاجتهم، ومن باب تقديم الغاية المقصودة على الوسيلة، وتقديم الأهم على المهم.

والعبادة والاستعانة متلازمان: فلا تتحقق أحدهما دون الأخرى فالعبادة لا تتحقق بدون الاستعانة بالله، وعونه للعبد، ولا يحصل العون من الله بدون عبادته، وطلب العون منه^(٢).

وبهما معاً يتحقق الإيمان بالعبادة الخالصة لله براءة من الشرك، وبالاستعانة بالله دون سواء براءة من الحول والقوة، وتمام التفويض إلى الله - عز وجل - وهما كمال الطاعة، وبهما تحصل السعادة الأبدية والنجاة من جميع الشرور.

قال ابن القيم^(٣): «وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها، ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ متعلق بألوهيته

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) ولهذا قال الطبري ١: ١٦٣: «إنه يستوى تقديم أحدهما على الآخر».

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ١٠٠-١٠٢، وانظر «التفسير القيم» ص ٦٦-٦٨، «معالم التنزيل» ١: ٤١، «البحر المحيط» ١: ٢٥، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٣.

واسمه «الله»، و ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ متعلق بربوبيته واسمه «الرب». فقدم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، كما تقدم اسم «الله» على «الرب» في أول السورة^(١)، ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قسم الرب، فكان من الشطر الأول، الذي هو ثناء على الله تعالى، لكونه أولى به و ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قسم العبد، فكان من الشطر الذي له وهو ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة، لأن العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس، فكل عابد لله تعالى عبودية تامة مستعين به، ولا ينعكس، لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته فكانت العبادة أكمل وأتم، ولهذا كانت قسم الرب، ولأن الاستعانة جزء من العبادة، من غير عكس، ولأن الاستعانة طلب منه، والعبادة طلب له، ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص، ولأن العبادة حقه الذي أوجبه عليك، والاستعانة طلب العون على العبادة، وهو بيان صدقته التي تصدق بها عليك، وأداء حقه أهم من التعرض لصدقته. ولأن العبادة شكر نعمته عليك، والله يحب أن يشكر. والإعانة فعله بك، وتوفيقه لك.

فإذا التزمت بعبوديته، ودخلت تحت رقتها أعانك عليها، فكان التزامها والدخول تحت رقتها سبباً لنيل الإعانة، وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله له أعظم. والعبودية محفوفة بإعانتين إعانة

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ١٤: ١٣، «دقائق التفسير» ١: ١٧٧.

قبلها على التزامها، والقيام بها، وإعانة بعدها على عبودية أخرى، وهكذا أبدا حتى يقضي العبد نجه. ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ له و ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ به، وما له مقدّم على ما به، لأن ماله متعلق بمحبته ورضاه، وما به متعلق بمشيئته، وما تعلق بمحبته أكمل مما تعلق بمجرد مشيئته، فإن الكون كله متعلق بمشيئته، والملائكة والشياطين والمؤمنون والكفار والطاعات والمعاصي. والمتعلق بمحبته طاعاتهم وإيمانهم. فالكفار أهل مشيئته، والمؤمنون أهل محبته، ولهذا لا يستقر في النار شيء لله أبدا، وكل ما فيها فإنه به تعالى وبمشيئته. فهذه الأسرار يتبين بها حكمة تقديم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وقد قرن الله - تعالى - بين عبادته وبين الاستعانة به، والتوكل عليه، وأكد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم^(١).

قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ١: ٢٢، ٨: ١٤، «مدارج السالكين» ١: ٩٩-١٠٠، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢ وانظر ما يأتي في ذكر الفائدة الثامنة والعشرين من فوائد الفاتحة.

(٢) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٠.

بِحَمْدِهِ ﴿١﴾

وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ ﴿٢﴾

وقال المؤمنون فيما ذكره الله عنهم: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ

الْمَصِيرُ ﴿٣﴾

وقال تعالى: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٤﴾

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَاتَتَلَّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

مَتَابٍ ﴿٥﴾

قال الزمخشري^(٦) في كلامه على قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ «فإن قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة؟

قلت: ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم، وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته».

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٩.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٣٠.

(٦) في «تفسيره» ١: ١٠٠، وانظر: «البحر المحييط» ١: ٢٥.

اهدنا: فعل أمر معناه الدعاء^(١)، لأن الأمر إذا صدر من الأعلى إلى الأدنى فهو أمر، وأما إذا جاء من الأدنى إلى الأعلى فهو دعاء، وإن كان من المتساويين فهو التماس.

والفاعل: ضمير مستتر وجوباً تقديره: «أنت» و «نا» ضمير متصل في محل نصب مفعول أول للفعل «اهد». والمفعول الثاني «الصراط». والأصل في الفعل «هدى» أنه يتعدى إلى مفعولين الأول بنفسه، ويتعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه كما في قوله - تعالى -: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْتَهُ النَّجْدَيْنِ ۝١١﴾^(٣).

وتارة يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف الجر، إما باللام كقوله - تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ۝٤﴾، وكقوله - تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ۝٥﴾، وإما بإلى كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝١٧٦﴾^(٦). وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٤﴾^(٧)، وقوله: ﴿وَأَجْنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ

(١) انظر: «المحرر الوجيز» ١: ٧٧.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢.

(٣) سورة البلد، الآية: ١٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٣، وسورة النور، الآية: ٤٦.

(٧) سورة الحج، الآية: ٥٤.

مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢﴾،
 وقوله تعالى: ﴿أَجْتَبَهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٣﴾، وقوله تعالى:
 ﴿فَأَمَدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٤﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥﴾.

قال الطبري^(٦): «والعرب تقول: هديت فلاناً الطريق، وهديته
 للطريق، وهديته إلى الطريق».

والهداية تنقسم إلى قسمين:

هداية البيان والدلالة والارشاد، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَ
 أَهْلِكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ ﴿٧﴾ أي: أفلم يتبين لهم. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ﴿٨﴾ أي: لتستدلوا بها
 وتسترشدوا.

وهذه الهداية عامة. فالله - تعالى هاد، بمعنى مبين ومرشد للعباد

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦١.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢١.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٢٣.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٦) في «تفسيره» ١: ١٦٩، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٧، «البحر المحيط»
 ٢٥: ١.

(٧) سورة طه، الآية: ١٢٨.

(٨) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

كما قال - تعالى - : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ (١) ،
وقال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢) ، وقال
تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ (٤) .

والرسل هداة إلى الله تعالى ، كما قال تعالى - عن أفضلهم نبينا
محمد ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥) وقال : ﴿ فَاتَّبِعْنِي
أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ (٦) . وقال موسى - عليه السلام مخاطباً فرعون
﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَانْحَثِي ﴾ (٧) .

والدعاة إلى الله من المؤمنين هداة كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ
ءَامَنَ يَتَّبِعُونَ آتِيَعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٨) .

والقسم الثاني هداية التوفيق والإلهام والقبول . وهذه خاصة بالله -
تبارك وتعالى - كما قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٩) ، وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي

(١) سورة فصلت ، الآية : ١٧ .

(٢) سورة الإنسان ، الآية : ٣ .

(٣) سورة البلد ، الآية : ١٠ .

(٤) سورة الليل ، الآية : ١٢ .

(٥) سورة الشورى ، الآية : ٥٢ .

(٦) سورة مريم ، الآية : ٤٣ .

(٧) سورة النازعات ، الآية : ١٩ .

(٨) سورة غافر ، الآية : ٣٨ .

(٩) سورة القصص ، الآية : ٥٦ .

مَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾ . فنفي عن رسوله - ﷺ - هذه الهداية التي بمعنى التوفيق، وأثبتها تعالى لنفسه، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِصَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٤) أي: هدى كل شيء لما خلق له وألهمه كقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (٥) أي هدى كل مخلوق لما قدر له.

قال الشاعر:

ولا تعجلني هداك المليك فإن لكل مقام مقالاً (٦)
أي: وفقك المليك - تبارك وتعالى - .

وهذه الهداية الحققة التي من وفق لها ظفر بخيري الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾ (٧)، ويجمع الهدايتين قوله

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩.

(٤) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٥) سورة الأعلى، الآية: ٣.

(٦) ذكره الطبري في «تفسيره» ١: ١٦٧ بدون نسبة. ونسبه المفضل في «الفاخر» ص ٢٥٣

لطرفه بن العبد، وليس في ديوانه. ونسبه الشنقيطي في «الدرر اللوامع» ١: ١٦٢ طبعة

بيروت ١٣٩٣هـ إلى الحطيئة، وليس في ديوانه. وهو بغير نسبة في «المقتضب للمبرد»

٣: ٢٢٤ تحقيق عظمة - القاهرة ١٩٨٦م، «العقد الفريد» ٥: ٤٩٣ - القاهرة ١٣٨٥هـ.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٧٨.

تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾^(١) أي وجدك ضالاً لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق^(٢).

وكذا قوله - تعالى - هنا ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يشمل الهدایتين ويتنظم القسمين لأن فعل الهداية إذا عدّي بحرف تعيّن معناه وتخصص بحسب معنى الحرف فإذا عدي يالى تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، وإذا عدي باللام تضمن الاختصاص والتعيين، فإذا عدي بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ تضمن ما يجمع ذلك كله أي بيّن لنا ودلنا وأرشدنا إلى الصراط المستقيم، وألهمنا ووفقنا فيه وثبتنا عليه^(٣).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله^(٤) أن للهداية عشر مراتب الأولى هداية العلم والبيان للحق والثانية أن يقدره الله عليه، والثالثة أن يجعله مريداً له، والرابعة أن يجعله فاعلاً له، والخامسة أن يشته على ذلك، والسادسة أن يصرف عنه الموانع والعوارض، والسابعة أن يهديه في الطريق نفسها هداية خاصة أخص من الأولى فإن الأولى هداية إلى الطريق إجمالاً وهذه هداية فيها وفي منازلها تفصيلاً، والثامنة أن يشهده

(١) سورة الضحى، الآية ٧.

(٢) انظر: «تيسير الكريم الرحمن» ٧: ٦٤٢-٦٤٣.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٦٦-١٦٩، «المحرر الوجيز» ١: ٧٧، «بدائع الفوائد»

٢٠: ٢ «تفسير ابن كثير» ١: ٥٤، «تيسير الكريم الرحمن» ١: ٣٦.

(٤) في «مدارج السالكين» ٣: ٥٥٣.

المقصود في الطريق فلا يحجب عنه بالوسيلة، والتاسعة أن يشهده فقره وضرورته إلى هذه الهداية فوق كل ضرورة، والعاشرة أن يشهده الطريقين المنحرفين عن طريقها وهما طريق أهل الغضب وطريق أهل الضلال.

﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الصراط مفعول ثاني لـ ﴿اهدنا﴾ كما تقدم و«أل» في الصراط للعهد العلمي الذهني أي الصراط المعلوم المعهود، لأن اللام إذا دخلت على موصوف اقتضت أنه أحق بتلك الصفة من غيره. وإنما جاء الصراط معرفاً لأن المقام مقام دعاء وطلب. ويأتي الصراط منكرأ إذا كان المقام مقام إخبار كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (١) وكقوله: ﴿وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢) وكقوله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣).

قرأ ابن كثير (السرط) بالسين في جميع القرآن، وقرأ حمزة بإشمام السين بين الزاي والصاد، وقرأ بقية القراء (الصراط) بالصاد (٤).

ومعنى الصراط: الطريق المسلوك، والسييل الواضح مأخوذ من الاستراط وهو الابتلاع، لأنه يبتلع السائر فيه، والماشي عليه: أي

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦١، انظر «بدائع الفوائد» ٢: ١٢-١٣.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ١: ٤١، «الكشاف» ١: ١١، «المحرر الوجيز» ١: ٧٩، «زاد

المسير» ١: ١٤، «أنوار التنزيل» ١: ١١.

يضمه بين جانبيه^(١).

﴿المستقيم﴾: صفة للصراط منصوبة مثله.

والمستقيم: هو أقرب خط يصل بين نقطتين^(٢). وهو المعتدل المستوي، الذي لا اعوجاج فيه، ولا التواء^(٣).

قال جرير^(٤) يمدح هشام بن عبد الملك

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

وقال الآخر: فصد عن نهج الصراط القاصد.

فالصراط المستقيم: هو الطريق المعتدل الواضح الذي لا اعوجاج فيه، ولا التواء، وهو صراط الله كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٦).

وهو الصراط الذي عليه ربنا تبارك وتعالى كما قال هود عليه

(١) انظر: «مجاز القرآن» ١: ٢٤، «المفردات في غريب القرآن» مادة «سراط»، «معالم التنزيل» ١: ٤١، «الكشاف» ١: ١١، «المحرر الوجيز» ١: ٧٩، «زاد المسير» ١: ١٤، «لسان العرب» مادة: «سراط» بدائع الفوائد» ٢: ١٦، «أنوار التنزيل» ١: ١١.

(٢) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٣٣، «التفسير القيم» ص ٦٠.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٧٠، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٨، «أنوار التنزيل» ١: ١١.

(٤) انظر: «ديوانه» ص ٢١٨، تحقيق د. نعمان طه، القاهرة ١٩٦٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٧، والموارد: طرق الماء.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٥٣.

السلام: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٦) (١).

وهو الصراط المؤدي إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (١١) (٢)، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ (٣). أي أن السبيل القاصد، وهو المستقيم المعتدل، يرجع إلى الله - تعالى ويوصل إليه كما قال طفيل الغنوي.

مضوا سلفاً قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلب
أي ممرنا عليهم، ووصولنا إليهم.
وقال الآخر:

فهن المنايا أي واد سلكته عليها طريقي أو على طريقها (٤)
قال ابن القيم (٥): «ولا تكون الطريق صراطاً حتى تتضمن خمسة أمور: الاستقامة والإيصال إلى المقصود، والقرب، وسعته للمارين عليه، وتعيينه طريقاً للمقصود. ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة:

- (١) سورة هود، الآية: ٥٦، انظر: «مجاز القرآن» ١: ٢٤، «تفسير الطبري» ١: ١٧١، «المنحرر الوجيز» ١: ٧٩.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٤١.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩.
(٤) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٣٩، «التفسير القيم» ص ١٤، ١٨، «بدائع الفوائد» ٤٠: ٢.
(٥) في «مدارج السالكين» ١: ٣٢، وانظر «التفسير القيم» ص ١٠، «بدائع الفوائد» ٢: ١٦.

فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه، لأن الخط المستقيم هو أقرب فاصل بين نقطتين، وكلما تعوج طال وبعد، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته، وإضافته إلى المنعم عليهم، ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال يستلزم تعيينه طريقاً.

والمراد بالصراط المستقيم: طريق الحق والإيمان، والدين القيم، ومعرفة ما جاء به الرسول - ﷺ - عن ربه في الكتاب والسنة والعمل به وفق ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ -^(١) - إخلاصاً لله ومتابعة لرسوله - ﷺ - كما قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٢).

وهو الطريق الموصل إلى ساحل النجاة، وإلى الغاية المنشودة والهدف المقصود، وهي: السعادة في الدنيا والآخرة، والحصول على مرضاة الله وجنته، بأقل وقت وأخصر طريق.

قال ابن القيم^(٣) بعد أن ذكر قسماً الهداية، وهما هداية البيان والدلالة، وهداية التوفيق والإلهام - قال: «وللهداية مرتبة أخرى - وهي آخر مراتبها - وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة، وهو الصراط

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٧١، «مجموع الفتاوى» ١٠: ١٠٧، ١٤: ٣٨-٣٩،

٧: ١٦٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٦.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ٣٢، وانظر: «التفسير القيم» ص ٩-١٠، «تفسير ابن كثير»

١: ٥٦.

الموصل إليها، فمن هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم، الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه هدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته، ودار ثوابه، وعلى قدر ثبوت العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذلك الصراط».

كما ذكر في كتابه «بدائع الفوائد»^(١) أن الهداية أربعة أنواع: الهداية العامة المشتركة كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٢) أي هداه لما خلق له من الأعمال وهذه تشمل الحيوان والجماد. ثم ذكر هداية البيان والدلالة والتعريف لتنجدي الخير والشر، وهداية التوفيق والإلهام، ثم قال: والرابع غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سبق أهلها إليهما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٣) وقال أهل الجنة ﴿لِلْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا﴾^(٤) وقال تعالى عن أهل النار ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^(٥) من دون الله فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الرَّحِيمِ^(٦).

(١) ٣٥: ٢ - ٣٧.

(٢) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٥) سورة الصافات، الآية: ٢٣، كما ذكر ابن القيم في «مدارج السالكين» ١: ٦٢-٧٨: أن

للهداية الخاصة والعامة عشر مراتب: مرتبة التكليم من الله لعبده، ومرتبة الوحي =

فالمعنى العام لقوله - تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي بين لنا وأرشدنا إلى سلوك الطريق المستقيم بالعلم النافع والعمل الصالح بمعرفة الحق والعمل به، ووفقنا فيه وثبتنا عليه، وزدنا هداية وإيماناً وعلماً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدَوْا هُدًى﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَحْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (٤).

فالعبد في كل لحظة، وفي كل حال، وعند كل مسألة محتاج أعظم الحاجة إلى الهداية إلى الصراط المستقيم.

وذلك بأن يهتدي لمعرفة الحق والحكم في كل مسألة، ويوفق للعمل بما طلب منه سواء كان ذلك فعلاً أو تركاً.

قال الطبري (٥) في كلامه على قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: «ومعناه نظير معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾» في أنه مسألة من العبد ربه بالتوفيق للثبات على العمل بطاعته. وإصابة الحق

= المختص بالأنبياء، ومرتبة إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري، ومرتبة التحديث، ومرتبة الإفهام، ومرتبة البيان العام، ومرتبة البيان الخاص والتوفيق، ومرتبة إسماع القلوب، ومرتبة الإلهام، ومرتبة الرؤيا الصادقة.

(١) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٢) سورة مريم، الآية: ٧٦.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٥) في «تفسيره» ١: ١٦٦.

والصواب، فيما أمره به ونهاه عنه فيما يستقبل من عمره».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١): «وأما سؤال من يقول: فقد هداهم الله فلا حاجة بهم إلى لسؤال وجواب من أجابه بأن المطلوب دوامها كلام من لا يعرف حقيقة الأسباب وما أمر الله به، فإن «الصرراط المستقيم» أن يفعل العبد في كل وقت ما أمر به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا يفعل ما نهى عنه، وهذا يحتاج في كل وقت إلى أن يعلم ويعمل ما أمر به في ذلك الوقت، وما نهى عنه، وإلى أن يحصل له إرادة جازمة لفعل المأمور، وكراهة جازمة لترك المحذور، فهذا العلم المفصل والإرادة المفصلة لا يتصور أن تحصل للعبد في وقت واحد، بل كل وقت يحتاج إلى أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهتدي به في ذلك الصراط المستقيم. نعم حصل له هدى مجمل بأن القرآن حق، والرسول حق، ودين الإسلام حق، وذلك حق، ولكن هذا المجمل لا يغنيه إن لم يحصل له هدى مفصل في كل ما يأتيه ويذره من الجزئيات التي يحار فيها أكثر عقول الخلق، ويغلب الهوى والشهوات أكثر عقولهم لغلبة الشهوات والشبهات عليهم».

وقال ابن القيم^(٢) بعد أن ذكر قسماً الهداية: «وهما هدايتان مستقلتان، لا يحصل الفلاح إلا بهما، وهما متضمنتان تعريف ما لم

(١) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ٣٧-٣٨، وانظر ٣٢٠-٣٢١، ١٠: ١٠٧ «أمراض القلوب وشفائها» لابن تيمية ص ١١-١٢.

(٢) في «مدارج السالكين» ١: ٣١-٣٢، وانظر «التفسير القيم» ص ٩، «بدائع الفوائد» ٢: ٣٧-٣٩.

نعلمه من الحق تفصيلاً وإجمالاً، وإلهامنا له، وجعلنا مریدين لاتباعه ظاهراً وباطناً، ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل، ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة. قال: ومن هنا يعلم اضطرار العبد إلى سؤال هذه الدعوة فوق كل ضرورة» وبطلان قول من يقول: إذا كنا مهتدين فكيف نسأل الهداية؟ فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاوناً وكسلاً مثل ما نريده، أو أكثر منه، أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده - كذلك، وما نعرف جملة ولا نهتدي لتفاصيله فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام».

وقال ابن كثير^(١): «فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها. كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢).

وقال السعدي^(٣): «اهدنا إلى الصراط المستقيم، واهدنا في الصراط، فالهداية إلى الصراط لزوم دين الإسلام وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً».

(١) في «تفسيره» ١: ٥٦-٥٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٣) في «تفسيره» ١: ٣٦.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ صراط بدل كل من الصراط في قوله ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أو عطف بيان^(١). و﴿الذين﴾ مضاف إليه، وما بعده صلة الموصول.

وفائدة هذا التوكيد والإيضاح والبيان، فهو تفسير للصراط المستقيم، وبيان أنه صراط المنعم عليهم^(٢)، وفي ذلك شهادة له بالاستقامة على أبلغ وجه وأكدته^(٣).

وإنما عرّف الصراط في الموضع الأول «بأل»، وهنا بالإضافة، لأن طريق الحق واحد أما طرق الشر فهي كثيرة، متعددة متشعبة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^(٤).

وعن النّوّاس بن سمعان عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «ضرب الله مثلا صراطا مستقيماً وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داغ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداغ يدعو فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك، لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١: ١٦٤، «الكشاف» ١: ١١، «تفسير ابن كثير» ٥٧: ١.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٧٧، «الكشاف» ١: ١١، «بدائع الفوائد» ٢: ٢٨-٢٩.

(٣) انظر: «الكشاف» ١: ١١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»^(١).

وهكذا غالباً ما يُذكر طريق الحق بالافراد بينما يذكر طريق الشر متعدداً، وقد يذكر أحياناً طريق الخير بالتعدد، ويراد به فروع الشريعة.

﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ الإنعام: إيصال النعمة. والنعمة في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان من لين العيش، والخفض والدعة والمال ونحوها^(٢).

والنعمة: اسم جنس يقع على القليل والكثير، وإذا أضيفت إلى معرفة دلت على الإنعام المطلق التام أي على عموم النعم الدينية والدينيوية والأخروية^(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾^(٥)، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾^(٦).

والإنعام خاص بإيصال النعمة والإحسان والخير إلى الغير من بني

(١) أخرجه الترمذي في الأمثال باب (١) الحديث ٢٨٥٩، وأحمد ٤: ١٨٢، والطبري في «تفسيره» الحديثان ١٨٦-١٨٧. قال ابن كثير في «تفسيره» ٥٦: ١ «إسناده حسن وصححه الحاكم».

(٢) انظر «لسان العرب» مادة «نعم»، «البحر المحيط» ١: ٢٦، «أنوار التنزيل» ١: ١١.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» ١: ١١. «إجتماع الجيوش الإسلامية» ١-٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤، وسورة النحل، الآية: ١٨.

آدم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ (١).

ولا يسمى الإحسان إلى غير الناطقين إنعاماً فلا تقول: أنعمت على الفرس.

﴿عليهم﴾ قرأ حمزة بضم الهاء ﴿عليهم﴾، وقرأ الباقون بكسرها ﴿عليهم﴾ (٢).

والمُنعم عليهم: هم الذين وفقهم الله لسلوك الطريق المستقيم، للهدى ودين الحق. كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (٣) أي إلى العلم النافع والعمل الصالح، إلى معرفة الحق والعمل به، إلى الإيمان بالله تعالى، إلى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ. وتلك أجل نعمة وأعظمها، فهي سبب للسعادة في الدارين، وافلوز بأعلى الدرجات في جنات النعيم.

وهم المذكورون في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا﴾ (٦٦) وَإِذَا لَا تَنبِيئَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلِيمًا (٧٠) (٤).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» ٢: ٥٩٥، «المحرر الوجيز» ١: ٨٣، «زاد المسير» ١: ١٦، «المهذب في القراءات السبع» ص ٤٦.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٤) سورة النساء، الآيات ٦٦ - ٧٠. انظر «تفسير الطبري» ١: ١٧٧ - ١٧٩، «الجامع لأحكام»

وهم المذكورون في قوله تعالى في سورة مريم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (١) ﴿٥٨﴾ أي الذين أنعم الله عليهم بأجل نعمة وأعظمها، وهي: نعمة الإيمان، كما قال تعالى ردا على الأعراب: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آسَلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

«والنبيين» جمع نبي، ويدخل فيهم الرسل من باب أولى، لأن كل رسول نبي ولا عكس، ويأتي في مقدمتهم أولو العزم، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (٣).

وهم المذكورون في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٤).

«والصّديقين»: جمع صديق، يدخل فيهم من ثبت بالكتاب أو السنة وصفه أو تسميته بذلك منهم مريم ابنة عمران التي قال الله عنها: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ

= القرآن ١: ١٤٩، «اجتماع الجيوش الإسلامية» ١- ٣، «بدائع التغير» ٢: ١٠٠، تفسير ابن كثير ١: ٥٧.

- (١) سورة مريم، الآية: ٥٨.
- (٢) سورة الحجرات، الآية: ١٧.
- (٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
- (٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ»^(١)

ومنهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لأن الرسول - ﷺ - سماه «الصديق» كما سيأتي الحديث في ذلك .

«والشهداء» جمع شهيد، وهو من قتل في سبيل الله، ويأتي في مقدمة الشهداء عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان - رضي الله عنهما - حيث شهد لهما الرسول - ﷺ - بذلك كما روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - صعد أحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - فرجف بهم . فقال النبي - ﷺ - : «اسكن أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان» رواه البخاري^(٢) .

ومنهم أيضاً: علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص .

كما روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كان على جبل حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص، فتحركت الصخرة، وفي رواية «فتحرك» فقال رسول الله - ﷺ - : «اسكن حراء» وفي رواية: «اهدأ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد» رواه مسلم^(٣) .

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

(٢) في فضائل الصحابة - فضل أبي بكر رضي الله عنه، والأبواب بعده - الأحاديث ٣٦٧٥، ٣٦٨٦، ٣٦٩٩.

(٣) في فضائل الصحابة - فضائل طلحة والزبير - الحديث ٢٤١٧.

ومنهم أيضاً: حمزة عم النبي - ﷺ -، وأنس بن النضر، ومصعب ابن عمير - رضي الله عنهم - وغيرهم ممن قتل أو يقتل في سبيل الله، وكذا كل من قتل دون ماله كما في حديث عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما -، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من قتل دون ماله فهو شهيد» متفق عليه^(١).

لكن ينبغي أن يعلم أنه لا تجوز الشهادة لشخص بعينه أنه شهيد، وإن قتل في المعركة، لأن النيات مغيبة عنا لكن يرجى له ذلك، إلا من ثبت له الشهادة بذلك من النبي - ﷺ - فقد عقد البخاري: باب لا يقال فلان شهيد، وأخرج فيه عن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله - ﷺ - إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله - ﷺ - رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه. فقالوا: ما أجزأنا اليوم أحد، كما أجزأ فلان، فقال رسول الله - ﷺ -: «أما إنه من أهل النار» الحديث، وفيه: أنه استعجل الموت لما جرح فقتل نفسه^(٢).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: «لما كان يوم خيبر قُتل نفر من أصحاب النبي - ﷺ - فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد،

(١) أخرجه البخاري في المظالم - الحديث ٢٤٨٠، ومسلم في الإيمان - الحديث ١٤١.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد الحديث ٢٨٩٨، ومسلم في الإيمان - باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه - الحديث ١١٢. وأخرج مسلم أيضاً نحوه من حديث أبي هريرة الحديث ١١١.

حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ - :
«كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة» رواه مسلم^(١).

وروى أبو العجفاء أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خطب،
فقال: «تقولون في مغازيكم: فلان شهيد، ومات فلان شهيدا، ولعله
يكون قد أوقر راحلته، ألا لا تقولوا ذلكم، ولكن قولوا كما قال رسول
الله ﷺ: «من مات في سبيل الله أو قتل فهو في الجنة»^(٢).

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٧):

«غير» صفة للاسم الموصول «الذين» مبيّنة أو مقيدة على معنى
أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من
الغضب والضلال، وقيل هي بدل من الاسم الموصول على معنى أن
المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال والتقدير: غير
صراط المغضوب عليهم^(٣).

والصحيح أنها صفة، وإنما صح مجيء «غير» صفة لمعرفة وهو
الاسم الموصول مع أن «غيراً» لا تتعرف لشدة إبهامها - لما في من

(١) أخرجه مسلم في الإيمان - باب غلظ تحريم الغلول، وأنه لا يدخل الجنة إلا
المؤمنون، الحديث ١١٤.

(٢) أخرجه النسائي في النكاح - الحديث ٣١٤١، وأحمد ١: ٤١، ٤٨، وقال الحافظ ابن
حجر: «وهو حديث حسن». وصححه الألباني.

(٣) انظر «معاني القرآن» للفراء ١: ٧، «معاني القرآن» للأخفش ١: ١٦٤-١٦٥، «تفسير
الطبري» ١: ١٨٠-١٨١، ١٨٤، «المدخل لعلم تفسير كتاب الله» ص ٨٩ «الكشاف»
١١: ١، «أنوار التنزيل» ١: ١١١.

الابهام ورائحة النكرة، ولأن «غيراً» أضيفت إلى «المغضوب» وهي معرفة، ووقعت بين ضدين منعم عليهم ومغضوب عليهم فضعف إبهامها كما قال ابن هشام^(١). أو زال إبهامها وتعرفت كما قال ابن السراج^(٢). واختاره ابن القيم^(٣).

و«غير» ملازمة للإفراد والتذكير، وللإضافة لفظاً أو تقديرًا، وهي لا تعرف وإن أضيفت إلى معرفة عند أكثر من اللغة، ولا تدخل عليها الألف واللام^(٣).

وقد روى عن ابن كثير أنه قرأها بالنصب «غير» على الحال، وثبت عنه وعن بقية القراء السبعة قراءتها بالكسر «غير»^(٤).

«غير» مضاف و«المغضوب» مضاف إليه مجرور. و«عليهم» متعلق بـ«المغضوب»، قرأها حمزة بالضم «عليهم» وقرأها بقية السبعة بالكسر «عليهم» كقراءة «عليهم» في قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٥).

وإنما وصف الله تبارك وتعالى صراط المنعم عليهم بقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ لتأكيد كمال صراط المنعم عليهم، لأن الصفات السلبية يؤتى بها لإثبات كمال ضدها، كما في قوله - تعالى -:

(١) انظر: «معنى اللبيب» ١: ١٥٨.

(٢) انظر: «بدائع المحیط» ٢: ٢٣-٢٨.

(٣) انظر: «البحر المحیط» ١: ٢٨.

(٤) انظر: «الكشاف» ١: ١١، «المحرر الوجيز» ١: ٨٥، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٧.

(٥) راجع ما سبق في الكلام على قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾^(١).

فقوله: ﴿ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ صفة سلبية جيء بها لإثبات كمال ضدها، وهي الحياة.

وكقوله - تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٢). فهو لإثبات كمال قيوميته - تبارك وتعالى.

والغضب: ضد الرضا^(٣).

وفي الحديث: «ألا وإن الغضب جمرة توقد في ابن آدم، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه»^(٤).

والغضب صفة من صفات الله - تعالى - يجب إثباتها لله، كما يليق بجلاله وعظمته، ولا تشبه صفات المخلوقين.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾^(٥).

وفي حديث أبي هريرة في الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) انظر: «لسان العرب»: مادة: غضب.

(٤) أخرجه من حديث أبي سعيد المخدري - الترمذي في الفتن باب ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة الحديث ٢١٩١. وقال: «حديث حسن صحيح».

وأحمد ٣: ١٩، ٦١.

(٥) سورة طه، الآية: ٨١.

يغضب قبله مثله» . متفق عليه^(١) .

والمراد بالمغضوب عليهم من استوجبوا غضب الله ، ووصفوا به ، ممن فسدت إرادتهم فعدلوا عن الحق بعد أن عرفوه وعلموه .

وفي مقدمتهم اليهود ، قال عدي بن حاتم : سألت رسول الله - ﷺ - عن قوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ قال : هم اليهود ، ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قال : هم النصارى^(٢) .

وقد وصف الله تعالى اليهود بالغضب وحكم عليهم به في مواضع من كتابه . قال تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِنَا مِنْ اللَّهِ ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبِنَا عَلَى عَظْبٍ وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾^(٤) . وقال تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَمَا مَا

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة مطولا في الأنبياء الحديث ٣٣٤٠ ، ومسلم في الإيمان الحديث ١٩٤ .

(٢) إسناده صحيح . والحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة الفاتحة - الحديثان ٢٩٥٣ ، ٢٩٥٤ ، وأحمد ٤ : ٣٧٨-٣٧٩ ، والطبري في «تفسيره» الأحاديث ١٩٣-١٩٥ ، ٢٠٩-٢٠٧ ، والطيالسي - الحديث ١٠٤٠ ، والطبراني في الكبير ٧ : ٩٨-١٠٠ .

وقد أخرج الطبري - الأحاديث ١٩٦-١٩٩ ، ٢١٠-٢١٣ عن عبدالله بن شقيق أنه أخبره من سمع النبي - ﷺ - يقول نحو حديث عدي قال ابن حجر في «الفتح» ٨ : ١٥٩ : «ورواه أحمد» وأخرجه ابن مردويه فيما ذكر ابن كثير ١ : ٥٩ من رواية عبدالله بن شقيق عن أبي ذر - موصولا - وقد أشار إلى رواية أبي ذر الحافظ ابن حجر في الموضوع السابق وقال : «إسناده حسن» .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٦١ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٩٠ .

تَقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَيُغْضِبُ مِنَ اللَّهِ ﴿١﴾ ، وقال تعالى :
 ﴿ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِبَشِيرٍ مِنْ ذَلِكَ مُتُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ
 وَالْفَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أَوْلِيَاءَ شَرًّا مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ﴿٢﴾ ، وقال
 تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا ﴾ ﴿٣﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿٤﴾ ،
 وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿٥﴾ .

وإنما وصفوا بالغضب ووصموا به، واستوجبوه، لأنهم عرفوا الحق
 وتركوه كفراً وحسداً، كما قال تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ
 يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ
 الْحَقُّ ﴾ ﴿٦﴾ . وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
 أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ﴿٧﴾ .

وعن زيد بن عمرو بن نفيل أنه خرج إلى الشام، يسأل عن الدين،
 ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينهم، فقال : إني لعلِّي أن أدين
 دينكم فأخبرني . فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب
 الله . قال زيد : ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٢.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١٤.

(٥) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٤٦، وسورة الأنعام، الآية: ٢٠.

وأني أستطيعه، فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله، فخرج فلقي عالماً من النصارى، فذكر مثله. فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله. قال ما أفر إلا من لعنة الله. . .» الحديث رواه البخاري^(١).

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: أي ولا صراط الضالين.

ف الواو: عاطفة و «لا» زائدة إعراباً عند البصريين مؤكدة لمعنى النفي المفهوم من «غير»^(٢) لئلا يتوهم عطف الضالين على ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٣) وليدل على أن ثم مسلكين فاسدين، وهما: طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين^(٤) ولرفع توهم أن الضالين وصف للمغضوب عليهم وأن ذلك من عطف الصفات بعضها على بعض^(٥).

وقال الكوفيون هي بمعنى «غير» مؤكدة أيضاً^(٦). ويؤيده قراءة عمر ﴿غير المغضوب عليهم وغير الضالين﴾^(٧).

- (١) في مناقب الأنصار - باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل - الحديث ٣٨٢٧.
 (٢) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٨٩، «مشكل إعراب القرآن» ١: ٧٢، «الكشاف» ١: ١٢، «المحرر الوجيز» ١: ٨٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٥١، «البحر المحيط» ١: ٢٨، ٢٩، «أنوار التنزيل» ١: ١١، «فتح الباري» ٨: ١٥٩.
 (٣) انظر «المحرر الوجيز» ١: ٨٧، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٥١، «البحر المحيط» ١: ٢٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٨.
 (٤) انظر «تفسير ابن كثير» ١: ٥٧، ٥٨.
 (٥) انظر «بدائع الفوائد» ٢: ٣٤-٣٥.
 (٦) انظر «فتح الباري» ٨: ١٥٩.
 (٧) أخرجها أبو عبيد في «فضائل القرآن»، وسعيد بن منصور في سننه فيما نقل ابن كثير =

قال الحافظ ابن كثير^(١): «والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والطاء، لقرب مخرجيهما.. لمن لا يميز ذلك»

والضالين: جمع ضال. والضلال هو التيه والجهل والبعد عن الحق^(٢) والعدول عن الطريق المستقيم، والانحراف عن المنهج القويم.

يقال: ضل الطريق: أي تاه وانحرف، كما يقال ضال، بدون إضافة قرينة، وإذا أطلق فالمراد به العدول عن الطريق المستقيم، طريق الحق.

ويطلق الضلال على النسيان، كما قال تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَهُمَا فَتُكْفِرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٣) أي أن تنسى إحداهما.

ويطلق على الاختفاء وغياب الشيء كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٤) أي غيبتنا فيها، وصرنا تراباً.

ومنه قول الشاعر:

ألم تسأل فتخيرك الديارُ عن الركب المضلل أين ساروا^(٥)

٥٨: ١. قال ابن كثير «هذا إسناد صحيح» قال وكذلك حكى عن أبي بن كعب أنه قرأ

كذلك، وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير». وانظر: «مشكل إعراب

القرآن» ١: ٧٢، «معالم التنزيل» ١: ٤٢، «الكشاف» ١: ١٢، «المحرر الوجيز» ١: ٨٧.

(١) في «تفسيره» ١: ٥٩.

(٢) انظر «لسان العرب» مادة: «ضل»، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٠، «البحر المحيط»

١: ٢٨، ٢٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٠.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٥٠.

والمراد بالضالين: من فقدوا العلم، فتركوا الحق عن جهل، وعبدوا الله على غير هدى، وعلى غير بصيرة^(١). قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(٢).

ويأتي في مقدمة الضالين النصارى^(٣) كما في حديث عدي بن حاتم - المتقدم قريباً أن رسول الله - ﷺ - قال في قوله: ﴿ولا الضالين﴾ هم «النصارى».

وهكذا وصف الله النصارى بالضلال في غير هذا الموضع. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٤).

قال ابن كثير^(٥) بعد أن ذكر تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى: «وقال ابن أبي حاتم لا أعلم بين المفسرين في تأويل ذلك اختلافاً».

وإذا كان سبب ضلال النصارى في الأصل هو الجهل، فلا يمنع أن يكون طراً عليهم في هذا الزمن مع الجهل العناد والإصرار. واتباع الهوى،

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٩٢-١٩٥، «المحرر الوجيز» ١: ٨٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ٨٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٧، ٥٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٢.

(٣) درج كثير من الكتاب المسلمين متأثرين بغيرهم من كتاب غير المسلمين على تسمية النصارى بالمسيحيين، وهذا خطأ لأن القرآن سماهم النصارى، ولم يسمهم المسيحيين، لأن المسيح منهم برىء.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٥) في «تفسيره» ١: ٥٩، وانظر: «فتح الباري» ٨: ١٥٩.

كما هو واقع الآن .

وكل من اليهود والنصارى مغضوب عليهم وضالون، وكذا كل من حاد عن منهج الله عن علم، أو عن جهل إلا أن أخص أوصاف اليهود الغضب، ومثلهم من ترك الحق بعد معرفته، وأخص أوصاف النصارى الضلال^(١) ومثلهم من عبد الله على جهل .

ولا يلزم من هذا أن لا يوجد من بين اليهود من هو جاهل ضال، ومن بين النصارى من هو عالم، ولا يمنع من هذا أن يكفر نصراني، وهو يعرف الإسلام كما يعرف ابنه وزوجته .

ولما كان اليهود تركوا الحق بعد معرفته، وكانوا أجراً على محارم الله - تعالى -، وأسى قلوباً كانوا أحق بوصف الغضب، وأولى بأن يقدم وصفهم على وصف النصارى الضالين مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكَ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَزُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢)

قال ابن القيم^(٣): «والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل، والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل، فكل منهما ضال مغضوب عليه، ولكن تارك الحق بعد معرفته أولى بوصف الغضب وأحق

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٩٥، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٨٠٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ٣٣-٣٤، وانظر «التفسير القيم» ص ١١، «بدائع الفوائد»

٢: ٢٩-٣٢، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٨.

به، ومن هنا كان اليهود أحق به، وهو متغلظ في حقهم . . . والجاهل بالحق أحق باسم الضلال، ومن هنا وصف النصارى به . . .».

وقد ذكر ابن القيم^(١) من الوجوه في تقديم المغضوب عليهم على الضالين أن اليهود متقدمون على النصارى من حيث الزمان، وأنهم كانوا هم الذين يلون النبي ﷺ من أهل الكتابين لأنهم كانوا في المدينة أما النصارى فكانت ديارهم نائية، ولأنه تقدم ذكر المنعم عليهم والغضب ضد الانعام والسورة هي السبع المثاني يذكر فيها الشيء وضده .

وكل من كان عنده علم فلم يعمل به، بل اتبع هواه، وجانب شرع الله عن علم وبصيرة ومعرفة ففيه شبه من اليهود، ومتوعد بالغضب بقدر معصيته، وله منه نصيب بقدر شبهه فيهم .

وكل من عبد الله على جهل وضلال - معذور بجهله - يه شبه من النصارى وموصوف بالضلال على قدر معصيته، وله نصيب منه بقدر شبهه فيهم . ولهذا كان السلف - رضي الله عنهم يقولون «من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى»^(٢) .

وما أكثر من تشبه باليهود وبالنصارى من هذه الأمة . وصدق المصطفى - ﷺ - حيث قال : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لا تبعتموهم . قلنا: يا رسول الله اليهود

(١) انظر «بدائع الفوائد» ٢: ٣٣ .

(٢) المصدر السابق ٢: ٣٢ .

والنصارى؟ قال: فمن متفق عليه^(١).

وقال - ﷺ -: «افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافتقرت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قلنا من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»^(٢).

ومما يدل على شمول الغضب لليهود وغيرهم، وشمول الضلال للنصارى وغيرهم أن الله توعد بالغضب في القرآن الكريم مرتكبي بعض الكبائر والكفرة والمنافقين والمشركين من هذه الأمة، ووصف كثيراً منهم بالضلال، كما وصفهم بذلك رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَمُتْ مَوْماً مُتَعَمِّداً فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفاً لِقُنَالٍ أَوْ مَتَحَرِّراً إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَضْبٌ مِنَ

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري: البخاري في الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل

الحديث ٣٤٥٦، ومسلم في العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى - الحديث ٢٦٦٩.

(٢) أخرجه أبو داود في السنة - باب شرح السنة - الحديث ٣٨٤٢ - ٤٥٩٦، والترمذي في

الإيمان - ماجاء في افتراق هذه الأمة الحديث ٢٦٤٠ وقال: «حديث صحيح»، وابن

ماجه في الفتن وافتراق الأمم الحديث ٣٢٢٥ - ٣٩٩١. قال الألباني: «حسن

صحيح».

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٦.

اللَّهِ ﴿١﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿٢﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنَّ السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ﴿٣﴾ .

وقال - ﷺ -: « من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان » متفق عليه ﴿٤﴾ .

وقال - ﷺ -: « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها بات الذي في السماء ساخطاً عليها » ﴿٥﴾ .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ﴿٦﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ ﴿٧﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ ﴿٨﴾ ، وقال تعالى:

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة النور، الآية: ٩.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٦.

(٤) أخرجه البخاري في الشهادات من حديث عبدالله بن مسعود الحديشان: ٢٦٦٦، ٢٦٦٧، ومسلم في الإيمان - الحديث ١٣٨.

(٥) أخرجه مسلم في النكاح - تحريم امتناعها من فراش زوجها - الحديث ١٤٣٦.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٨.

(٧) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٨) سورة النساء، الآية: ١١٣.

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٢) .

وقال ﷺ في حديث أبي بكرة : « ألا فلا ترجعوا بعدي ضلّالا يضرب بعضكم رقاب بعض » متفق عليه^(٣) .

قال ابن القيم^(٤) : « والغضب نتيجة فساد القصد ، والضلّال نتيجة فساد العلم ، فاعتلال القلوب ومرضها نتيجة لأحد هذين الفسادين ، وبالهداية للصرّاط المستقيم الشفاء من مرض الضلال ، وبالتحقّق بـ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ علماً ومعرفة وعملاً وحالاً الشفاء من مرض فساد القصد » .

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤ .

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٥ .

(٣) أخرجه البخاري في حديث طويل في خطبته ﷺ في حجة الوداع - في الأضاحي - الحديث ٥٥٥٠ ، ومسلم في القسامة - باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال - الحديث ١٦٧٩ .

(٤) «مدارج السالكين» ١: ٧٩-٨٠ بتصرف .

المبحث الثامن

ما يؤخذ من سورة الفاتحة من فوائد وأحكام

١- مشروعية الابتداء في بالبسملة في الكتب والرسائل والخطب والمواعظ ونحوها تأسيساً بكتاب الله تعالى، حيث ابتدأ عز وجل كتابه بها ومشروعية الاستفتاح بها عند قراءة أي سورة من سور القرآن، لأن الله افتتح بها سورة الفاتحة وغيرها من السور عدا سورة براءة فلا تشرع بالبسملة معها.

٢- مشروعية حمد الله - تبارك وتعالى - في افتتاح الكتب والرسائل والخطب والمواعظ ونحوها تأسيساً بكتاب الله - حيث افتتحه جل وعلا بالحمد.

٣- حمد الله - تعالى - لنفسه^(١)، وثناؤه عليها، وتمجيده لها، لما له من صفات الكمال. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وقد جاء هذا كثيراً في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾^(٣).

ولم يأذن في ذلك لأحد من خلقه، بل نهاهم في محكم كتابه

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٣٩، «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٢٣، «أحكام القرآن»

لابن العربي ١: ٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٥، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٠.

(٣) سورة الروم، الآية: ١٨.

فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(١) . وقال ﷺ: «احثوا في وجوه المداحين التراب»^(٢) وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله»^(٣) .

٤- أمر الله - تعالى - عباده أن يحمده ويثنوا عليه ويُمجِّدوه - لما له من صفات الكمال، وتعليمهم كيفية ذلك، لأن قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) وإن كانت هذه جملة خبرية، فهي متضمنة لمعنى الطلب^(٤) .

وهكذا جل الآيات التي حمد الله - تعالى - بها نفسه هي متضمنة تعليم عباده وأمرهم أن يحمده .

ولهذا رغب المصطفى - ﷺ - بالحمد لله . فعن أبي مالك قال: قال رسول الله - ﷺ - : «الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(٥) .

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢ .

(٢) أخرجه مسلم في الزهد من حديث المقداد بن الأسود - الحديث ٣٣٠٢ .

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء - الحديث ٣٤٤٥ .

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١: ٣٩، «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٢٣، «أحكام القرآن»

لابن العربي ١: ٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٥-١٣٦، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢ .

(٥) أخرجه مسلم في الطهارة - باب فضل الوضوء الحديث ٢٢٣ من حديث أبي مالك

الاشعري .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -:
 «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب
 الشربة فيحمده عليها»^(١).

٥- أن الوصف الكامل مستحق لله على الدوام، وفي جميع
 الأحوال لقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١﴾ فهي جملة اسمية
 تفيد الاستمرار والدوام والكمال فهو المحمود على الدوام وبكل حال
 كما قال تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾^(٢).

٦- في قوله تعالى: ﴿الحمد لله﴾ رد على الجبرية، الذين يقولون:
 إن الله جبر العبد على أفعاله، ومن ثم عاقبه عليها - تعالى الله عن قولهم
 علوا كبيرا، ووجه الرد عليهم: أن في إثبات حمده ووصفه بصفات
 الكمال ما يقتضي أنه لا يعاقب عباده على ما لا قدرة لهم عليه، ولا هو
 من فعلهم^(٣).

٧- أن الحمد لا ينبغي أن يكون إلا لمن هو أهل له، ولمقتضي
 لذلك، وإلا فهو زور وباطل، لأن الله لما حمد نفسه ذكر ما يقتضي
 ذلك، وأنه تعالى أهل لذلك لكونه - تعالى -: الله رب العالمين
 ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾.

(١) أخرجه مسلم في الذكر - باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب - الحديث
 ٢٧٣٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٠.

(٣) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٩١-٩٢.

(٤) انظر: «الكشاف» ٩: ١، «أنوار التنزيل» ٩: ١.

قال ابن القيم^(١) رحمه الله: «في ذكر هذه الأسماء بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونها ومعناها ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود ورب محمود، ورحمن محمود، وملك محمود، فله بذلك جميع أقسام الكمال، كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر..».

٨- يؤخذ من قوله - تعالى -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) الاقرار والاعتراف من العبد لله جل وعلا بالكمال من جميع الوجوه وبالفضل والإنعام والإحسان، والإقرار من العبد على نفسه بضعفه وفقره وحاجته إلى ربه في أمور دينه ودنياه. وهذا من أجل أنواع العبادة لله وأفضلها، بأن يعترف العبد لله بالكمال المطلق من جميع الوجوه، ويدخل على ربه من باب الذلة والانكسار، ولا يعجب بعمله. وهذا هو أصل معنى العبادة لله تعالى - كما تقدم. وقد كان هذا دأب الأنبياء والمرسلين والصالحين من أممهم يدعون ربهم متذللين خاضعين سائلين ربهم المغفرة. قال ﷺ: «أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(٣).

٩- إثبات توحيد الأسماء والصفات «توحيد العلم» لأن الله افتتح

(١) في «مدارج السالكين» ١: ٥٩-٦١، وانظر «التفسير القيم» ص ٣٤-٣٧. وانظر «الكلام عن مسألة السماع» ص ١٩٥-١٩٧.

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين - الحديث ٧٧١ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وانظر «أمراض القلوب وشفاؤها» لابن تيمية ص ١١-١٢.

السورة بقوله تعالى ﴿الحمد لله﴾ ومعناه - كما تقدم - وصفه تعالى بصفات الكمال، كما ذكر تعالى فيها خمسة من أسمائه، وهي «الله»، و«الرب» و«الرحمن» و«الرحيم» و«الملك» وهذه الأسماء دالة على بقية أسمائه تعالى، وكل منها يؤخذ منه إثبات صفة من صفاته - تعالى فاسمه - تعالى «الله» يدل على إثبات صفة الألوهية له - تبارك وتعالى، واسمه «الرب» يدل على إثبات صفة الربوبية العامة له تعالى صفة ذاتية له تعالى وصفة فعلية، واسمائه «الرحمن» «الرحيم» يدل الأول على إثبات صفة الرحمة الذاتية له - تعالى ويدل الثاني «على إثبات صفة الرحمة الفعلية له عز وجل» كما قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٢) على القراءتين يدل على أنه مالك يوم الدين ومليكه.

وأن من صفاته تعالى الذاتية والفعلية أنه مالك، وملك يوم الدين. كما يدل قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ على إثبات صفة الغضب له - تعالى -، كما يليق بجلاله وعظمته. وفي إثبات أسمائه تعالى وصفاته رد على نفاتها من المعطلة وغيرهم.

وقد ذكر ابن القيم^(٢) - رحمه الله - اشتمال الفاتحة على أنواع التوحيد الثلاثة ثم ذكر أنه دلّ من هذه السورة على توحيد الأسماء والصفات شيثان مجمل ومفصل، قال: «أما المجمل فإثبات الحمد له

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢١.

(٢) انظر «مدارج السالكين» ١: ٤٨-٥٩، وانظر: «التفسير القيم» ص ٢٦-٣٥، ٥٥.

سبحانه، وأما المفصل فذكر صفة الإلهية والربوبية والرحمة والملك، وعلى هذه مدار الأسماء والصفات. فأما تضمن الحمد لذلك، فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله، مع محبته، والخضوع له، فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له، وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها، ولهذا كان الحمد كله لله حمداً لا يحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها. ثم ذكر دلالة هذه الأسماء الخمسة وغيرها من أسمائه تعالى على إثبات الذات والصفات له جلا وعلا ثم بين دلالة اسمه تعالى «الله» على جميع أسمائه الحسنی وصفاته العلیا، ولهذا تضاف إليه جميع أسمائه كما قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾^(١)، ثم ذكر ما هو أخص من الصفات بكل اسم من هذه الأسماء.

١٠- إثبات توحيد الألوهية، «توحيد العبادة» يؤخذ من اسمه - تعالى: ﴿الله﴾ لأن معناه كما تقدم: المألوه المعبود محبة وتعظيماً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢): «والله هو الإله المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة، ولهذا يقال: الله أكبر، والحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله، كما يؤخذ توحيد العبادة من قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كما سيأتي - إن شاء الله.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) في «مجموع الفتاوى» ١٤: ١٢.

١١- إثبات توحيد الربوبية بقسميه العام لجميع الخلق، والخاص بأولياء الله - تعالى - لقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ فهو تعالى رب جميع الخلق خالقهم ومالكهم والمتصرف فيهم ومربيهم بجميع النعم، وفي هذا رد على الملحدين الذين ينكرون وجود الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. إذ إن كل ما في الكون من المخلوقات دليل على وجوده وكماله في ذاته وصفاته، كما قيل:

فواعجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
بل إنه تعالى دليل على كل شيء، ولهذا قالت الرسل لأممهم:
﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢): «كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء»، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:
وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتساج النهار إلى دليل
وهو تعالى مرب لأوليائه المتقين وحزبه المفلقين تربية خاصة بتوفيقهم للإيمان والعمل الصالح، ودفع الصوارف عنهم مما يبعث في قلوبهم الطمأنينة إلى رعاية الله الدائمة وربوبيته القائمة وحفظه الذي لا

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

(٢) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٨٧.

يغيب (١)

وإذا ثبتت الربوبية صفة عامة له تبارك وتعالى صفة ذاتية، وصفة فعلية وجب توجه جميع الخلق إليه في جميع حوائجهم، وفي جميع عباداتهم لأن من لازم ربوبيته لجميع خلقه، أن يكون هو الإله المعبود، لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، كما أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، ولهذا لما قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أتبع ذلك بوصفه تعالى بقوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) إشارة إلى أن المستحق للعبادة هو المتفرد بالربوبية والملك والخلق والتدبير، وعلى هذا فما دل من السورة على إثبات توحيد الألوهية ففيه دلالة بالتضمن على توحيد الربوبية، وما دل منها على توحيد الربوبية ففيه دلالة بالالتزام على توحيد الألوهية كما أن في إثبات ربوبيته رداً على المشركين معه في إلهيته الذي يعبدون غيره مع إقرارهم بربوبيته. كما أن في إثبات ربوبيته للعالمين دليلاً على مباينته لخلقته بذاته، وربوبيته وصفاته وأفعاله، وفي هذا رد على من نفى مباينته لخلقته. كما أن في إثبات ربوبيته أيضاً رداً على أهل الإشراك في ربوبيته من المجوس والقدرية وغيرهم الذين يثبتون مع الله خالقاً آخر. فالقدرية المجوسية يقولون: العبد يخلق فعل نفسه، فلا تدخل أفعالهم تحت ربوبيته - تعالى الله عن ذلك (٢).

(١) انظر: «في ظلال القرآن» ١: ١٨.

(٢) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٤٨، ٨٦-٩٠، «التفسير القيم» ص ٤٩-٥٣.

١٢- إثبات علم الله تعالى الشامل، وقدرته التامة من قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) إذ إن مقتضى ربوبيته للعالمين وخلقهم لهم أن يكون عالماً بهم وبأحوالهم، وأن يكون ذا قدرة تامة نافذة فيهم، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١).

١٣- إثبات أنه تعالى الأول بلا بداية لأن قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) معناه أنه خالقهم وموجدهم من العدم بعد أن لم يكونوا شيئاً كما قال - تعالى - : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (٢) أي قد أتى على الإنسان. وهذا يدل على أنه تعالى هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية كما قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣).

١٤- أن الأحق بالمسألة والاستعانة والمسألة هو اسم «الرب» لأن من معانيه المرابي الخالق المالك الرازق المدبر الناصر الهادي.

ولهذا كان جل دعاء الأنبياء والصالحين وسؤالهم بهذا الاسم (٤).

كما قال الأبوان عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٥).

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ١.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٤) انظر: «دقائق التفسير» ١: ١٧٦-١٧٧، «تيسير الكريم الرحمن» ١: ٣٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

وقال نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ (١)

وقال الخليل عليه السلام: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي
رَبَّنَا وَقَبَلْ دُعَاءَ ﴿١١٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ﴾ (٢)

وقال موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ
إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣)

وقال عيسى عليه السلام: ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ
لَنَا عِيدًا لِأَوْلَادِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٤)

وقال تعالى لبينا محمد ﷺ: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ (٥)

وقال نبينا محمد - ﷺ -: «اللهم أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي
واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» (٦)
وذكر الله عن المؤمنين قولهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا

(١) سورة نوح، الآية: ٢٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠-٤١.

(٣) سورة القصص، الآية: ١٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٤.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٠.

(٦) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين الحديث ٧٧١ من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه.

وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ (١).

وقولهم: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ (٢). ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (٣) رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ (٤).

١٥- في قوله: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إشارة إلى تساوي الخلق في الربوبية العامة التي بمعنى الخلق والملك والتدبير. وهذا يدل على أن البشر تجمعهم الربوبية فربهم واحد كما أن أباهم واحد، لا فخر لجنس على جنس إلا بالتقوى (٤).

وفي هذا رد على من يفتخر بحسبه ونسبه. كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى ﴾ (٥).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية^(٦) الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٧.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٣-١٩٤.

(٤) انظر: «الأركان الأربعة» للندوي ص ٣٩.

(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٦) عبية الجاهلية: أي تكبرها.

تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان، التي تدفع بأنفها التتن»^(١).

١٦- في إثبات حمده وربوبيته للعالمين وتوحيده رد على من قال بقدوم العالم فإن في إثبات حمده ما يقتضي ثبوت أفعاله الاختيارية، والفعل متأخر عن فاعله وفي إثبات ربوبيته للعالمين ما يقتضي أن كل ما سواه مربوب مخلوق بالضرورة، وكل مخلوق حادث بعد أن لم يكن، وفي إثبات توحيده ما يقتضي عدم مشاركة شيء من العالم له في خصائص الربوبية، والقدرة من خصائص الربوبية، فالتوحيد ينفي ثبوته لغيره ضرورة، كما ينفي ثبوت الربوبية والإلهية لغيره^(٢).

١٧- في إثبات رحمته - تعالى - ورحمانيته رد على الجبرية في أن الله يعاقب العبد على ما لا قدرة له عليه، ولا هو من فعله، بل يكلفه ما لا يطيق ثم يعاقبه عليه. وهذا باطل فإن في ثبوت رحمته ورحمانيته ما يقتضي أنه تعالى - لا يكلف العبد ما لا قدرة له عليه، ولا يعاقبه بما ليس من فعله، وما لا قدرة له عليه^(٣)، بل إنه تعالى - برحمته يعفو حتى عن بعض ما فعله العبد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن

(١) أخرجه أبو داود في الأدب - باب التفاخر بالأحساب - الحديث ٥١١٦، والترمذي في المناقب - باب فضل الشام واليمن - الحديث ٣٩٥٥، وأحمد ٣٦١: ٢، ٥٢٤، وقال

الترمذي «حسن غريب»، ونُقل عن المنذري تصحيحه، و«حسنه الألباني».

(٢) انظر: «مدارج السالكين» ٩٦-٩٧، «التفسير القيم» ص ٦٢.

(٣) انظر: «مدارج السالكين» ٩٢: ١.

مُصِيبَةً فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ (١).

١٨- إثبات يوم القيامة، والرد على من أنكر البعث والمعاد الجسماني والتأكيد على أنه محقق الوقوع، ولهذا جعله كالموجود القائم في الحال فقال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٢) وخصه بالذكر مع أنه تعالى مالك الدنيا والآخرة معا لانقطاع أملاك الخلائق كلها في ذلك اليوم، ولعظم ذلك اليوم كما قال تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ (٣).

١٩- يؤخذ من قوله - تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤) الدلالة على أن الملك الحقيقي لله جل وعلا يظهر في ذلك اليوم إذ تنقطع جميع الأملاك سوى ملكه جل وعلا، وأن كل ملك دون ذلك الملك فهو حقير زائل، وأن الدنيا بما فيها من أملاك لا تساوي شيئا بالنسبة للآخرة، وأنها بما فيها من أيام لا تعد شيئا بالنسبة ليوم الدين يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٦) (٤)، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ (٥).

٢٠- إثبات محاسبة الله للعباد ومجازاته لهم على أعمالهم بالعدل، لقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٦) والدين معناه الجزاء بالعدل:

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٢) سورة البروج، الآية: ٢.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٦.

(٤) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٥) سورة النبا، الآية: ٣٩.

أي كما تدين تدان، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، كما قال تعالى:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ (١).

٢١- إثبات كتابة الأعمال وتدوينها وإحصائها، لأن المجازاة عليها تقتضي ذلك، إذ كيف يدان عليها ويجازي إلا بعد إحصائها، كما قال تعالى:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢)، وقال تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ تُكِيدُونَ بِالَّذِينَ ﴿١﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿٢﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿٣﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٣).

٢٢- الحث على الاستعداد ليوم الدين بالإيمان والعمل الصالح، والتحذير من الكفر والمعاصي.

٢٣- في تقديم قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ على قوله ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ إشارة إلى أن رحمته تعالى سبقت غضبه، كما جاء في الحديث «إن رحمتي سبقت غضبي» (٤) يؤيد ذلك تكرار ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ في البسملة والفاتحة. وهذا مما يبعث في قلب المؤمن الطمأنينة، فيلهج بالحمد والثناء لربه الرحمن الرحيم.

وعلى هذا فينبغي للعلماء وطلبة العلم والدعاة إلى الله أن يقدموا

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٢) سورة ق، الآية: ١٨.

(٣) سورة الانشقاق، الآيات: ٩-١٢.

(٤) أخرجه البخاري في بدء الخلق - الحديث ٣١٩٤ من حديث أبي هريرة، وكذا مسلم في التوبة - باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه الحديث ٢٧٥١.

للناس الترغيب برحمة الله والتبشير بها قبل التهيب من عقوبته، بل ينبغي أن يعطى الكلام عن رحمة الله عناية أكثر لأن رحمته تعالى سبقت غضبه، لكن لا ينسى التهيب من عقوبته، ولكل مقام مقال.

٢٤- الجمع بين الترغيب والتهيب^(١) يؤخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فهذا ترغيب، ثم قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وهذا تهيب كما قال تعالى: ﴿نَبِيٍّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»^(٥).

والغرض من الترغيب والتهيب في القرآن والسنة ليسير المسلم إلى ربه بين الرغبة والرغبة، وبين الخوف والرجاء، فلا يغلب جانب أحدهما على الآخر فيهلك.

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٣٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٠.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩-٥٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧.

(٤) سورة غافر، الآية: ٣.

(٥) أخرجه مسلم في التوبة - باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه الحديث

٢٥- في قوله ﴿إِيَّاكَ﴾ رد على الملاحدة والذهرية المنكرين لوجود الله، لأن هذا خطاب لموجود، بل لموجود حاضر^(١) بعلمه وإحاطته مع كل المخلوقات كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾^(٢)، وهو مع عباده المتقين بعونه ونصره وتأييده كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٣).

٢٦- في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بعد الآيات قبله انتقال من الغيبة إلى الخطاب لأجل تنبيه القارئ والمستمع وهذا يدل على أنه يحسن الانتقال في الكلام أحياناً والالتفات فيه لأجل تنبيه القارئ والمستمع كما أنه أبعث على النشاط، وأدعى للإصغاء.

٢٧- دل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على إثبات نوع من أنواع العبودية وهي العبودية الخاصة وهي عبودية الطاعة والمحبة، واتباع الأوامر^(٤) كما قال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا حَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(٥) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ^(٦).

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ^(٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ^(٨)﴾^(٩).

(١) انظر: «البحر المحيط» ١: ٢٥.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٤) انظر «مدارج السالكين» ١: ١٣١-١٣٣.

(٥) سورة الزخرف، الآيتان: ٦٨-٦٩.

(٦) سورة الزمر، الآيتان: ١٧-١٨.

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٢).

وقال تعالى عن إبليس: ﴿وَأَغْوَيْتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ^(٤).

فهؤلاء أهل طاعته تعالى وولايته، وهم عبيد إلهيته الذين خضعوا له وذلوا طوعاً واختياراً لأمره ونهيه، ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه - تعالى - مطلقاً إلا لهؤلاء. وهم ومن عداهم من الخلق يجتمعون في العبودية العامة: عبودية الربوبية: الخلق والملك والتدبير والقهر والخضوع له قهراً ورجماً فهذه تشمل المؤمن والكافر. قال تعالى:

﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾^(٦). فسامهم عباده مع ضلالهم تسمية مقيدة بالإشارة. وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٧). وقال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾^(٨).

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٣٩-٤٠.

(٤) سورة مريم، الآية: ٩٣.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ١٧.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٤٦.

﴿(١) . وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾﴾ (٢)

وقد ذكر ابن القيم (٣) رحمه الله: مراتب (إياك نعبد) علماً وعملاً فقال: «فأما مراتبها العلمية فمربتان:

إحداهما: العلم بالله. والثانية: العلم بدينه.

فأما العلم به سبحانه فخمس مراتب: العلم بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتنزيهه عما لا يليق به.

والعلم بدينه مرتبتان: إحداهما: دينه الأمرى الشرعى، وهو الصراط المستقيم الموصل إليه. والثانية دينه الجزائى، المتضمن ثوابه وعقابه. وقد دخل في هذا العلم بملائكته وكتبه ورسله.

وأما مراتبها العملية فمربتان: مرتبة لأصحاب اليمين، ومرتبة للسابقين المقربين.

فأما مرتبة أصحاب اليمين فأداء الواجبات، وترك المحرمات، مع ارتكاب المباحات وبعض المكروهات، وترك بعض المستحبات.

وأما مرتبة المقربين: فالقيام بالواجبات والمندوبات، وترك المحرمات والمكروهات زاهدين فيما لا ينفعهم في معادهم، متورعين عما يخافون ضرره. وخاصتهم قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنية، فليس في حقهم مباح مساوي الطرفين، بل كل أعمالهم

(١) سورة غافر، الآية: ٣١.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٨.

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ١٣٤-١٣٥، وانظر: «التفسير القيم» ص ٩٨-٩٩.

راجحة، ومن دونهم يترك المباحات مشتغلاً عنها بالعبادات، وهؤلاء يأتونها طاعات وقربات، ولأهل هاتين المرتبتين درجات لا يحصيها إلا الله .

كما ذكر ابن القيم - رحمه الله^(١) - أن لأهل مقام (إياك نعبد) وهم أهل هذه العبودية الخاصة - في أفضل العبادة وأنفعها طرقاً أربعة، فهم في ذلك أربعة أصناف: صنف عندهم أنفع العبادات وأفضلها أعظمها مشقة على النفوس، قالوا: والأجر على قدر المشقة.

والصنف الثاني قالوا: أفضل العبادات التجرد والزهد في الدنيا، وعدم الاكتراث بكل ما هو منها.

والصنف الثالث: رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها ما فيه نفع متعدد كخدمة الفقراء الاشتغال بمصالح الناس.

والصنف الرابع: قالوا أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن والأفضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.

(١) انظر: «مدارج السالكين» ١: ١١٠-١١٥.

ثم ذكر رحمه الله^(١) اختلاف الناس في حكمة العبادة وفائدتها وأنهم في ذلك أربعة أصناف أيضاً الصنف الأول نفاة الحِكم والتعليل الذين يردون الأمر إلى محض المشيئة وصرف الارادة، والصنف الثاني القدرية النفاة الذين يثبتون نوعاً من الحكمة والتعليل لكنه لا يقوم بالرب ولا يرجع إليه بل يرجع إلى مجرد مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم أن العبادات شرعت أثماناً لما يناله العبد من الثواب العظيم كأجرة الأجير. والصنف الثالث زعموا أن حكمة العبادة ومصلحتها رياضة النفوس من الصوفية والفلاسفة، والصنف الرابع الطائفة الإبراهيمية المحمدية العارفون بالله وحكمته في أمره وشرعه وخلقه وأهل البصائر في عبادته ومراده بها.

٢٨- وجوب إخلاص العبادة لله تعالى بجميع أنواعها اعتقاداً وقولاً وعملاً، والبراءة من الشرك ووسائله، ومن الحول والقوة - لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥٦﴾ ففي تقديم المفعول في الموضوعين وفي تكراره، مع ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ما يؤكد تخصيصه جل وعلا بالعبادة والاستعانة والدعوة إلى عبادة الله وتخصيصه بجميع أنواع العبادة من الاستعانة وغيرها. وهي أساس دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم. قال نوح عليه السلام: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ﴾ ﴿٢١﴾، وكذلك قال هود^(٣)

(١) انظر: «المصدر السابق» ١: ١١٥-١٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٩، وسورة المؤمنون، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٦٥، وسورة هود، الآية: ٥٠.

وصالح^(١) وشعيب^(٢) وإبراهيم^(٣) عليهم السلام. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٦) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٦).

وقد قرن الله بين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ و ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأن في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تحقيق الألوهية وإبطالاً للشرك فيها، وفي قوله: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تحقيق الربوبية، وإبطالاً للشرك فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٧): «وكل واحد من العبادة والاستعانة دعاء، وإذا كان الله قد فرض علينا أن نناجيه، وندعوه بهاتين الكلمتين في كل صلاة، فمعلوم أن ذلك يقتضي أنه فرض علينا أن نعبده وأن

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٣، وسورة هود، الآية: ٦١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٥، وسورة هود، الآية: ٨٤.

(٣) كما قال تعالى في سورة العنكبوت ﴿وَإِذْ هَبَّ سَيْفُ اللَّهِ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الآية: ١٦.

وانظر: «مدارج السالكين» ١: ١٢٧، «طريق المهجرتين» ص ٦٧.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٦) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥١-٥٢.

(٧) في «مجموع الفتاوى» ٨: ١٤، وانظر «مدارج السالكين» ١: ٩٩-١٠٠، «تفسير ابن كثير» ١: ٥٢، «الأركان الأربعة» ص ٤٠.

نستعينه، إذ إيجاب القول الذي هو إقرار واعتراف ودعاء وسؤال هو إيجاب لمعناه...».

ثم ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) أن الإنسان بين هذين الواجبين لا يخلو من أحوال أربعة هي القسمة: إما أن يأتي بهما جميعاً، وإما أن يأتي بالعبادة فقط، وإما أن يأتي بالاستعانة فقط، وإما أن يتركهما جميعاً.

٢٩- دل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على أن العبد لا ينفك عن العبودية حتى الموت كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٢) أي حتى يأتيك الموت، ولهذا قال الله عن أهل النار إنهم يقولون: ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾^(٣) أي الموت. وهذا بإجماع المفسرين المعتمدين.

وفي الحديث الصحيح في قصة موت عثمان بن مظعون - رضي الله عنه -: أن النبي - ﷺ - قال: «أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه»^(٤): أي الموت وما فيه.

وفي هذا رد على الخرافيين من الصوفية الذين يزعمون أن الواحد

(١) «مجموع الفتاوى» ١٤: ٨، ١٧: ٣٦، وانظر: ١: ٣٦، وانظر «مدارج السالكين» ١٠٣: ١٠٧.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٤٦-٤٧.

(٤) أخرجه البخاري في الخائز - الحديث ١٢٤٣، وفي مناقب الأنصار الحديث ٣٩٢٩ من حديث أم العلاء.

منهم قد يصل إلى مقام يسقط عنه التعب والتكليف. ويفسرون اليقين في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿١٩٧﴾ بأنه وصول المرء إلى أعلى المقامات، وهو سقوط التكليف، وكونه لا يسأل عما يفعل.

قال ابن القيم^(١) - رحمه الله -: «فلا ينفك العبد من العبودية ما دام في دار التكليف، بل عليه في البرزخ عبودية أخرى لَمَّا يسأله الملكان: «من كان يعبد؟ وما يقوله في رسول الله - ﷺ - ويلتمسان منه الجواب. وعليه عبودية أخرى يوم القيامة يوم يدعو الله الخلق كلهم إلى السجود، فيسجد المؤمنون، ويبقى الكفار والمنافقون، لا يستطيعون السجود، فإذا دخلوا دار الثواب والعقاب انقطع التكليف هناك، وصارت عبودية أهل الثواب تسيحاً مقروناً بأنفاسهم، لا يجدون له تعباً ولا نصباً. ومن زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعب فهو زنديق كافر بالله وبرسوله، وإنما وصل إلى مقام الكفر بالله، والانسلاخ من دينه، بل وكلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم والواجب عليه منها أكبر وأكبر من الواجب على من دونه، ولهذا كان الواجب على رسول الله - ﷺ -، بل على جميع الرسل أعظم من الواجب على أممهم، والواجب على أولي العزم أعظم من الواجب على من دونهم، والواجب على أولي العلم أعظم من الواجب على من دونهم، وكل أحد بحسب مرتبته».

٣٠- حاجة جميع الخلق إلى عون الله - تعالى، وإمداده، وافتقار

(١) في «مدارج السالكين» ١: ١٣٠-١٣١، وانظر «التفسير القيم» ص ٩٤-٩٥.

جميع الخلق إليه في جميع أمورهم الدينية والدينية لقوله - تعالى: ﴿وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وكما جاء في الدعاء «اللهم لا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين»^(١).

فالعبد دائماً وأبداً في حاجة إلى عون الله - تعالى وإمداده، وكما قيل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

٣١- تقديم حقه تعالى على حق العبد، وتقديم العام على الخاص، والغاية على الوسيلة، والأهم على المهم لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

٣٢- لما كانت عبادة الله تعالى هي أشرف مقام يصل إليه العبد أتبع قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بقوله ﴿وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لثلاث يتعاضم المرء في نفسه ويدخله العجب بعبادته، وليعلم أن ما حصل له من التذلل لربه والخضوع له إنما هو بعون الله وتوفيقه.

٣٣- دل قوله - تعالى: ﴿وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على إثبات القدر، وأن الله فاعل حقيقة، وإبطال قول القدرية الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه. فإن استعانتهم به إنما تكون على شيء هو بيده، وتحت قدرته ومشيتته، فلو كان بيدهم الفعل فكيف يستعينون على إيجاده بمن ليس ذلك الفعل بيده^(٢).

(١) أخرجه أحمد ٥: ٤٢ دون «ولا إلى أحد من خلقك».

(٢) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٩٠، «التفسير القيم» ص ٥٤، «شفاء العليل» ص ٥٢-٥٣، =

٣٤- في نسبة العبادة والاستعانة إلى العباد في قوله (نعبد) و(نستعين) دليل على أن ذلك من فعلهم، وأن لهم على ذلك قدرة واختياراً ومشية، وأن العبد حقيقة هو العابد والمستعين، والله هو المعبود والمستعان به، وفي ذلك إبطال لقول الجبرية الذين يقولون إن العبد مجبور على أفعاله^(١). قال بعض السلف من أقرب - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقد برىء من الجبر والقدر^(٢).

٣٥- في تقديم قوله - تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ على قوله ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ دلالة على أن من آداب الدعاء والسؤال أن يقدم السائل بين يدي سؤاله ما يكون سبباً للإجابة من حمد الله والثناء عليه وتمجيده، وإعلان إخلاص العبادة له، والاستعانة به، والبراءة من الشرك ومن الحول والقوة، ثم يسأل حاجته الدينية أو الدنيوية^(٣).

ومثل ذلك أن يقدم بين يدي سؤاله الاعتراف بالخطأ والذنب كما قال الأبوان ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

= «البحر المحيط» ١: ٢٥.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١: ١٦٢-١٦٣، ١٦٨، «مدارج السالكين» ١: ٩٢، «التفسير

القيم» ص ٥٦، «البحر المحيط» ١: ٢٥.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٥.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٢٣.

الْخَيْرِينَ ﴿٢٣﴾ (١)

وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ (٢)

وقال ذو النون: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣). ومثل ذلك إعلان السائل شدة حاجته، كما قال

موسى عليه السلام ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٤) ويتفرع عن هذه الفائدة أنه ينبغي عندما يتقدم الإنسان إلى شخص يسأله حاجة مما هو عليه قادر أن يقدم بين يدي سؤاله ما يكون سبباً للإجابة كالثناء عليه والدعاء له وذكر السائل شدة حاجته. قال الشاعر:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء (٥)

قال ابن القيم (٦): «ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب: علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم. توصل إليه بأسمائه وصفاته، وتوصل إليه بعبوديته. وهاتان الوسيلتان، لا يكاد يرد

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٤) سورة القصص، الآية: ٢٤.

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٥٤.

(٦) في «مدارج السالكين» ١: ٤٦-٤٧، وانظر «التفسير القيم» ص ٢٣-٢٤.

معهما الدعاء، ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الأعظم...

أحدهما: حديث بريدة قال: «سمع النبي - ﷺ - رجلاً يدعو، ويقول: اللهم أسألك بأنني أشهد أنك الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. فقال: «والذي نفسي بيده، لقد سألت الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعيت به أجاب وإذا سئل به أعطى»^(١).

والثاني: حديث أنس أن رسول الله - ﷺ - سمع رجلاً يدعو: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال: «لقد سألت الله باسمه الأعظم»^(٢).

ففي هذين الحديثين توسل إلى الله بتوحيده وأسمائه وصفاته.

قال ابن القيم^(٣): «وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين، وهما: التوسل

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة - باب الدعاء الحديث ١٤٩٣، والنسائي في الصلاة، باب الدعاء الحديث ١٣٢٤، والترمذي في الدعوات باب جامع الدعوات الحديث ٣٤٧٥، وابن ماجه في الدعاء، باب اسم الله الأعظم، الحديث ٣٨٥٧، وأحمد ٥: ٣٤٩، وابن حبان ٨٨٨، ٨٨٩، والحاكم ١: ٥٠٤ وصححه ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود في الباب السابق الحديث ١٤٩٥، والنسائي في الباب السابق الحديث ١٣٢٦، وابن ماجه في الباب السابق الحديث ٣٨٥٨، وأحمد ٣: ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥، وابن حبان الحديث ٨٩٠، والحاكم ١: ٥٠٣-٥٠٤، وصححه ووافقه الذهبي وكذا صححه الألباني.

(٣) في: «مدارج السالكين» ١: ٤٦-٤٧.

بالحمد والثناء عليه وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده. ثم جاء سؤال أهم المطالب، وأنجح الرغائب - وهو الهداية - بعد الوسيلتين. فالداعي به حقيق بالإجابة.

٣٦- وجوب دعاء الله والتضرع إليه، وسؤاله الهداية، التي هي أجل المطالب لقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي اهدنا إليه وفيه، وذلك بالتوفيق إلى سلوك طريق الإيمان، دون سواه، وإلى فعل التفاصيل الدينية بامثال الأوامر واجتناب النواهي، فالعبد في كل لحظة وعند أي عمل في حاجة أن يوفقه الله ويهديه إلى الصراط المستقيم ويهديه فيه، ولولا هداية الله وعونه وتوفيقه للعبد لانقطعت به الأسباب، وضل عن جادة الصواب، فحاجة العبد إلى سؤال الله هذه الهداية ضرورية لسعادته وفلاحه في الدنيا والآخرة أشد من حاجته إلى الرزق والطعام والشراب وغير ذلك^(١).

٣٧- في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ رد على القدرية المجوسية القائلين بأن العبد يخلق فعل نفسه، ولو كان يخلق فعل نفسه ما كان في حاجة إلى أن يسأل الهداية^(٢).

٣٨- أن الهدى الحقيقي الصحيح هو ما جاء عن الله - تعالى لقوله ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فمن التمس الهدى من غير الله، فهو

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ٣٩: ١٤، ١٧: ١٣١-١٣٢، ٨: ٢١٥-٢١٦، «بدائع الفوائد» ١٨: ٢.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٤٩.

على ضلال كمن يحتكم إلى القوانين الوضعية التي وضعها البشر،
 وصدق الله العظيم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١).

٣٩- مشروعية دعاء المسلم لإخوانه المسلمين حين يدعو لنفسه
 يؤخذ هذا من التعبير بضمير الجمع في قوله: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
 الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٢). وفي هذا، وفي قوله قبله ﴿ نعبدك ﴾ و ﴿ نستعينك ﴾
 إشارة إلى فضل الجماعة (٣). كما أن في الآيتان بضمير الجمع فيهما
 تعظيماً لله تعالى وثناء عليه بسعة مجده وكثرة عبيده وكثرة سائليه (٤).

٤٠- ربط الأعمال ونجاحها بأسبابها، وربط الأسباب بمسبباتها
 يؤخذ هذا من قوله: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾. فبهداية الله
 للعبد وتوفيقه له يسلك الطريق المستقيم فيعرف الحق ويعمل به.

٤١- أن صراط الله والطريق الموصل إليه عدل مستقيم لا اعوجاج
 فيه وهو الإيمان بالله تعالى - ومعرفة الحق والعمل به والعلم النافع
 والعمل الصالح، وهو المؤدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة، بخلاف
 طرق الباطل فهي ملتوية معوجة، وتؤول بصاحبها إلى الشقاء والهلاك
 في الدنيا والآخرة.

٤٢- يؤخذ من قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أَهْدِنَا
 الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ بعد قوله في أول السورة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٥٣.

(٣) انظر: «تأملات في سورة الفاتحة» ص ٩١-٩٩.

(٤) انظر: «بدائع الفوائد» ٢: ٣٩.

الْعَلَمِينَ ﴿٦﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ أن من كانت هذه صفته لم يكن أحد أحق منه بالعبادة والاستعانة وطلب الهداية.

٤٣- أن الصراط المستقيم الذي يسأل العبد ربه الهداية إليه هو صراط الذين أنعم عليهم بطاعته تعالى، وطاعة رسوله - ﷺ - فإنعم به من طريق، وأكرم بها من نعمة. قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿١١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٦﴾﴾ (١). وقد أضاف سبحانه وتعالى الصراط إلى الاسم الموصول في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾﴾ ليعم السؤال الهداية إلى صراط جميع المنعم عليهم بجميع تفاصيله (٢).

٤٤- أن الهداية للطريق المستقيم بالإيمان بالله والعمل الصالح هي أعظم نعمة على العبد ولا تنال إلا بإنعام الله وتوفيقه للعبد، قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وقال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴿٣﴾﴾. فمن وفق ورزق هذه النعمة، وهي نعمة الإيمان بالله فهو الموفق، وإن فاته ما دونها من النعم، ومن حرمها ولم يُوفَّق لها فهذا هو الخاسر المغبون وإن حصل له شيء مما دونها من النعم،

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩-٧٠.

(٢) انظر: «بدائع الفوائد» ٢: ١٧-١٨.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

بل إن التوفيق لهذه النعمة سبب للتوفيق لما دونها من النعم، وإن حرمانها سبب وعلامة على حرمان ما دونها من النعم.

وهذه هي النعمة المطلقة التي بها سعادة المرء في الدنيا والآخرة، وهي التي خص الله بها أوليائه، أما مطلق النعمة فهو عام لهم ولغيرهم.

قال ابن القيم^(١) - رحمه الله -: «وفي تخصيصه لأهل الصراط المستقيم بالنعمة ما دل على أن النعمة المطلقة هي الموجبة للفلاح الدائم، وأما مطلق النعمة فعلى المؤمن والكافر، فكل الخلق في نعمة، فهذا فصل النزاع، في مسألة هل لله على الكافر نعمة أم لا؟. فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان، ومطلق النعمة تكون للمؤمن والكافر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٢). والنعمة من جنس الإحسان، بل هي الإحسان، والرب تعالى إحسانه على البر والفاجر والمؤمن والكافر، وأما الإحسان المطلق فللذين اتقوا والذين هم محسنون».

٤٥- في قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مبنياً للفاعل الاستعطاف بنسبة النعم إلى الله والاعتراف بنعمه السابقة على العباد، فكأنه يقول أسألك يارب الهداية ياسابق الإنعام والفضل والإحسان، كما في الدعاء

(١) في «مدارج السالكين» ١: ٣٥، وانظر: «التفسير القيم» ص ١٢، «بدائع الفوائد» ٢٢: ٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

«اللهم اهدني فيمن هديت»^(١).

٤٦- التنويه بعلو شأن المنعم عليهم وفضلهم ورفع قدرهم، وعلو درجاتهم يؤخذ هذا من قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ.

٤٧- الترغيب بسلوك الطريق المستقيم ببيان الرفقة فيه وسالكيه وأنعم بهم من رفقة.

قال ابن القيم^(٢): «ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمرٍ أكثرُ الناس ناكبون عنه مريداً لسلوك طريق مرافقه فيها في غاية القلة والعزّة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد وعلى الأُنس بالرفيق نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣) فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم، ليزول عن الطالب للهداية، وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم، فلا يكثر بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قدرا، وإن كانوا الأكثرين عدداً، كما قال بعض السلف: «عليك بطريق الحق،

(١) أخرجه من حديث الحسن بن علي أبو داود في الصلاة، القنوت في الوتر الحديث ١٤٢٥، والنسائي في قيام الليل، الحديث ١٦٤٧، وابن ماجه - ماجه في الوتر الحديث ١١٧٨، وأحمد ١: ١٩٩ وهو حديث صحيح.

(٢) في «مدارج السالكين» ١: ٤٤-٤٥ وانظر «التفسير القيم» ص ٢١.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

ولا تستوحش لقله السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين» وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك.

وقد ضربت لذلك مثلين، فليكونا منك على بال:

المثل الأول: رجل خرج من بيته إلى الصلاة، لا يريد غيرها. فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الإنس، فألقى عليه كلاماً يؤذيه، فوقف ورد عليه، وتماسكا. فربما كان شيطان الإنس أقوى منه، فقهره، ومنعه عن الوصول إلى المسجد، حتى فاتته الصلاة. وربما كان الرجل أقوى من شيطان الإنس، ولكن اشتغل بمهاوشته عن الصف الأول، وكمال إدراك الجماعة. فإن التفت إليه أطمعه في نفسه، وربما فترت عزيمته. فإن كان له معرفة وعلم زاد في السعي والجمز^(١)، بقدر التفاته أو أكثر. فإن أعرض عنه، واشتغل بما هو بصدده، وخاف فوت الصلاة أو الوقت: لم يبلغ عدوه منه ما شاء.

المثل الثاني: الظبي أشد سعياً من الكلب، ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعيه. فيدرکه الكلب، فيأخذه.

والقصد أن في ذكر هذا الرفيق: ما يزيل وحشة التفرد، ويحث على السير والتشمير للحاق بهم، وهذه إحدى الفوائد في دعاء القنوت

(١) الجمز: سرعة السير والعدو - انظر «اللسان» مادة «جمز».

«اللهم اهدني فيمن هديت^(١)»: أي أدخلني في هذه الزمرة، واجعلني رفيقاً لهم ومعهم...».

٤٨- أن طريق الحق واحد، ولهذا ذكر بالإفراد وعُرف في الموضوعين الأول بأل، والثاني بالإضافة. قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ: أي الطريق المعهود المعروف.

بخلاف طرق الباطل، فهي كثيرة متشعبة ولهذا ذكرها بالجمع بينما أفرد طريق الحق في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٢).

قال ابن القيم^(٣): «وذكر الصراط المستقيم مفرداً معرفاً تعريفين، تعريفاً باللام، وتعريفاً بالإضافة، وذلك يفيد تعيينه واختصاصه، وأنه صراط واحد، وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٤)».

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «خط لنا رسول الله - ﷺ - خطأ، وقال: هذه سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ٣٧-٣٨، وانظر: «التفسير القيم» ص ١٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

يساره، وقال: هذا سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

٤٩- أن الصراط تارة يضاف إلى سالكيه، كما في قوله - تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وتارة يضاف إلى الله - تعالى - الذي نصبه وشرعه ووضعه لعباده كما في قوله - تعالى: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ (٤).

٥٠- وجوب الاعتراف بالنعمة لموليا ومسديها لقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فالمنعم الحق بجميع النعم هو الله - جل وعلا - كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (٦).

٥١- في إثبات حمده بصفات الكمال، وإثبات ربوبيته وملكه، وكونه مستعانا به، مسؤولاً أن يهدي عباده الصراط المستقيم، وكونه

(١) رواه أحمد ١: ٤٣٥، ٤٦٥، وابن حبان ٦، ٧، والحاكم ٢: ٢٣٩، ٣١٨. وصححه ووافقه الذهبي. وفيه عاصم بن بهدلة متكلم في حفظه. وللحديث شاهد من حديث جابر عند أحمد ٣: ٣٩٧، وابن ماجه «في المقدمة - الحديث (١١)» وصححه الألباني.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣، انظر: «مدارج السالكين» ١: ٣٣، «التفسير القيم» ص ١٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤، وسورة النحل، الآية: ١٨.

منعماً - في ذلك كله دلالة على أنه تعالى فاعل مختار بقدرته ومشئته، ورد على القائلين بالموجب بالذات دون الاختيار والمشئة - تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً^(١).

٥٢- استدلال الشنقيطي - رحمه الله^(٢) - بقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾ على صحة إمامة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: «لأنه داخل في الذين أمرنا الله في هذه السورة بأن نسأل أن يهدينا صراطهم. قال: فدل على أن صراطهم هو الصراط المستقيم، وقد بين الرسول - ﷺ - أن أبا بكر - رضي الله عنه - من الصديقين، فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم لقوله - تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۝﴾^(٣). قال: فهو - رضي الله عنه - على الصراط المستقيم، وإمامته حق».

٥٣- إثبات كمال الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، لقوله تعالى بعد أن ذكر هذا الصراط ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾ أي غير صراط المغضوب عليهم، ولا صراط الضالين. لأن الصفات السلبية يؤتى بها لإثبات كمال ضدها كقوله تعالى:

(١) انظر: «مدارج السالكين» ٩٢: ١، «التفسير القيم» ص ٥٧.

(٢) في «أضواء البيان» ٤٢: ١-٤٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (١) لإثبات كمال قيوميته وكقوله ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ وكفى به بدئوب عبادوه خيراً ﴿ ٥٨ ﴾ (٢) ونحو
ذلك .

٥٤- ينبغي للعبد بعد أن يسأل الله - تعالى - أن يهديه الصراط
المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم فحققوا التوحيد وأن يسأله أيضاً
أن يجنبه صراط المغضوب عليهم ممن عرفوا الحق ولم يعملوا به، من
اليهود وغيرهم، وصراط الضالين الذين عبدوا الله على جهل وضلال
من النصارى وغيرهم، لقوله تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ ﴾ وهذا هو أفضل دعاء دعا به العبد ربه وأوجه وأنفعه (٣) .

٥٥- إثبات صفة الغضب لله - كما يليق بجلاله وعظمته، وهي من
الصفات الفعلية المتعلقة بالمشيئة لكن لا يشتق منها اسم على الإطلاق
فلا يقال: الغضبان - أو الغاضب. قال تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْغَضِبِ عَلَيْهِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ
حَكِيمًا فِيهَا وَعُضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ ﴾ (٥) .

٥٦- ينبغي للعبد أن يسلك من الطرق أحسنها وأصلحها وأقومها،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ .

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٨ .

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» ١٧: ١٣٢ .

(٤) سورة الفتح، الآية: ٦ .

(٥) سورة النساء، الآية: ٩٣ .

وأن يختار لنفسه القدوة الحسنة، والأسوة الصالحة، بسلوك طريق
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأن يحذر من طرق الكفر
والبغي والضلال، التي هي مسالك اليهود والنصارى وغيرهم.

٥٧- أن من أخص صفات اليهود الغضب، لأنهم عرفوا الحق
وتركوه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُشْرَبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ
وَعِصْبٍ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْمَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ (١). وأن من أخص
أوصاف النصارى الضلال، لأنهم عبدوا الله على جهل وضلال كما قال
تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ
قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٢).

ولهذا وصف الله في سورة الفاتحة كلاً من اليهود والنصارى
بأخص أوصافهم فقال ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود ﴿وَالضَّالِّينَ﴾
يعني النصارى. وإلا فكل من الطائفتين مغضوب عليه
وضال.

٥٨- أن كل من سلك مسلك أحد الطائفتين شمله وصف تلك
الطائفة كما قال سفيان: «من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود. ومن
فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى».

وفي الحديث من «تشبه بقوم فهو منهم» (٣).

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٣) أخرجه أبو داود في اللباس - باب في لبس الشهرة - الحديث ٤٠٣١ من حديث ابن =

فيجب الحذر من التشبه بهم، إذ ليس بين الله وبين أحد من الخلق نسب بل إن الآية توجب سؤال الله السلامة من جميع مسالك الكفر والضلال والحذر من ذلك.

٥٩- دل قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وما بعده على أن الناس ينقسمون بحسب معرفة الحق والعمل به إلى ثلاثة أقسام: قسم أنعم الله عليهم بمعرفة الحق والعمل به، وقسمان مخذولان، أحدهما: من عرفوا الحق وتركوه كفرا وعنادا، وهم اليهود، ومن سلك مسلكهم، ولهذا استحقوا غضب الله تعالى. والقسم الثاني: من ضلوا عن الحق وجهلوه من النصرى، ومن سلك مسلكهم، ولهذا وصفهم الله بالضلال^(١).

٦٠- في إسناد النعمة إلى الله تعالى، وإضافتها إليه في قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى تفرده بالإنعام، وتكريم المُنعم عليه. وفي حذف فاعل الغضب في قوله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إشارة إلى أن الغضب عليهم لا يختص به تعالى - بل ملائكته وأنبيأؤه ورسله يغضبون لغضبه، كما أن في ذلك إشعاراً بإهانة المغضوب عليهم وتحقيرهم.

كما أن في إسناد النعمة إلى الله تعالى، وحذف فاعل الغضب وإسناد الضلال إلى من قام به في قوله ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ تعليم لحسن الأدب مع الله بإسناد الخير والنعم إليه، وحذف الفاعل فيما

= عمر، وكذا أحمد ٥: ٢، وصححه الألباني.

(١) انظر «مدارج السالكين» ١: ٣٤.

يقابل ذلك أو إسناده إلى من قام به كما قال ﷺ «والخير كله بيدك والشر ليس إليك»^(١).

أي أن الشر في مفعولات الله، لا في فعله، فإن فعله كله خير وحكمة، وكما قال إبراهيم الخليل - عليه السلام، فيما حكى الله عنه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾﴾^(٢).

٦١- بلوغ القرآن غاية الإيجاز مع الفصاحة والبيان. فإن الله وصف كلا من الطوائف الثلاث بوصف يستلزم الجزاء وسببه بأوجز لفظ في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

قال ابن القيم^(٣): «وتأمل سراً بديعاً في ذكر السبب والجزاء للطوائف الثلاثة بأوجز لفظ وأخصره، فإن الإنعام عليهم يتضمن إنعامه بالهداية التي هي العلم النافع والعمل الصالح، وهي الهدى ودين الحق، ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء فهذا تمام النعمة، ولفظ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يتضمن الأمرين.

وذكر غضبه على المغضوب عليهم يتضمن أيضاً أمرين الجزاء

(١) أخرجه مسلم في الصلاة، الحديث ٧٧١، وأبو داود في الصلاة الحديثان ٧٦٠،

٧٦١، والنسائي في الاقتراح الحديث ٨٦٢، والترمذي في الصلاة الحديث ٢٦٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٧٩-٨٠. انظر «تفسير الطبري» ١: ١٩٥، ١٩٧، «المحرر الوجيز»

١: ٨٨، «مدارج السالكين» ١: ٣٦-٣٤، «بدائع الفوائد» ٢: ١٨٠-٢٠ «تفسير ابن كثير»

٦٠: ١.

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ٣٦-٣٧، وانظر «التفسير القيم» ص ١٣-١٤.

بالغضب الذي موجه غاية العذاب والهوان، والسبب الذي استحقوا به غضبه سبحانه فإنه أرحم وأرأف من أن يغضب بلا جناية منهم ولا ضلال. فكأن الغضب عليهم مستلزم لضلالهم، وذكر الضالين مستلزم لغضبه عليهم، وعقابه لهم، فإن من ضل استحق العقوبة التي هي موجب ضلاله وغضب الله عليه.

٦٢- الترغيب في سلوك سبيل المنعم عليهم والمؤمنين والترهيب من سلوك طريق المغضوب عليهم والضالين يؤخذ هذا من المقابلة بين الهداية والنعمة والغضب والضلال^(١).

٦٣- دلت السورة على إثبات النبوات ووجوب الإيمان بالكتب والرسول، والرد على منكري النبوات. وذلك في مواضع كثيرة منها، ما يلي:

أولاً: من قوله - تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إذ لا سبيل إلى معرفة حمده، ووصفه بصفاته إلا عن طريق كتبه ورسله، كما أن في إثبات حمده التام ووصفه بصفات الكمال ما يقتضي كمال حكمته، وأن لا يخلق الخلق عبثاً، ولا يتركهم سداً، لا يؤمرون، ولا ينهون، ولهذا نزه - تعالى نفسه عن هذا في مواضع من كتابه، وبين أن من أنكر الرسالة والنبوة فإنه ما قدره حق قدره قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿أَفَنَنْبَعُ أُنْمَاءً أَنْزَلَ

(١) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٣٦-٣٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْيَى ﴿١﴾

قال ابن القيم^(٢) - رحمه الله - تعالى: «فمن أعطى الحمد حقه علماً ومعرفة وبصيرة استنبط منه: «أشهد أن محمداً رسول الله» كما يستنبط منه «أشهد أن لا إله إلا الله» وعلم قطعاً أن تعطيل النبوات في منافاته للحمد كتعطيل الصفات، وكإثبات الشركاء والأنداد».

ثانياً: من قوله - تعالى: ﴿الله﴾ ومعناه: المألوه المعبود، ولا سبيل إلى معرفة كيفية عبادته، وما يعبد به إلا من طريق الرسل والنبوات.

ثالثاً: من قوله - تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ الرب يتعهد مربوبه بالتربية والإصلاح، ومقتضى ذلك إرسال الرسل، وإنزال الكتب، لدعوة الناس إلى الخير، وتحذيرهم من الشر في دينهم ودنياهم.

وقال ابن القيم^(٣): «فلا يليق به أن يترك عباده سدا هملاً، لا يعرفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، وما يضرهم فيهما، فهذا هضم للزبوية، ونسبة الرب - تعالى - إلى ما لا يليق به، وما قدره حق قدره، من نسبه إليه».

رابعاً: من قوله - تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإن مقتضى

(١) سورة الرعد، الآية: ١٩. انظر: «مدارج السالكين» ١: ٣٠-٣٤، ٩٤-٩٦، «التفسير

القيم» ص ٧-١١، ٥٨-٦١.

(٢) في «مدارج السالكين» ١: ٩٤.

(٣) في «مدارج السالكين» ١: ٣٠.

رحمته ألا يترك العباد بلا رسل تبلغهم وحي الله، كما قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١).

قال ابن القيم^(٢): «فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم، فمن أعطى اسم «الرحمن» حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه علم إنزال الغيث، وإنبات الكلاء، وإخراج الحب، فاقضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضاها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم والدواب، وأدرك منه أولو الألباب أمراً وراء ذلك».

خامساً: من قوله: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فإن من تمام ملكه أن يكون له رسل وكتب يبثها في أقطار مملكته لتبليغ أوامره ونواهيه.

سادساً: من قوله - تعالى: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ إذ كيف يحاسب ويجازي الخلق إلا بعد إقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل، كما قال - تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (٣).

قال ابن القيم^(٤): «فإنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه بأعمالهم فيثيبهم على الخيرات، ويعاقبهم على المعاصي والسيئات، وما كان الله

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) في «مدارج السالكين» ١: ٣١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٤) في «مدارج السالكين» ١: ٣١.

ليعذب أحداً قبل إقامة الحجّة عليه. والحجّة إنما قامت برسله وكتبه وبهم استحق الثواب والعقاب، وبهم قام سوق يوم الدين، وسبق الأبرار إلى النعيم، والفجار إلى الجحيم».

سابعاً: من قوله - تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأن الله لم يتعبد خلقه بالجهل، ولا طريق لمعرفة كيفية عبادته وبماذا يعبد إلا بواسطة الرسل والكتب.

ثامناً: من قوله - تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فإن من أقسام الهداية هداية البيان والدلالة والإرشاد، ولا يكون ذلك إلا من طريق الرسل والكتب المنزلة عليهم من عند الله - تعالى. ولا يمكن معرفة الطريق المستقيم الموصل إلى الله، والمؤدي إلى السعادة في الدارين إلا من طريق الرسل والكتب.

تاسعاً: من قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهم النبيون ومن ذكر الله معهم في قوله - تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١)، فإن معرفة المنعم عليهم ومعرفة طريقهم، ومعرفة النعمة التي من أجلها استحقوا أن يذكروا بها على سبيل التشريف والتعظيم. كل ذلك لا يمكن معرفته إلا من طريق الرسل والكتب.

عاشراً: من قوله - تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ إذ لا يمكن معرفة طريق المغضوب عليهم، وطريق الضالين ليجتنبهما العبد إلا من طريق الرسل والكتب.

الحادي عشر: من قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ لأن انقسام الناس إلى هذه الأقسام الثلاثة إنما حصل بسبب إرسال الرسل، فمن عرف الحق الذي جاؤوا به واتبعه فهو من أهل النعمة، ومن عرفه وعانده فهو من أهل الغضب، ومن جهل الحق فهو من أهل الضلال.

ويتفرع عن هذا أنه إذا كانت السورة متضمنة إثبات الرسالات والنبوات اقتضى ذلك إثبات صفة التكلم والتكليم له جلا وعلا. قال ابن القيم^(١): «فإن حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل، فإذا لم يكن ثم كلام فماذا يبلغ الرسول؟ بل كيف يعقل كونه رسولا. ولهذا قال غير واحد من السلف: من أنكر أن يكون الله متكلماً أو أن يكون القرآن كلامه، فقد أنكر رسالة محمد - ﷺ -، بل ورسالة جميع الرسل التي حقيقتها تبليغ كلام الله تبارك وتعالى».

٦٤- تضمنت السورة الدلالة على سعة علم الله - عز وجل - وخبرته وتعلق علمه بالجزئيات، والرد على من أنكر ذلك من وجوه لأن كونه محموداً موصوفاً بصفات الكمال يقتضي أن يعلم أحوال العالم وتفاصيل جزئياته، وكونه إلهاً معبوداً يقتضي أن يعلم من يعبده ممن يعبد سواه، وكونه ربا للعالمين يقتضي أن يكون عالماً بتفاصيل

(١) في «مدارج السالكين» ١: ٩٦.

مخلوقاته مديراً لها، وكونه رحماناً رحيماً يقتضي أن يعلم أحوال المرحومين، وكونه مالكاً ليوم الدين يقتضي أن يعرف أحوال مملكته ورعيته ليجازي كلا بعمله، كما أن كونه مستعاناً به ومسؤولاً الهداية وهادياً ومنعماً على من أطاعه ويغضب على من عصاه، كل ذلك يدل على تعلق علمه بالجزئيات وشموله لها^(١).

٦٥- اشتمل قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وما بعده إلى آخر السورة على الرد على جميع طوائف الكفر والضلال. وذلك على سبيل الإجمال لأن الحق في معرفة ما جاء به المصطفى - ﷺ - والسير على نهجه، وما عداه من المسالك والسبل الملتوية والمعوجة مردودة باطلة.

وقد عقد ابن القيم^(٢) رحمه الله، فصلاً في اشتمال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل والرد على أهل البدع والضلال من هذه الأمة. قال: وهذا يعلم بطريقتين مجمل ومفصل.

وبعد أن ذكر رحمه الله ما فيها من رد على جميع المبطلين بطريق الإجمال بين اشتمالها على الرد على جميع المبطلين بطريق التفصيل، فذكر الرد منها على الملاحدة وإبطال قولهم وبيان ضلالهم، والرد على المجوس والقدرية وعلى الجهمية وأهل الإشراك في ربوبيته وإلهيته

(١) انظر: «مدارج السالكين» ١: ٩٣-٩٤، «التفسير القيم» ص ٥٨.

(٢) في «مدارج السالكين» ١: ٨٥ - ٩٨، وانظر «التفسير القيم» ص ٤٩-٦٥، وانظر «الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة» ٤: ١٢٢٢-١٢٢٥، «تيسر الكريم الرحمن»

وعلى الجهمية معطلة الصفات، وعلى الجبرية، وعلى القائلين بالموجب بالذات دون الاختيار والمشية وإثبات أن الله فاعل مختار والرد على منكري تعلق علمه بالجزئيات، ومنكري النبوات وإثبات صفة التكلم لله عز وجل، والرد على من قال بقدوم العالم، وكل هذا سبقت الإشارة إليه.

وختم ابن القيم هذا الفصل في بيان تضمنها للرد على الرافضة. قال: «وذلك من قوله ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخرها. قال: ووجه تضمنه إبطال قولهم: أنه سبحانه قسم الناس إلى ثلاثة أقسام: «منعم عليهم» وهم أهل الصراط المستقيم، الذين عرفوا الحق واتبعوه. «ومغضوب عليهم» وهم الذين عرفوا الحق ورفضوه، و«ضالون» وهم الذين جهلوه فأخطأوه. فكل من كان أعرف للحق، وأتبع له كان أولى بالصراط المستقيم، ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم هم أولى بهذه الصفة من الروافض فإنه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ - ورضي الله عنهم - جهلوا الحق وعرفه الروافض، أو رفضوه وتمسك به الروافض.

ثم إنا رأينا آثار الفريقين تدل على أهل الحق منهما. فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر وقلبوها بلاد إسلام، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى، فأثارهم تدل على أنهم أهل الصراط المستقيم ورأينا الرافضة بالعكس في كل زمان ومكان، فإنه قط ما قام للمسلمين عدو من غيرهم إلا كانوا أعوانهم على الإسلام، وكم جرّوا على الإسلام وأهله من بلية... ولهذا فسر السلف الصراط المستقيم وأهله بأبي بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم، وهو

كما فسروه، فإنه صراطهم الذي كانوا عليه، وهو عين صراط نبيهم . . .
وأشد الأمة مخالفة له الرافضة . . . فقد تبين أن الصراط المستقيم طريق
أصحابه وأتباعه، وطريق أهل الغضب والضلال طريق الرافضة . وبهذه
الطريقة - بعينها - يرد على الخوارج فإن معاداتهم الصحابة معروفة» .

٦٦- تضمنت السورة شفاء القلوب، كما تضمنت شفاء الأبدان،

قال ابن القيم^(١): «فأما اشتغالها على شفاء القلوب فإنها اشتملت عليه
أتم اشتغال فإن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم
وفساد القصد. ويترتب عليهما داءان قاتلان وهما الضلال والغضب
فالضلال نتيجة فساد العلم والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان
المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها. فهداية الصراط المستقيم
تتضمن الشفاء من مرض الضلال، ولذلك كان سؤال هذه الهداية
أفرض دعاء على كل عبد وأوجه عليه كل يوم وليلة في كل صلاة،
لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة، ولا يقوم غير هذا السؤال
مقامه. والتحقق بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥) علماً
ومعرفة وعملاً وحالاً يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب والقصد
. . . . إلى أن قال: ثم إن القلب يعرض له مرضان عظيمان إن لم
يتداركهما العبد ترامياً به إلى التلف ولا بد، وهما الرياء والكبر، فدواء
الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ودواء الكبر بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥)
وكثيراً ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول:

(١) في «مدارج السالكين» ١: ٧٩-٨٢.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ تدفع الكبرياء. فإذا عوفي من مرض الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ومن مرض الكبرياء والعجب بـ ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ومن مرض الضلال والجهل بـ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم، غير المغضوب عليهم، وهم أهل فساد القصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، والضالين وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه.

وحق لسورة تشتمل على هذين الشفاءين أن يستشفى بها من كل مرض، ولهذا لما اشتملت على هذا الشفاء الذي هو أعظم الشفاءين كان حصول الشفاء الأدنى بها أولى.

ثم ذكر الدليل من السنة على شفاؤها للأبدان، وهو حديث أبي سعيد الخدري في قصة اللديغ. وقد سبق ذكره في أسماء الفاتحة، كما استشهد بقواعد الطب وما دلت عليه التجربة.

الفصل الثاني

الأحكام التي تتعلق بسورة الفاتحة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حكم قراءة الفاتحة في الصلاة.

المبحث الثاني: وفيه مسائل:

أ- من لم يستطع قراءة الفاتحة في الصلاة.

ب- قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة.

ج- قول: «أمين» بعد قراءة الفاتحة.

هـ- قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة.

المبحث الأول

حكم قراءة الفاتحة في الصلاة

أولاً: حكم قراءة الفاتحة في حق الإمام والمنفرد:

جمهور أهل العلم على وجوب قراءة الفاتحة في حق الإمام والمنفرد، وأنه لا تصح صلاتهما بدونها^(١).

منهم مالك^(٢)، والشافعي^(٣)، وأحمد في المشهور، بل الصحيح عنه^(٤)، وإسحاق^(٥)، وعبدالله بن المبارك^(٦)، والأوزاعي^(٧)، وأبو ثور^(٨)، وداود^(٩)، وغيرهم.

- (١) انظر: «تفسير ابن كثير» ١: ٢٧-٢٨، «نيل الأوطار» ٢: ٢٣٤-٢٣٨.
- (٢) انظر: «المدونة» ١: ٦٥-٦٧، «الكافي في فقه أهل المدينة» ١: ١٠٧، «الاستذكار» ٢: ١٦٨، «التمهيد» ١١: ٣١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٩.
- (٣) انظر: «الأم» ١: ١٠٧، «أحكام القرآن» للشافعي ص ٧٧، «المهذب» ١: ٧٩، «تفسير ابن كثير» ١: ٢٨-٢٧.
- (٤) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص ٧١، الفقرات: ٢٥٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، «مسائل الإمام أحمد» رواية النيسابوري ١: ٥١، «مسائل الإمام أحمد» لأبي داود ص ٣٢، «المسائل الفقهية» ١: ١١٧، «المغني» ٢: ١٥٦، «تنقيح التحقيق» ٢: ٨٥٩، «آداب المشي إلى الصلاة» ص ٨٨.
- (٥) انظر: «الأوسط» ٣: ١٠١، «الاستذكار» ٢: ١٦٨.
- (٦) انظر: «سنن الترمذي» ٢: ٢٦.
- (٧) انظر: «المغني» ٢: ١٥٦، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٩.
- (٨) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٦٨.
- (٩) انظر: «المحلى» ٣: ٢٣٦.

مستدلين بقوله تعالى: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَتَسَّرَمِنَ الْقُرْآنِ﴾^(١)، وبحديث أبي هريرة في الصحيحين في قصة المسيء في صلاته وفيه: «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن»، وقوله بعد ذلك «ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»^(٢) وهذا صريح في القراءة في كل ركعة، والفتاحة أيسر القرآن.

كما استدلوا بحديث عبادة في الصحيحين: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفتاحة الكتاب» وحديث أبي هريرة عند مسلم: «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج»، وغيرهما من الأحاديث^(٣).

كما استدلوا - أيضا - بمداومة الرسول - ﷺ - وخلفائه على قراءتها، كما في حديث أنس وعائشة - رضي الله عنهما^(٤) - وبما ثبت من النقل عن عامة السلف من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من المداومة على قراءتها، بل ومن القول بوجوبها، وأنه لا تصح الصلاة بدونها^(٥).

واختلفوا هل تجب قراءتها في كل ركعة؟ وهذا قول أكثرهم،

-
- (١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.
(٢) سيأتي تخريج هذا الحديث ضمن أدلة القول الأول من المسألة التالية، وانظر: «خير الكلام في القراءة خلف الإمام» للبخاري، فقرة: ٢٠١.
(٣) سيأتي ذكر هذه الأحاديث وتخريجها في المسألة التالية ضمن أدلة القول الأول.
(٤) سبق تخريجهما في المبحث الرابع من الفصل الأول من هذا الباب.
(٥) انظر: «المصنف» لعبدالرزاق ١: ٩٣-٩٥، ١٢٠، وما بعدها، و«المصنف» لابن أبي شيبة ١: ٣٦٠-٣٦١، ٣٧٥-٣٧٣، «خير الكلام في القراءة خلف الإمام» للبخاري، «الأوسط» ٣: ٩٨، وما بعدها، «المحلى» ٣: ٢٣٦، وما بعدها، «القراءة خلف الإمام» للبيهقي، «الاستذكار» ٢: ١٦٦، وما بعدها، «نيل الأوطار» ٢: ٢٣٤، وما بعدها.

وقيل: يكفي قراءتها في أكثر الركعات، وبهذا قال مالك، وقيل: يكفي قراءتها في ركعتين، وقيل: تكفي قراءتها في ركعة واحدة من الصلاة. والصحيح الأول.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا تتعين قراءة الفاتحة، وأن الغرض أو الواجب: هو قراءة أقل ما تيسر من القرآن. ورؤي هذا عن الحسن^(١) والأوزاعي والثوري^(٢)، وقال به أبو حنيفة، وأصحابه.

قال أبو حنيفة: أقل ما تيسر مقدار آية. وقال صاحبه أبو يوسف ومحمد: أقله ثلاث آيات، أو آية طويلة^(٣)، ورؤي عن الإمام أحمد مثل قول أبي حنيفة^(٤).

واستدل من ذهب إلى هذا القول بقوله تعالى: ﴿فَأَقْرءْ وَأَمَّا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(٥). وقوله - ﷺ - للمسيء في صلاته: «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن» متفق عليه^(٦).

(١) أخرجه عبدالرزاق، الأثر ٢٦٣٠.

(٢) ذكره عنهما ابن الجوزي في «تفسيره» ١: ١٨، والقرطبي في «تفسيره» ١: ١١٨، وابن كثير ١: ٢٨.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٢٣-١٨، «المبسوط» ١: ١٨-١٩، «فتح القدير» لابن الهمام ١: ٣٣١-٣٣٢.

(٤) انظر: «المسائل الفقهية» ١: ١١٧، «التحقيق» ص ٣١٦، «زاد المسير» ١: ١٨.

(٥) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٦) أخرجه من حديث أبي هريرة البخاري في الصلاة - باب أمر النبي - ﷺ - الذي لا يتم الركوع بالإعادة - الحديث ٧٩٣، ومسلم في الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة - الحديث ٣٩٧، وأبو داود - الحديث ٨٥٦، والنسائي - الحديث ٨٥١.

وحملوا حديث عبادة «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» وما في معناه على أن المعنى لا صلاة كاملة: أي على نفي الكمال لا على نفي الجواز^(١).

والصحيح ما ذهب إليه جمهور أهل العلم، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، بأنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة، وأن الصلاة لا تصح بدونها. للأدلة الصريحة الصحيحة الدالة على ذلك. والتي فيها تفسير لقوله تعالى: ﴿مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ ولقوله - ﷺ - «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن» إذ لا أيسر من قراءة الفاتحة^(٢) ولهذا حملة مسلم وغيره على وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وبوب له بهذا. كما تقدم في تخريجه - وأيضاً - قد يحمل «ما تيسر» في الآية والحديث على ما زاد على الفاتحة^(٣)، كما قال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - «أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر»^(٤).

ولم أر ما يدعو لذكر الأدلة كلها على وجوب قراءة الفاتحة، وأنها ركن لا تصح الصلاة بدونها وتفصيل القول فيها، خاصة في حق الإمام والمنفرد، نظراً لضعف الخلاف في هذه المسألة، فليس مع المخالف من الأدلة ما يستلزم بسط القول في ذكر أدلة الوجوب التي لا تحصى كثرة من السنة الصريحة الصحيحة، والآثار الثابتة الصحيحة عن سلف

(١) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ١: ٢١١-٢٢٣، وانظر: «الاستذكار» ٢: ١٦٨.

(٢) انظر: «المحلى» ٣: ٢٣٩ وما بعدها.

(٣) انظر: «القراءة خلف الإمام» لليبهي ص ١٦، «التحقيق» ١: ٣١٩، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٣.

(٤) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب.

هذه الأمة من الصحابة والتابعين . ونظراً لأن هذه الأدلة سيأتي ذكرها ضمن أدلة القول الأول والثاني في المسألة التالية وهي حكم قراءة الفاتحة في حق المأموم . لأن دلالة هذه الأدلة على وجوب قراءة الفاتحة في حق الإمام والمنفرد أولى من دلالتها على وجوب قراءة الفاتحة في حق المأموم .

ثانياً: حكم قراءة الفاتحة في حق المأموم:

اختلف أهل العلم - رحمهم الله - قديماً وحديثاً في هذه المسألة لسببين هما:-

أ- السبب الأول: ظاهر النصوص الواردة في هذه المسألة، فبعضها يوجب قراءة الفاتحة في الصلاة، وبعضها يوجب الإنصات لقراءة القرآن. الأمر الذي جعل أهل العلم تختلف أقوالهم في توجيه هذه الأدلة، والتوفيق بينها.

ب - السبب الثاني: كثرة المروي عن الصحابة والتابعين في هذه المسألة، واختلاف النقل عنهم فيها: فمنهم من روي عنه جواز القراءة خلف الإمام مطلقاً، ومنهم من روي عنه جواز القراءة خلف الإمام في السرية دون الجهرية، ومنهم من روي عنه المنع من القراءة خلف الإمام مطلقاً. بل منهم من روي عنه أكثر من قول في هذه المسألة.

وبناء على هذا كثر الاختلاف في هذه المسألة إلى يومنا هذا. وقد ألف فيها كثير من أهل العلم، وبسطوا القول فيها، منهم من أفردوا بالتأليف، كالإمام البخاري في كتابه «خير الكلام في القراءة خلف الإمام»، والبيهقي في كتابه «القراءة خلف الإمام»، واللكوني من علماء

الحنفية في العصر الحاضر في كتابه «إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام».

وقد ذكر شارح سنن الترمذي المباركفوري في «تحفة الأحوذى» ١: ٢٥٦: أنه أُلّف فيها كتاباً مبسوطاً سماه «تحقيق الكلام في وجوب القراءة خلف الإمام».

ومنهم من بسط القول فيها ضمن مؤلّف، ولم يفردّها بالتأليف، كابن المنذر في «الأوسط»، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»، وابن عبد البر في «التمهيد» و «الاستذكار» والحازمي في «الاعتبار»، ومن أحسن ما كتب فيها ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «مجموع الفتاوى». وقد أفرد بعضهم جواب شيخ الإسلام عن هذه المسألة فطبعه برسالة مستقلة، وهي نفس ما في الفتاوى.

وممن بحث في هذه المسألة من المعاصرين الشيخ عبدالمحسن بن محمد المنيف في كتابه «أحكام الإمامة والائتمام في الصلاة».

ويمكن إجمال الخلاف في هذه المسألة وأدلتها في أقوال ثلاثة هي :-

١- القول الأول: أن المأموم يقرأ الفاتحة خلف الإمام مطلقاً في الصلاة السرية والجهرية.

وهذا القول مروى عن جمع من الصحابة والتابعين، مع اختلاف في النقل عن أكثرهم. وكذا احتمال النقل عن بعضهم أن يكون مراداً به هذا القول وهو القراءة خلف الإمام مطلقاً، أو القول الذي بعده وهو القراءة في السرية فقط. فممن رُوِيَ عنه هذا القول: عمر بن الخطاب -

رضي الله عنه^(١)، وعبادة بن

(١) أخرجه عن عمر - عبدالرزاق في المصنف - في الصلاة - القراءة خلف الإمام الأثر ٢٧٧٦ - عن الثوري عن سليمان الشيباني عن جَوَاب عن يزيد بن شريك أنه قال لعمر: «أقرأ خلف الإمام؟ قال: نعم. قلت: وإن قرأت يأمر المؤمنين؟ قال: نعم وإن قرأت».

وقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف - في الصلاة - من رخص في القراءة خلف الإمام ٣٧٣:١، والدارقطني ٣١٧:١، وابن المنذر في الأوسط الأثر ١٣٢٢، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٢١٨-٢١٩، والبيهقي في القراءة خلف الإمام الآثار ١٨٦-١٨٩ كلهم من طريق سليمان الشيباني بإسناده. وفي لفظ الدارقطني قال: وإن جهرت؟ قال: وإن جهرت قال الدارقطني «إسناده صحيح، رواه كلهم ثقات».

قلت: وجواب: بالجيم المعجمة فواو مشددة ثم ألف وياء معجمة تحتيه هو ابن عبيدالله: صدوق رمي بالإرجاء، انظر «التقريب» ١: ١٣٥. وأخرج عبدالرزاق في الأثر ٢٧٧٧، والبيهقي في الأثر ١٩٠ عن ابن التيمي عن ليث عن أشعث عن أبي يزيد عن الحارث بن سويد وزيد التيمي قالوا: أمرنا عمر ابن الخطاب أن نقرأ خلف الإمام» وقال البيهقي: «ورواة حديث الشيباني أوثق من بعض هذا».

وأخرج ابن المنذر في الأوسط الأثر ١٣٢٣ - عن عباية بن رداد قال: كنا في مسير مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تجوز صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب وشيء معها. قال فقال رجل: يأمر المؤمنين: رأيت إن كنت خلف إمام؟ قال: اقرأ في نفسك».

هذه الآثار من أصح ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه المسألة وأنه يرى القراءة خلف الإمام في الصلاة السرية والجهرية. وهل يرى القراءة في الجهرية مطلقاً سكت الإمام أو لم يسكت هذا هو الظاهر ويحتمل أنه يرى ذلك في سكتات الإمام فالله أعلم.

وقد روي عن عمر - رضي الله عنه - بأسانيد لا تثبت خلاف هذا فقد أخرج عبد الرزاق الأثر ٢٨٠٤ - من طريق أبي إسحاق الشيباني - عن رجل قال: «عهد عمر بن الخطاب أن لا تقرأوا مع الإمام» وفيه رجل لم يسم.

الصامت (١)

وأخرج أيضاً - الأثر ٢٨٠٦ - من طريق داود بن قيس عن محمد بن عجلان قال: قال عمر بن الخطاب: وددت أن الذي يقرأ خلف الإمام في فيه حجر» وفيه داود بن قيس: مقبول انظر «التقريب» ١: ٢٣٤ ومحمد بن عجلان: صدوق، انظر «التقريب» ٢: ١٩٠. وأخرج ابن أبي شيبة ١: ٣٧٦ - عن نافع وأنس بن سيرين قالوا: قال عمر بن الخطاب: «تكفيك قراءة الإمام» وهذا منقطع لأن نافعاً - وهو مولى ابن عمر - وأنس بن سيرين لم يدركا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد حمل ابن عبد البر في «التمهيد» ١١: ٣٥ ما رواه يزيد بن شريك عن عمر على القراءة حال السر، وحمل ما رواه عبدالرزاق عن عمر من النهي عن القراءة أن المراد بذلك حال الجهر. ثم قال: «وليس في هذا الباب شيء يثبت من جهة الإسناد عن عمر، وعنه فيه اضطراب».

قلت: وحمل ما رواه يزيد على القراءة حال السر فيه نظر لأن قوله فيه «قال: وإن قرأت، قال: وإن قرأت» وفي لفظ: «قال: وإن جهرت قال: وإن جهرت» صريح في أنه في الصلاة الجهرية، وإن لم يكن صريحاً في القراءة وإن لم يسكت الإمام. وما رواه عبدالرزاق من طريق أبي إسحاق الشيباني في النهي عن القراءة خلف الإمام، فيه رجل لم يسم فهو ضعيف فلا يحتج به على النهي عن القراءة خلف الإمام حال الجهر.

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف - في الصلاة - الأثر ٢٧٧١، عن جعفر بن سليمان عن ابن عون قال: حدثنا رجاء بن حيوة قال: صليت إلى جانب عبادة بن الصامت فسمعته يقرأ مع الإمام، فلما قضينا صلاتنا قلنا يا أبا الوليد أتقرأ مع الإمام؟ قال: ويحك إنه لا صلاة إلا بها».

وفي إسناده جعفر بن سليمان الضبعي صدوق زاهد لكنه كان يتشيع انظر «التقريب» ١: ١٣١. وبقية رجاله ثقات فيهم ابن عون هو عبدالله بن عون.

وأخرجه أيضاً بهذا اللفظ ابن أبي شيبة ١: ٣٧٥ بإسناد صحيح من طريق شيخة وكيع عن ابن عون وكذا أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣٢٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ٢٠١، ٢٠٢ - من طريق ابن عون، لكن في إسناده: محمد بن الربيع بين رجاء بن حيوة وعبادة بن الصامت.

وأخرج البخاري في جزء القراءة خلف الإمام - الأثر ٦٥ من طريق صدقة بن خالد حدثنا زيد بن واقد عن حزام بن حكيم ومكحول عن ربيعة الأنصاري عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - وكان على إيلياء فأبطأ عبادة عن صلاة الصبح فأقام أبو نعيم =

وأبو هريرة^(١)، وعبدالله بن عباس^(٢)، وعبدالله ابن

وكان أول من أذن ببيت المقدس فجئت مع عبادة حتى صف الناس وأبو نعيم يجهر بالقراءة فقرأ عبادة بأمر القرآن حتى فهمتها منه فلما انصرف قلت سمعتك تقرأ بأمر القرآن فقال نعم صلى بنا النبي ﷺ بعض الصلوات التي يجهر فيها بالقرآن فقال: «لا يقرآن أحدكم إذا جهر بالقراءة إلا بأمر القرآن» وقد اختلف أهل العلم في صحة رفع هذا الحديث كما سيأتي بيانه في ذكر أدلة أصحاب هذا القول.

وأخرجه الدارقطني ١: ٣١٩-٣٢٠ - من طريق زيد بن واقد بإسناده، وقال: «كلهم ثقاة، هذا إسناده حسن».

وأخرج ابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٩٠ عن الأوزاعي قال: «أخذت القراءة مع الإمام عن عبادة بن الصامت ومكحول».

وأما ما أخرجه عبدالرزاق - في الأثر ٢٧٧٠ - عن بشر بن رافع قال أخبرني درع ابن عبدالله عن أبي أمية الأزدي قال قال لي عبادة بن الصامت اقرأ بأمر القرآن في كل صلاة أو قال في كل ركعة قال قلت: أتقرأ بها يا أبا الوليد مع الإمام. قال: لا أدعها إماماً ولا مأموماً.

فإن في إسناده بشر بن رافع - شيخ عبدالرزاق - وهو ضعيف الحديث انظر التقريب ١: ٩٩.

(١) أخرجه عن أبي هريرة - مسلم في الصلاة - باب وجوب قراءة فاتحة الكتاب - الحديث ٣٩٥، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٥، والبخاري في القراءة خلف الإمام - الآثار ٧٢، ١٣١، ٥٧٢، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ٢١٩ - عن أبي هريرة: في حديثه عن النبي ﷺ - أنه قال: «من صلى صلاة لا يقرأ فيها بأمر القرآن فهي خداج... ثم سأل الراوي أبا هريرة عما إذا كان وراء الإمام فقال أبو هريرة: اقرأ بها في نفسك...» الحديث وسيأتي قريباً وقد أخرج ابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٣ - عن أبي هريرة قال: «أقرأ خلف الإمام فيما يخافت به» ومفهوم هذا إن صح عن أبي هريرة يقوي قول من قال: إن قوله اقرأ بها في نفسك محمول على ما إذا أسر الإمام. وهكذا ذكر ابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٨٩ - أنه اختلف فيه عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة - في الصلاة - من رخص في القراءة خلف الإمام ١: ٣٧٥ عن وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن العيزار بن حريث العبدي عن ابن عباس قال: «أقرأ خلف الإمام بفاتحة الكتاب» وإسناده صحيح. وأخرجه ابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣٢٤ من طريق إسماعيل بإسناده.

وهو محتمل لقراءة الفاتحة «خلف الإمام في السرية والجهرية، أو في السرية فقط كما =

عمرو^(١)، ومعاذ بن جبل^(٢)، وأبي ابن

في رواية الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢٠٦ - من طريق إسماعيل بن أبي خالد بإسناده عن ابن عباس قال: «أقرأ خلف الإمام بفاتحة الكتاب في الظهر والعصر» ويؤيد هذا ما أخرجه الطحاوي أيضاً: ١: ٢٢٠ - من طريق حماد بن سلمة عن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس: «أقرأ والإمام بين يدي فقال: لا» وأما ما أخرجه عبد الرزاق - الأثر ٢٧٧٣ عن التيمي، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٣، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣٢٥. من طريق ليث عن عطاء عن ابن عباس قال: «لا بد أن يقرأ فاتحة الكتاب خلف الإمام جهر أو لم يجهر». ففي إسناده: ليث وهو ابن أبي سليم قال ابن عبد البر في «التمهيد» ١١: ٤٠ «ضعيف ليس بحجة». وقال ابن حجر «صدوق» اختلط أخيراً فلم يتميز حديثه فترك «التقريب» ١٣٨: ٢.

وبقية رجاله ثقات فيهم التيمي هو معتمر بن سليمان، وعطاء هو ابن أبي رباح. أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ٢٣٦، ٣٠١ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص «أنه كان يقرأ خلف رسول الله ﷺ إذا أنصت، فإذا قرأ لم يقرأ، فإذا أنصت قرأ». وأخرج عبد الرزاق في المصنف الأثران ٢٧٧٤، ٢٧٧٥ من طريق الثوري عن الأعمش، ومن طريق ابن عيينة عن حصين بن عبدالرحمن - كلاهما عن مجاهد قال «سمعت عبدالله بن عمرو قرأ خلف الإمام في الظهر والعصر». وقد أخرجه عن مجاهد البخاري في جزء القراءة خلف الإمام الأثر ٦٠، والدارقطني، وابن المنذر في «الأوسط» - الأثر ١٣١٤، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٩، والبيهقي في القراءة خلف الإمام - الآثار ٢١٥-٢١٨.

وهذان الأثران يدلان على أن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه يقرأ خلف الإمام في الصلاة السرية وفي الجهرية إذا سكت الإمام وانظر «الاستذكار» ٢: ١٨٩. أخرجه البيهقي القراءة خلف الإمام الأثر ٢٠٠ - من طريق شعبة عن أبي الفيض قال: سمعت أبا شيبة المهدي يقول: سأل رجل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن القراءة خلف الإمام فقال: إذا قرأ فقرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد، وإذا لم تسمع فقرأ في نفسك ولا تؤذ من عن يمينك ولا من عن شمالك.

أخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٤ - من طريق غندر عن شعبة عن أبي الفيض قال سمعت أبا شيبة المهدي يحدث عن معاذ أنه قال في الرجل يصلي خلف الإمام إذا كان يسمع قراءته قرأ قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الناس، وقل أعوذ برب الفلق. قال شعبة =

كعب^(١)، وحذيفة بن اليمان^(٢)، وعبدالله بن الزبير^(٣)،
وأنس بن مالك^(٤)، وهشام بن عامر^(٥) - رضي الله عنهم أجمعين - .

- = أو نحوها وإذا كان لا يسمع القراءة فليقرأ ولا يؤدي من عن يمينه ومن عن شماله، وهذا لو صح عن معاذ فهو خلاف ما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الإنصات لقراءة الإمام مطلقاً إلا في حال قراءة المأموم للفاتحة إذا لم يكن للإمام سكنت عند بعض أهل العلم. ولم يقل أحد منهم بجواز قراءة غير الفاتحة إذا كان الإمام يقرأ.
- (١) أخرجه البخاري في جزء القراءة. الأثر ٥٣، والدارقطني ١: ٣١٧-٣١٨، وابن المنذر في «الأوسط» ١: ١٣٢٦، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ١٩٩ - من طريق أبي سنان عبدالله بن أبي الهذيل قال: قلت لأبي بن كعب: «اقرأ خلف الإمام؟ قال نعم» وهذا يحتمل القراءة خلف الإمام مطلقاً أو في السرية أما ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف الأثر ٢٧٧٢، والبيهقي من طريقه في القراءة خلف الإمام الأثر ١٩٨ - عن أبي بن كعب «أنه كان يقرأ خلف الإمام في الظهر والعصر» ففي إسناده شيخ عبدالرزاق يحيى بن العلاء رمي بالوضع. كما في «التقريب» ٢: ٣٥٥.
- وكذا ما أخرجه البخاري في «جزء القراءة» الأثر ٥٢ - من طريق زياد البكائي عن أبي فروة عن أبي المغيرة عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان يقرأ خلف الإمام فهذا ضعيف لأن زياداً البكائي في حديثه لين عن غير ابن إسحاق كما في «التقريب» ١: ٢٦٨، وأبا فروة هو يزيد بن سنان الرهاوي ضعيف كما في «التقريب» ٢: ٣٦٦.
- (٢) أخرجه البخاري في جزء القراءة - الأثر ٥٦ - عن حذيفة أنه كان يقرأ خلف الإمام. وانظر فقرة: ٢٥. وهذا محتمل للقراءة مطلقاً في الصلاة السرية والجهرية سكت الإمام أو لم يسكت ومحتمل أنه في السرية فقط.
- (٣) ذكره عنه البخاري في جزء القراءة، فقرة: ٣٢ حيث قال: قال مجاهد: «إذا لم يقرأ خلف الإمام أعاد الصلاة» ثم قال: وكذلك قال عبدالله بن الزبير وهذا إن ثبت عن عبدالله بن الزبير فهو محتمل للقراءة خلف الإمام مطلقاً في السرية والجهرية، ومحتمل أنه في السرية فقط كما ذكره البخاري عنه في الفقرة ٤٧ - أنه قال: «اقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام».
- (٤) أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» - الأثر ٢٢٣ - عن أنس: «أنه كان يأمر بالقراءة خلف الإمام» وهذا أيضاً محتمل.
- (٥) أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ٢٣١، ٢٣٢ - عن هشام بن عامر قال: «إنا لنقرأ خلف الإمام». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢: ١١١: «رواه =

كما رُوِيَ عن جمع من التابعين منهم: مجاهد بن جبر^(١)، وسعيد ابن جبير^(٢)، والحسن البصري^(٣)، ومكحول^(٤)،

= الطبراني في الكبير ورجاله موثقون». وهذا أيضاً محتمل للقراءة في السرية فقط أو في الحالين.

(١) ذكره عن مجاهد - البخاري في جزء القراءة، فقرة ٣٢ و ٥٨ - بلفظ: «إذا لم يقرأ خلف الإمام أعاد الصلاة». وفي لفظ: «إذا نسي فاتحة الكتاب لا تعد تلك الركعة» وهذا أيضاً محتمل.

(٢) أخرجه عن سعيد بن جبير - عبدالرزاق - الأثران ٢٧٨٩، ٢٧٩٤ عن سعيد بن جبير أنه قال: «لابد أن تقرأ بأم القرآن مع الإمام، ولكن من مضى كانوا إذا كبر الإمام سكت ساعة، لا يقرأ قدر ما يقرؤون أم القرآن» وفي إسناده: عبدالله بن عثمان بن خيثم «صدوق» كما في التقريب ١: ٤٣٢ وبقية رجاله ثقات. وقد أخرجه أيضاً البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٣٧، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٤٠ وذكره البخاري في «جزء القراءة» فقرة ٣٤، ٢٧٣.

(٣) أخرجه عن الحسن ابن أبي شيبه ١: ٣٧٤، والبيهقي في القراءة خلف الإمام الأثر ٢٤٢ - عن الحسن أنه كان يقول: اقرأ خلف الإمام في كل ركعة بفاتحة الكتاب بنفسك وإسناده عند ابن أبي شيبه صحيح.

وأخرج عبدالرزاق في المصنف - الأثران ٢٧٩٠، ٢٧٩٢، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٤١ - من طريق معمر عن سمع الحسن يقول: «اقرأ بأم القرآن جهر الإمام أو لم يجهر فإذا جهر ففرغ من أم القرآن فاقراً بها أنت».

(٤) أخرجه عبدالرزاق - الأثر ٢٧٦٩ - عن مكحول أنه كان يقرأ بفاتحة الكتاب فيما جهر الإمام وفيما لا يجهر، وأخرجه أبو داود في الصلاة - الحديث ٨٢٥، والبيهقي في القراءة خلف الإمام الأثر ٢٤٠ عن مكحول: «اقرأ يعني الفاتحة فيما جهر به الإمام إذا قرأ بفاتحة الكتاب وسكت سراً وإن لم يسكت اقرأ بها قبله ومعه وبعده لا تتركها على حال».

وفي رواية في الأثر ٢٤٦ - عن موسى بن يسار قال سمعت مكحولاً يقرأ بأم الكتاب خلف الإمام وإنه ليقراً» وأخرج ابن عبدالبر في «الاستدكار» ٢: ١٩٠ - عن الأوزاعي قال: «أخذت القراءة مع الإمام عن عبادة بن الصامت ومكحول».

وأبو المليح^(١)، وأبو سلمة بن عبدالرحمن^(٢)، وميمون بن مهران^(٣)،
ومالك بن عون^(٤)، والشعبي^(٥)، وأبو مجلز^(٦)،
وسعيد بن أبي عروبة، والحكم بن عتيبة^(٧)، وعروة ابن

- (١) أبو المليح هو: أبو المليح بن أسامة الهذلي.
وقد أخرج هذا القول عنه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٥ - من طريق إسماعيل بن عُلَيْه عن يحيى بن أبي إسحاق قال صليت المغرب والحكم بن أيوب إمامنا، وأبو مليح إلى جنب ابن أسامة فسمعته يقرأ بفاتحة الكتاب. وفي إسناده: يحيى بن أبي إسحاق: «صدوق ربما أخطأ» كما في «التقريب» ٢: ٣٤٢.
- (٢) أخرجه عن أبي سلمة بن عبدالرحمن: البخاري في جزء القراءة - الأثر ٢٧٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٣٩ قال: «للإمام سكتان فاغتموا القراءة فيهما بفاتحة الكتاب» وهذا ظاهر أن المأموم يقرأ الفاتحة في الصلاة الجهرية لكن في سكتات الإمام.
- (٣) ذكره عن ميمون البخاري في جزء القراءة، فقرة ٣٠ - أنه يرى القراءة خلف الإمام وإن جهر.
- (٤) ذكره عن مالك بن عون - البخاري في جزء القراءة، فقرة ٤٦، وابن المنذر في «الأوسط» ٣: ١٠٨، ١١٠.
- (٥) أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» - الأثر ٢٤٤ - عن الشعبي قال: «اقرأ في خمسين وراء الإمام».
- وقد أخرج ابن أبي شيبة ١: ٣٧٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٤٣ - عن الشعبي أنه كان يقول: «اقرأ خلف الإمام في الظهر والعصر بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الآخرين بفاتحة الكتاب».
- وفي رواية لهما «أنه كان يُحسِّن القراءة خلف الإمام» وفي رواية لابن أبي شيبة فقط أنه يقول: «أنت بالخيار».
- (٦) أخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٥ - عن أبي مجلز، قال: «إن قرأت فحسن، وإن لم تقرأ أجزأتك قراءة الإمام».
- إن صح هذا عن أبي مجلز فهو يحتمل أنه أراد القراءة في الصلاة السرية أو فيها وفي الجهرية في حال سكوت الإمام. ويبعد أن يحمل ذلك منه على القراءة في الجهرية في حال قراءة الإمام وعدم سكوته لأنه يرى فيما يظهر من كلامه أن القراءة سنة.
- (٧) ذكره البخاري في جزء القراءة عن سعيد في الفقرة ٤٦، وعن الحكم في الفقرة ٢٧٣.

الزبير^(١)، وعطاء^(٢). وقال بهذا القول الإمام الشافعي في الجديد، وأكثر أصحابه^(٣). والأوزاعي^(٤)، والليث بن سعد^(٥)، وأبو ثور^(٦)، وهو رواية عن مالك^(٧) وأحمد^(٨).

(١) أخرجه - عبدالرزاق - الأثر ٢٧٩١ - عن طريق شريك بن أنس عن عمرو بن الزبير قال: «إذا قال الإمام (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قرأت بأم القرآن، أو بعدما يفرغ من السورة التي بعدها».

وقد أخرج البخاري في جزء القراءة - الأثر ٢٧٦، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام - الأثران ٢٣٨، ٣٠٣ - كلهم من طريق هشام بن عمرو عن أبيه قال: «اسكتوا فيما يجهر واقرؤوا فيما لا يجهر».

وأخرج البيهقي - أيضاً - الأثر ٣٣١ - من طريق هشام عن أبيه، أنه كان يقرأ خلف الإمام فيما لم يجهر فيه الإمام بالقراءة.

(٢) أخرجه عبدالرزاق - الأثر ٢٧٨٨، والبخاري في جزء القراءة - الأثر ١٠٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٣٠٤ - عن عطاء قال: «إذا كان الإمام يجهر فليبادر بقراءة أم القرآن، أو ليقرأ بعدما يسكت، فإذا قرأ فليصمت، كما قال الله عز وجل»، وفي رواية لعبد الرزاق: «إذا لم تفهم قراءة الإمام فاقراً إن شئت أو سبح» وفي رواية له «أما أنا فاقراً مع الإمام في الظهر والعصر بأم القرآن وسورة قصيرة» الأثران ٢٧٧٩، ٢٧٨٦. وقد أخرج عبدالرزاق - أيضاً - عنه قال: «تجزئ قراءة الإمام عن وراءه... وأحب أن تقرؤوا معه»، وفي رواية أنه سئل أيجزئ عن وراء الإمام قراءته فيما يرفع به الصوت، وفيما يخافت؟ قال: نعم» الأثران ٢٨١٦، ٢٨١٨.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي ص ٧٧، «المهذب» ١: ٧٩، المجموع ٣: ٢٩٤.

(٤) أخرجه عن الأوزاعي - البيهقي في القراءة خلف الإمام الأثر ٢٤٧، وابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٩٠، وفي «التمهيد» ١١: ٣٩، ٤١، وذكره عنه ابن المنذر في «الأوسط» ٣: ١٠٨، ١١٠، وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٩٨، ٣١٠، ٣٣٠.

(٥) ذكره عن الليث ابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٨٩، وفي «التمهيد» ١١: ٣٩، ١٤، وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣٠١.

(٦) ذكره عن أبي ثور ابن المنذر في «الأوسط» ٣: ١٠٨، وابن عبد البر في كتابيه السابقين.

(٧) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٩.

(٨) انظر: «مسائل الإمام أحمد رواية النيسابوري» ص ٥١، «مسائل الإمام أحمد» لأبي داود ص ٣١-٣٢.

واختار هذا القول بعض المحققين من أهل العلم، منهم البخاري^(١)، وأبو بكر بن المنذر^(٢)، وأبو بكر بن خزيمة^(٣)، والخطابي^(٤)، والبيهقي^(٥)، وابن حزم^(٦)، والحازمي^(٧).

وأبو البركات جد شيخ الإسلام ابن تيمية^(٨)، والقرطبي^(٩)، وأبو الطيب محمد شمس الحق آبادي^(١٠)، والشوكاني^(١١)، وأحمد محمد شاكر^(١٢).

واتفقوا على وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة السرية.

واختلفوا في حكم قراءتها في حال جهر الإمام بالقراءة، فقال

بعضهم بوجوب ذلك منهم الشافعي والبخاري وابن حزم والشوكاني

- (١) في كتابه «خير الكلام في القراءة خلف الإمام». انظر ص ١٣، فقرة ١٨ وما بعدها، وفي صحيحه انظر: «صحيحه مع فتح الباري ٢: ٢٣٦.
- (٢) أبو بكر بن المنذر هو: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة ٣١٨هـ. قال في كتابه «الأوسط» ٣: ١١٠-١١١: «يقرأ في السرية، وإذا لم يسمع، فإن سمع لا يقرأ إلا في سكتات الإمام وعند وقفاته، وإذا ركع إذا لم يمكن».
- (٣) هو أبو بكر محمد بن إسحاق النيسابوري، صاحب الصحيح المعروف بـ«صحيح ابن خزيمة»، وانظر: «صحيحه» ٣: ٣٦.
- (٤) في «معالم السنن» ١: ١٧٧.
- (٥) في كتابه «القراءة خلف الإمام» ص ١١٣ وما بعدها وص ٢٨٧.
- (٦) في «المحلى» ٣: ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٣.
- (٧) انظر: «الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار» ص ٩٩-١٠٠.
- (٨) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٣: ٢٦٧، ٢٩٨، ٣٣٠، ٣٤٢.
- (٩) في «تفسيره» ١: ١١٩، ١٢٤.
- (١٠) هو صاحب كتاب: التعليق المغني على الدارقطني. انظر: ١: ٣١٨ من هذا الكتاب، حاشية سنن الدارقطني.
- (١١) في «نيل الأوطار» ٢: ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢.
- (١٢) انظر: «تعليقه على سنن الترمذي» ٢: ١٢٦.

وغيرهم، وقال بعضهم باستحبابه فقط منهم الأوزاعي والليث بن سعد وأبو البركات. والأولى عندهم جميعاً أن تكون في سكتات الإمام. الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا القول:

أ- من الكتاب: قول الله تعالى: ﴿فَأَقْرءُ وَأَمَّا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(١).

ب- ومن السنة أحاديث كثيرة جداً منها ما يأتي:

١- ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - في قصة المسيء صلواته، وأن النبي - ﷺ - قال له: «اقرأ ما تيسر معك من القرآن»^(٢).

قالوا: ووجه الدلالة من الآية، والحديث: أن الأمر للوجوب في الآية والحديث بقراءة ما تيسر، والفتاحة هي أيسر ما تيسر من القرآن. والآية والحديث كل منهما مبيّن مفسّر بالأحاديث التالية، التي فيها وجوب قراءة الفتاحة.

٢- ما رواه عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفتاحة الكتاب» متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «لا صلاة لمن يقرأ بأمر القرآن»^(٣).

وفي رواية للدارقطني^(٤) والبيهقي^(٥): «لا تجزيء صلاة لا يقرأ

(١) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٢) سبق تخريجه في المسألة السابقة.

(٣) سبق تخريجه في أسماء الفتاحة في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب.

(٤) في «السنن» ١: ٣٢٢ قال الدارقطني: «هذا إسناد صحيح».

(٥) في «القراءة خلف الإمام» الحديث ٢٠.

الرجل فيها بفاتحة الكتاب»^(١)

قالوا: فقلوه: «لا صلاة» صلاة نكرة في سياق النفي، فهو يعم^(٢). وهو نفي للصلاة الشرعية المجزئة بدليل رواية الدارقطني والبيهقي: «لا تجزيء صلاة لا يقرأ الرجل فيها بفاتحة الكتاب» قالوا: وهذا العموم لم يخص منه المأموم^(٣).

٣- ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج - ثلاثاً، غير تمام، فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الحديث رواه مسلم^(٤).

٤- وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب، فهي خداج» رواه ابن ماجه وغيره^(٥).

٥- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله - ﷺ -

(١) صحح هذه الرواية يحيى بن سعيد القطان. انظر «نصب الراية» ٣: ٣٦٥-٣٦٦، وانظر: «تنقيح التحقيق» ٢: ٨٣٧، «التعليق المغني» ١: ٣٢٣.
(٢) انظر: «تنقيح التحقيق» ٢: ٨٣٨.
(٣) انظر: «الأوسط» ٣: ١٠٧، «الاستذكار» ٢: ١٨٩.
(٤) في الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة - الحديث ٣٩٥.
(٥) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة، في المبحث الثاني، من الفصل الأول، من هذا الباب. وقال الألباني «حسن صحيح».

قال: «كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب، فهي خداج فهي خداج»
رواه ابن ماجه وغيره^(١).

قالوا: ووجه الدلالة من حديث أبي هريرة، وما في معناه من الأحاديث أن الخداج هو الفساد والنقصان الذي لا تجزىء معه الصلاة من قولهم: أخذجت الناقة إذا ولدت نتاجا فاسدا قبل وقتها، وقبل تمام الخلق^(٢).

وقالوا: ومما يدل على أن المراد بالخداج النقصان، الذي لا تصح الصلاة معه ولا تجزىء، وأن ذلك يشمل المنفرد والإمام والمأموم قول أبي هريرة: «اقرأ بها في نفسك»^(٣).

٦- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «في كل صلاة يقرأ، فما أسمعنا رسول الله - ﷺ - أسمعناكم، وما أخفى عنا أخفينا عنكم، وإن لم تزد على أم القرآن أجزاء، وإن زدت فهو خير» متفق عليه^(٤).
قالوا: فقوله «وإن لم تزد على أم القرآن أجزاء» يدل على أنه لا تجزىء الصلاة بدون أم القرآن، وأن قراءتها في الصلاة أقل المجزىء. وأن الزيادة عليها خير: أي مستحبة وليست واجبة.

(١) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة، في المبحث الثاني، من الفصل الأول، من هذا الباب. وقال الألباني «حسن صحيح».

(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١: ٦٥، «معالم السنن» ١: ٢٠٣، «الاستذكار» ٢: ١٦٧، «النهاية» مادة «خدج».

(٣) انظر: «صحيح ابن خزيمة» ١: ٢٤٨٢٤٧، «القراءة خلف الإمام» لليهقي ص ٣٥.

(٤) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة، في المبحث الثاني، من الفصل الأول، من هذا الباب.

٧- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «أمرني رسول الله - ﷺ - أن أنادي أنه لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب، فما زاد» رواه أبو داود^(١).

٨- وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر» رواه أبو داود^(٢).

٩- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأمر القرآن» رواه ابن خزيمة وابن حبان^(٣).

قالوا: فهذه الأحاديث الثلاثة كحديث أبي هريرة الذي قبلها تدل على وجوب قراءة الفاتحة، وأنه لا تصح الصلاة، بل ولا تجزئ بدونها، سواء كان المصلي إماماً أو منفرداً أو مأموماً.

كما استدلوا بالأحاديث التي فيها النهي عن القراءة خلف الإمام - إذا جهر - فيما عدا الفاتحة.

١٠- فعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: «كنا خلف رسول الله - ﷺ - في صلاة الفجر، فقرأ رسول الله - ﷺ - فنقلت عليه القراءة، فلما فرغ قال: لعلكم تقرؤون خلف إمامكم؟ قلنا: نعم يارسول الله. قال: لاتفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ

(١) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة.

(٢) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة.

(٣) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة. وقال مقلب الوادعي في «تعليقه على الحديث في تفسير ابن كثير ١: ٢٧» وهو على شرط مسلم.

بها» (١).

- (١) أخرجه أبو داود في الصلاة - باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب، الحديثان ٨٢٤-٨٢٣.
- والنسائي في الافتتاح - باب قراءة أم القرآن خلف الإمام فيما جهر به الإمام ١٤١:٢، والترمذي - في الصلاة - باب ماجاء في القراءة خلف الإمام - الحديث ٣١١، وقال: «حديث حسن»، وأحمد ٥: ٣١٣، ٣١٦، ٣٢٢.
- وابن أبي شيبة ١: ٣٧٣، والبخاري في جزء القراءة خلف الإمام - الأحاديث ٦٤-٦٧، ٢٥٨-٢٥٧.
- وابن خزيمة في «صحيحه» في الإمامة - باب القراءة خلف الإمام وإن جهر الإمام ٣٦:١، وابن المنذر في «الأوسط» الحديث ١٣٢١، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٥، والدارقطني في الصلاة - باب وجوب قراءة أم الكتاب في الصلاة وخلف الإمام ١: ٣١٨-٣٢٠ وقال: «حديث حسن، ورجاله كلهم ثقات». وابن حبان في صحيحه الحديثان ١٧٧٦-١٧٨٣، والطبراني في «المعجم الصغير» ٢٣٠-٢٣١، والحاكم في كتاب الصلاة ١: ٢٣٨، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ١٠٨-١١٣، بطرقه وصح بعضها.
- وابن عبد البر في «التمهيد» ١١: ٤٤، وابن حجر في «نتائج الأفكار» ١: ٤٣٢-٤٣٤ وقال: «هذا حديث حسن».
- وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢: ١١٠، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثوقون».
- وهذا الحديث صححه جمع من أهل العلم، وضعفه آخرون.
- فقد حسنه الترمذي، وابن خزيمة، والدارقطني، والبيهقي، والهيثمي، وابن حجر، وقال ابن حجر في «تلخيص الحبير» ١: ٢٣١: «حديث عبادة الذي رواه أحمد والبخاري في جزء القراءة وصححه أبو داود والترمذي والدارقطني، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي من طريق ابن إسحاق حدثني مكحول عن محمود بن ربيع عن عبادة، وتابعه زيد بن واقد وغيره عن مكحول».
- وقال ابن المنير في «خلاصة البدر المنير» ١: ١١٩: «وقال الخطابي في «معالم السنن» ١٧٧: ١ «إسناده جيد، لا مطعن فيه».

١١- وعن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - صلى بأصحابه، فلما قضى صلاته أقبل عليهم بوجهه، فقال: «أتقروون في صلاتكم والإمام يقرأ؟ فسكتوا، فقالها ثلاث مرات، فقال قائل أو قائلون: إنا لنفعل. قال: فلا تفعلوا، وقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب في نفسه»^(١).

وقال الحاكم: «إسناده مستقيم».

وانظر: «تنقيح التحقيق» ٢: ٨٥١-٨٥٥.

وممن احتج بهذا الحديث سماحة شيخنا الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز حفظه الله. وقد ضعفه بعض أهل العلم منهم ابن عبدالبر، وابن تيمية وغيرهما. قال الإمام أحمد: «لم يروه غير ابن إسحاق» وتعقبه ابن قدامة في «المغني» ٢: ٢٦٣-٢٦٤ بأنه «رواه أبو داود عن مكحول عن نافع بن محمود بن الربيع الأنصاري هو أدنى حالاً من ابن إسحاق فإنه غير معروف من أهل الحديث». قال ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٤٦ - بعدما أشار إلى اضطراب إسناده: «ومثل هذا الاضطراب لا يثبت فيه عند أهل العلم بالحديث شيء، وليس في هذا الحديث ما لا مطمئن فيه من جهة الإسناد غير حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة». يعني حديث «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» المتفق على صحته. لكن ابن عبدالبر قال في «الاستذكار» ٢: ١٩٠ عن حديث عبادة الذي فيه «لا تفعلوا إلا بأم القرآن»: «متصل مسند من رواية الثقات».

وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٨٦-٢٨٧: «هذا الحديث معلل عند أئمة الحديث بأمر كثيرة، ضعفه أحمد وغيره من الأئمة... والصحيح قول النبي - ﷺ -: «لا صلاة إلا بأم القرآن» فهذا هو الذي أخرجه في الصحيحين، ورواه الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة».

وأما هذا الحديث فغلط فيه بعض الشاميين وأصله أن عبادة كان يؤم بيت المقدس، فقال هذا فاشتبه عليهم المرفوع بالموقوف على عبادة».

وقال - أيضاً - ٢٢: ٣٤٠ «الحديث لم يخرج في الصحيح، وضعفه ثابت من وجوه وإنما هو قول عبادة بن الصامت».

كما ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» الحديث ١٧٦، «ضعيف سنن الترمذي» الحديث ٤٩، «وضعيف سنن النسائي» الحديث ٣٩.

(١) أخرجه البخاري في جزء القراءة - الحديث ٢٥٥، وابن حبان في صحيحه الحديث =

١٢- وعن محمد بن أبي عائشة عن رجل من أصحاب النبي - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لعلكم تقرؤون والإمام يقرأ. قالوا: إنا لنفعل قال: لا، إلا بأن يقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب»^(١).

١٣- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أتقرؤون خلفي؟ قالوا نعم يا رسول الله، إنا لنهذه هذا قال: لا تفعلوا إلا بأمر القرآن»^(٢).

قالوا: فحديث عبادة «لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب...» وما في معناه من الأحاديث التي تشهد له، كلها نص في وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في نفسه واستثنائها من النهي عن القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة، ووجوب قراءتها إذا أسر الإمام في القراءة من باب أولى.

كما استدلووا بالأحاديث والآثار التي تدل على وجوب قراءة

= ١٨٣٥، وأبو يعلى في «مسنده» ١: ١٤١، والبيهقي في «سننه» ٢: ١٦٦، وفي «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ١٣٩-١٥١، ٣٨٦، ٣٨٧. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢: ١١٠: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات».

(١) أخرجه عبدالرزاق - في الصلاة - باب القراءة خلف الإمام، الحديث ٢٧٦٦، وابن أبي شيبه ١: ٣٧٤، وأحمد ٤: ٢٣٦، وقال الهيثمي ٢: ١١١: «ورجاله رجال الصحيح»، والبخاري في جزء القراءة خلف الإمام - الحديث ٦٧، والدارقطني ١: ٣٤٠، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ١٥٤-١٦٠.

قال ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ٩٠ «منقطع، مرسل» وقال ابن حجر في «تلخيص الحبير» ١: ٢٣١: «إسناده حسن».

(٢) أخرجه البخاري في جزء القراءة - الحديث ٦٣، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ١٦٧.

الفاتحة خلف الإمام في الصلاة السرية .

١٤- وعن جابر بن عبد الله قال: «كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الآخرين بفاتحة الكتاب» رواه ابن ماجه^(١).

قالوا: فهذا الحديث وما في معناه من الأحاديث والآثار^(٢)، تدل على ملازمة الصحابة - رضي الله عنهم - على قراءة الفاتحة في الصلاة السرية خلف الإمام . وقول الصحابي كنا نفعل كذا في عهد الرسول - ﷺ - من قبيل المرفوع .

١٥- وعن عبدالله بن أبي أوفى قال: جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: «إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً فعلمني ما يجزئني منه، قال: قل سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...»^(٣)

قالوا: ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن الرسول - ﷺ - علم من لا يحسن القرآن ما يقوم مقامه، ولم يأمره بالالتزام حتى تسقط عنه

(١) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب .
وصححه الألباني .

(٢) تجد بعضها منها في المسألة الأخيرة من المبحث الثاني في هذا الفصل حكم قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة .

(٣) أخرجه أبو داود - في الصلاة - ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة - الحديث ٨٣٢، والنسائي في افتتاح الصلاة - باب ما يجزئ من القراءة ممن لا يحسن القرآن - الحديث ٨٨٥، وعبدالرزاق - الحديث ٢٧٤٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ١٨٤ - وحسنه الألباني .

القراءة^(١).

إلى غير ذلك من الأحاديث^(٢).

١٦- كما استدلوا بالآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، في القراءة خلف الإمام مطلقاً في السرية والجهرية^(٣).

١٧- وقالوا: إن الإمام لا يتحمل عن المأموم شيئاً من الركوع والسجود، بل لا يتحمل عنه شيئاً من السنن والمستحبات، فكيف يتحمل قراءة الفاتحة التي هي من الواجبات^(٤).

١٨- وقالوا أيضاً: إن قراءة الفاتحة خلف الإمام لا تبطل الصلاة بالإجماع، حتى ولا في الصلاة الجهرية، وإنما يفوته الاستماع فقط، وإنما تبطل الصلاة بترك قراءتها عند كثير من أهل العلم وخاصة في الصلاة السرية^(٥).

قالوا: فهذه الأدلة تدل على وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة مطلقاً سواء كانت الصلاة سرية أو جهرية وسواء كان المصلي إماماً أو مأموماً أو منفرداً فهي مخصصة لعموم قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾

(١) انظر: «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص ٨٨.

(٢) انظر: «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص ٨٥.

(٣) تقدم ذكر المروي عن الصحابة والتابعين في ذكر القائلين بهذا القول.

(٤) انظر: «خير الكلام في القراءة خلف الإمام» ص ٢٧، القراءة خلف الإمام للبيهقي ص ٢١٩-٢٢٣.

(٥) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩٣، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣١٠.

فَأَسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٤﴾ ﴿١﴾ . والسنة تخصّص القرآن بلا خلاف (٢) .

ومخصّصة لعموم قوله - ﷺ - في حديث أبي موسى وحديث أبي هريرة: «وإذا قرأ فانصتوا» (٣) .

بل ومخصّصة لعموم حديث جابر «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» (٤) على فرض صحته: أي فقراءته له قراءة فيما عدا الفاتحة التي خصها الدليل بوجوب قراءتها على كل مصل إماماً كان أو مأموماً أو منفرداً. ويدل على التخصيص حديث عبادة: «فلا تفعلوا إلا بأمر القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها» (٥) .

والأولى أن يقرأ المأموم الفاتحة في سكتات الإمام إذا كان له سكتات، فإن لم يكن له سكتات قرأ معه (٦) .

والأولى إذا لم يكن للإمام سكتات أن يقرأ معه حال قراءة الإمام للسورة. أما حال قراءة الإمام الفاتحة فإن الأولى بالمأموم أن يستمع، لأن قراءة الفاتحة واجبة بخلاف قراءة ما بعدها، والاستماع لقراءة

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤ .

(٢) وقد حمل البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ص ١١٣ وما بعدها الآية على النهي عن كلام الناس في الصلاة، لا عن الذكر والقرآن والتسبيح مستدلاً بالأحاديث الصحيحة في النهي عن الكلام كحديث زيد بن أرقم وابن مسعود في الصحيحين وغيرهما .

(٣) سيأتي ذكرهما وتخريجهما ضمن أدلة القول الثاني .

(٤) سيأتي ذكره وتخريجه وذكر كلام أهل العلم عليه ضمن أدلة القول الثاني .

(٥) سبق ذكره بتمامه وتخريجه ضمن أدلة هذا القول .

(٦) انظر: «الأوسط» ٣: ١٠٧، «المحلى» ٣: ٢٣٦-٢٤٣، «الاستذكار» ٢: ١٩١ .

الواجب أولى من الاستماع لغير الواجب^(١).

وإذا نسي المأموم قراءة الفاتحة، أو سها عن ذلك، أو جهل وجوبها، سقط عنه وكفته قراءة الإمام على الصحيح. وكذا إذا أدرك الإمام راکعاً لفوات محلها، لحديث أبي بكرة - رضي الله عنه - : «أنه انتهى إلى النبي - ﷺ - وهو راکع فرکع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي - ﷺ - فقال: زادك الله حرصاً، ولا تعد»^(٢).

وقد أجمع العلماء على هذا.

قال القرطبي^(٣): «وأما المأموم فإن أدرك الإمام راکعاً فالإمام يحمل عنه القراءة، ولإجماعهم على أنه إذا أدركه راکعاً أنه يكبر ويرکع، ولا يقرأ شيئاً».

القول الثاني:

أن المأموم يقرأ خلف الإمام في الصلاة السرية، ولا يقرأ في الصلاة الجهرية، بل ينصت لقراءة الإمام.

وهذا هو الثابت - والله أعلم - عن علي بن أبي طالب - رضي الله

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣١٣.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان - باب إذا ركع دون الصف، الحديث ٧٨٣، وأبو داود في الصلاة - باب الرجل يركع دون الصف، الحديثان ٦٨٣، ٦٨٤، والنسائي في الإمامة، باب الركوع دون الصف، الحديث ٨٣٩، وأحمد ٥: ٣٩، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٥٠.

(٣) في «تفسيره» ١: ١١٨، وانظر: «خير الكلام في القراءة خلف الإمام» فقرة ٢١، «المغني» ٢: ٢٦٢-٢٦٣، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص ٩٦-١١٥.

عنه (١) -

(١) أخرجه عن علي - البخاري في جزء القراءة - الأثران ١، ٥٤، وابن أبي شيبة ١: ٣٧١، ٣٧٣، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٢، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢٠٦، ٢٠٩، والدارقطني ١: ٣٢٢، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ١٩٨، ٤٢٥ من طريق الزهري عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : «إذا لم يجهر الإمام في الصلوات فاقراً بأمر الكتاب وسورة أخرى في الأوليين من الظهر والعصر، وبفاتحة الكتاب في الآخرين من الظهر والعصر، وفي الآخرة من المغرب وفي الآخرين من العشاء».

وقال الدارقطني: «إسناده صحيح» وقال ابن عبد البر في «التمهيد» ١١: ٣٥: «أصح شيء عن علي ما رواه الزهري».

وهذا والله أعلم يفسر ما رواه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٣ من طريق الحكم وحماد: «أن علياً كان يأمر بالقراءة خلف الإمام» - إن صح هذا - على أن المراد به الأمر بالقراءة خلف الإمام فيما أسر فيه بالقراءة.

كما يفسر ما رواه عبدالرزاق الأثر ٢٨٠٥ - عن علي «أنه كان ينهى عن القراءة خلف الإمام - إن صح هذا أيضاً - على أن المراد به القراءة حال جهر الإمام بالقراءة».

وأما ما أخرجه عبدالرزاق الآثار ٢٨٠١، ٢٨٠٤-٢٨٠٦، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٦، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٩، والدارقطني ١: ٣٣١-٣٣٢ عن علي أنه قال: «من قرأ مع الإمام، أو خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة».

فقد ضعفه أكثر أهل العلم فقال البخاري في جزء القراءة، فقرة: (٣٨) «لا يصح»، وقال الدارقطني في سنته: ١: ٣٣٢: «لا يصح إسناده»، وقال ابن حبان في كتاب الضعفاء: «باطل ويكفي في ضعفه إجماع المسلمين على خلافه».

وقال ابن عبد البر في «الاستذكار»

٢: ١٩٢: «هذا لو صح يحتمل أن يكون في صلاة الجهر، لأنه حينئذ يكون مخالفاً للكتاب والسنة، فكيف وهو غير ثابت عن علي».

وقال في «التمهيد» ١١: ٤٩-٥٠: «هذا الخبر لو صح كان معناه من قرأ مع الإمام فيما جهر فيه بالقراءة فقد أخطأ الفطرة، لأنه حينئذ خالف الكتاب والسنة فكيف وهو خير غير صحيح، وقد عارض هذا الخبر عن علي ما هو أثبت منه، وهو خبر الزهري عن عبدالله بن أبي رافع عن علي».

وقال أيضاً ١١: ٥١ - بعدما ذكر ضعف ما روي عن سعد بن أبي وقاص في هذا قال:

«وكذلك كل ما روي عن علي في هذا الباب فمتقطع لا يثبت، ولا يتصل، وليس عنه =

وهومروي أيضاً عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه^(١) - وعن ابنه عبدالله بن عمر بن الخطاب^(٢)، وعبدالله بن

فيه حديث متصل غير حديث عبدالله بن أبي ليلي، وهو مجهول، وزعم بعضهم أنه أخو عبدالرحمن بن أبي ليلي ولا يصح حديثه، ولا أعلم في هذا الباب صاحباً صح عنه بلا اختلاف أنه قال مثل ما قال الكوفيون إلا جابر بن عبدالله وحده.

وذكر البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ص ١٨٩ أنه موقوف على علي بإسناد رواه ضعيف يكفي ذكره واختلاف الرواة فيه عن بيان ضعفه.

ثم ذكر رواياته واختلافها، وعدم صحتها - الآثار ٤١٤ - ٤٢٣.

(١) سبق تخريجه عن عمر ص ٣٥٦، ٣٥٧ وأسانيد - والله أعلم - لا تثبت كما سبق بيان ذلك.

(٢) أخرجه عن ابن عمر - عبدالرزاق - الأثر ٢٨١١، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٥، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٣٣٠ - من طريق ابن شهاب عن سالم أن ابن عمر كان يقول: «ينصت للإمام فيما يجهر به في الصلاة، ولا يقرأ معه». ذكر ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٣٦: «أن هذا أصح ما روي عن ابن عمر». وأخرج مالك في «الموطأ» الأثر ١٨٩، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢٢٠، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٣٩٨ - من طريق نافع عن ابن عمر قال: «إذا صلى أحدكم خلف الإمام فحسبه قراءة الإمام، وإذا صلى وحده فليقرأ. وكان عبدالله بن عمر لا يقرأ خلف الإمام».

قال ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٨٤: «وهذا الحديث عن ابن عمر يدل ظاهره على أنه كان لا يقرأ خلف الإمام، ولا يرى القراءة خلفه جملة، في السر، ولا في الجهر، ولكن مالكا - رحمه الله - أدى ما سمع من نافع كما سمعه، وبلغه عن ابن عمر: أن مذهبه كان أنه لا يقرأ خلف الإمام فيما يجهر فيه، دون ما أسر، فأدخل حديثه في هذا الباب، كأنه قيده بترجمة الباب، وبما علم من المعنى فيه ثم استدلل ابن عبدالبر على هذا بما أخرجه عبدالرزاق من طريق ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر - ثم قال: «وكل من روى عن نافع عن ابن عمر من رواية مالك وغيره من الألفاظ المجملة في هذا الحديث فإنه يفسره ويقضي عليه حديث ابن شهاب عن سالم هذا والله أعلم». وذكر نحواً من هذا في «التمهيد» ١١: ٣٦-٣٧، وقال البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ص ١٨٣ «ورواية سالم عن ابن عمر تدل على صحة ما حمل مالك ابن أنس - رحمه الله - عليه رواية نافع».

مغفل^(١)، وعبدالله بن مسعود^(٢).

قلت: كما قد يفسر حديث ابن شهاب عن سالم ما أخرجه عبدالرزاق الأثران ٢٨١٤-٢٨١٥ من طريق زيد بن أسلم، وابن ذكوان عن ابن عمر أنه كان ينهى عن القراءة خلف الإمام، أو لا يقرأ خلف الإمام - إن صح هذا - على أن المراد به النهي عن القراءة أو تركها إذا جهر الإمام بالقراءة. لكن أخرج الطحاوي ١: ٢١٩ - عن ابن عمر وزيد بن ثابت وجابر أنهم قالوا: لا تقرأوا في شيء من الصلوات. وهذا - إن صح عن ابن عمر - لا يمكن حمله على ما سبق، فالله أعلم.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧١، والبخاري في جزء القراءة خلف الإمام الأثر ٦١، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٦، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٣٥ - عن عبدالله بن مغفل أنه كان يأمر بالصلاة التي لا يجهر فيها الإمام - أن يقرأ في الصلاة في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الأخيرين بفاتحة الكتاب.

(٢) أخرجه عبدالرزاق - الأثر ٢٨٠٣، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٦، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٠، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٩، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ٢٥٧، ٣٧٤، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٣٠ - عن ابن مسعود بلفظ: «أنصت للقرآن فإن في الصلاة شغلا، وسيكتفك ذلك الإمام». قال الهشمي في «مجمع الزوائد» ٢: ١١١ «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثوقون».

قال عبدالله بن المبارك فيما ذكره البخاري في جزء القراءة، فقرة ٢٨، ٢٩: «دل أن هذا في الجهر، وإنما يقرأ خلفه فيما سكت الإمام». وكذا قال ابن عبدالبر: «قوله أنصت» يدل على أن ذلك في الجهر دون السر.

قلت: ويدل على هذا ما أخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٣، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١١، عن عبدالله بن مسعود: أنه قرأ في العصر خلف الإمام في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة.

وهذا كله يُفسر ما روي عنه - عند عبدالرزاق - الأثر ٥٥ - عن ابن أبي مريم سمعت ابن مسعود - رضي الله عنه - يقرأ خلف الإمام - إن صح هذا - على أن المراد به القراءة في الصلاة السرية.

كما يُفسر ما روي عنه - عند عبدالرزاق - الأثر ٢٨٠٦، والطحاوي ١: ٢١٩ - أنه قال: «من قرأ مع الإمام، أو لبت الذي يقرأ مع الإمام ملء فوه تراباً» - إن صح هذا عنه - على أن المراد به القراءة مع الإمام حال جهر الإمام بالقراءة. علماً أن في إسناد عبدالرزاق شيخة داود بن قيس الصنعاني وهو مقبول كما في «التقريب» ١: ٢٣٤، وفي إسناد الطحاوي: خديج بن معاوية وهو صدوق يخطيء كما في «التقريب» ١: ١٥٦.

وعائشة^(١). وأبي سعيد الخدري، مع اختلاف عنه في ذلك^(٢)،
وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة^(٣) والزهرري^(٤)،

- (١) أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٣ - عن عائشة - رضي الله عنها - قال: «اقرأ خلف الإمام فيما يخافت به».
- والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثران ٢٢١ - ٢٢٢ - عن عائشة أنها تأمر بالقراءة خلف الإمام في الظهر والعصر في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وشيء من القرآن، وفي الأخيرين بفاتحة الكتاب.
- أما ما ذكره البخاري عنها في جزء القراءة، فقرة ١٣٤ بعدما أخرج عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - «لا يركع أحدكم حتى يقرأ بأمر القرآن». قال البخاري: «وكانت عائشة تقول ذلك».
- فإن هذا - إن صح - ليس صريحاً في أن عائشة، ولا أبا سعيد يريان القراءة خلف الإمام مطلقاً في الصلاة السرية والجهرية، إذ قد يصح حمله على القراءة في الصلاة السرية، بل لو قيل بحمله على من يصلي منفرداً لما امتنع قبول ذلك.
- (٢) فقد أخرج البخاري في جزء القراءة - الأثر ٥٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» عن أبي نضرة قال: سألت أبا سعيد عن القراءة خلف الإمام، فقال: «فاتحة الكتاب وفي إسنادهما العوام بن حمزة المازني: صدوق ربما وهم كما في «التقريب» ٢: ٨٩. وأخرج البخاري - الأثر ١٣٣ - عن عبدالرحمن بن هرم قال: قال أبو سعيد: «لا يركع أحدكم حتى يقرأ بأمر القرآن».
- فهذان الأثران - إن صحا - عن أبي سعيد - قد يؤخذ منهما أنه يرى القراءة خلف الإمام مطلقاً حتى في الصلاة الجهرية. لكن أخرج ابن أبي شيبة ١: ٣٧٧ - عن أبي هارون قال: سألت أبا سعيد عن القراءة خلف الإمام، فقال: «يكفيك ذاك الإمام» فهذا - إن صح عن أبي سعيد - يدل على أن المراد بالأثرين السابقين القراءة في السرية. والأمر محتمل فإله أعلم.
- (٣) أخرجه عبدالرزاق - الأثر ٢٧٧٥، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٣ - بإسناد صحيح - والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٤٥ - كلهم من طريق حصين بن عبدالرحمن قال: «سمعت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة يقرأ في الظهر والعصر مع الإمام...» وليس في رواية ابن أبي شيبة والبيهقي «في الظهر والعصر». وقد ذكر هذا القول عن عبيد الله، وأنه يقرأ خلف الإمام. ابن عبد البر في «التمهيد» ١١: ٢٨، و«الاستذكار» ٢: ١٨٦.
- (٤) أخرجه عن الزهري - عبدالرزاق - الأثر ٢٧٨٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» =

وقتادة^(١)، وسعيد بن المسيب^(٢)، والحكم بن عتيبة^(٣)، والقاسم ابن محمد^(٤)، وعروة بن الزبير^(٥)، ونافع بن جبير بن مطعم^(٦)، وسالم ابن عبدالله بن عمر^(٧).

وبه قال الإمام مالك وأصحابه^(٨) وأحمد بن حنبل، إلا أنه قال: إن سمع في صلاة الجهر لم يقرأ، وإن لم يسمع قرأ^(٩)، وذكر ابن

- = الأثران ٢٧٣، ٣٣٢ - أنه ينهى عن القراءة فيما جهر الإمام، ويقرأ فيما لم يجهر الإمام» وذكره ابن عبدالبر في «الاستذكار» ١٨٦:٢.
- (١) أخرجه عبدالرزاق - الأثر ٢٧٨٥ عن قتادة أنه قال: «إذا جهر الإمام فلا تقرأ شيئاً» وذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ٢٨:١١.
- (٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٤، ٣٧٧ عن سعيد قال: «يقرأ الإمام ومن خلفه في الظهر والعصر بفاتحة الكتاب»، وفي رواية قال: «أنصت للإمام»، وذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ٢٨:١١، و «الاستذكار» ١٨٦:٢.
- (٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٤ عن الحكم قال: «اقرأ خلف الإمام فيما لم يجهر في الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الآخرين بفاتحة الكتاب».
- (٤) أخرجه عن القاسم بن محمد - مالك في «الموطأ» الأثر ١٨٧، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٥، وذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٥٤.
- (٥) أخرجه عن عروة مالك في «الموطأ» الأثر ١٨٦، وعبدالرزاق - الأثر ٢٧٩١، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٤، والبخاري في جزء القراءة - الأثر ٢٧٦.
- (٦) أخرجه مالك في «الموطأ» الأثر ١٨٨، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٣٣٢ - عن نافع بن جبير بن مطعم أنه كان يقرأ خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة.
- (٧) ذكره عن سالم ابن عبدالبر في «الاستذكار» ١٨٦:٢، وفي «التمهيد» ١١: ٢٨، ٣٧.
- (٨) انظر: «المدونة» ١: ٦٧، «الموطأ» ص ٦٧-٦٨، «الاستذكار» ٢: ١٨٦-١٨٨، «التمهيد» ١١: ٢٨، ٣٤، ٣٨-٣٧، «الكافي في فقه أهل المدينة» ١: ١٧٠، «بداية المجتهد» ١: ١٥٤، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٤، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٧.
- (٩) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص ٧١، ٧٩ الفقرات ٢٥٤-٢٥٧، ٢٨٠، و «رواية النسابوري» ١: ٥١، و «رواية أبي داود» ص ٣٢، «المغني» ١: ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٨-٢٦٧ «تنقيح التحقيق» ٢: ٨٥٧، «الشرح الكبير» ١: ٣٩٠-٣٩١، «مجموع» =

تيمية^(١) أنه لم يصح عنه غيرها .

وقال به أيضاً عبدالله بن المبارك^(٢)، وإسحاق بن راهويه^(٣) وهو قول الشافعي في القديم^(٤)، وبه قال الأوزاعي وأبو ثور^(٥) وداود^(٦) .

وهو اختيار جمع من المحققين أيضاً منهم :

الطبري^(٧)، وأبو بكر بن العربي^(٨)، وشيخ الإسلام ابن تيمية، قال : «وهو قول جمهور أهل العلم، وأعدل الأقوال»^(٩) .

واختاره - أيضاً - الحافظ ابن كثير^(١٠)، وشيخ الإسلام محمد ابن

= الفتاوى» ٢٣ : ٢٦٩-٢٦٨ .

- (١) في «مجموع الفتاوى» ٢٢ : ٢٩٥، وانظر ٢٣ : ٣٨١ .
- (٢) انظر : «الأوسط» ٣ : ١٠٦، «سنن الترمذي» ٢ : ١٢١، «الاستذكار» ٢ : ١٨٦، «التمهيد» ١١ : ٢٨، «الاعتبار» للحازمي ص ١٠٠، والمغني، ٢ : ٢٥٩، «المجموع» ٣ : ٣٩٦-٣٩٥ .
- (٣) انظر : «الأوسط» ٣ : ١٠٦، «الاستذكار» ٢ : ١٨٦، «التمهيد» ١١ : ٢٨، «الاعتبار» ص ١٠٠، «المغني» ٢ : ٢٥٩ .
- (٤) انظر : «أحكام القرآن» للشافعي ص ٧٧، «المهذب» ١ : ٧٩، «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص ١٠٧، ١١، «تفسير ابن كثير» ١ : ٢٨ .
- (٥) انظر : «الاستذكار» ٢ : ١٩٣ .
- (٦) انظر : «التمهيد» ١١ : ٢٨ .
- (٧) في «تفسيره» ١٣ : ٣٥٢ .
- (٨) في «أحكام القرآن» ١ : ٥٠، قال : «والصحيح عندي وجوب قراءتها فيما يسر، وتحريمها فيما جهر إذا سمع قراءة الإمام لما عليه من فرض الإنصات والاستماع لقراءته، فإن كان عنه في مقام بعيد فهو بمنزلة صلاة السر» .
- (٩) انظر : «مجموع الفتاوى» ٢٣ : ٣٢٧، ٣٣٠، وانظر ٢٩٤-٢٩٧ .
- (١٠) في «تفسيره» ١ : ٢٨، ٦٣ .

عبدالوهاب^(١)، واللكنوي من محققي الأحناف في هذا العصر^(٢).
واختاره من علمائنا المعاصرين فضيلة الشيخ شيخنا محمد بن
ناصر الدين الألباني^(٣)، وفضيلة الشيخ شيخنا صالح بن فوزان بن
عبدالله الفوزان.
واختلفوا في حكم القراءة في الصلاة السرية خلف الإمام، أهي
واجبة أم سنة.
فذهب مالك^(٤)، وأحمد في رواية^(٥) له عدداً بعض أصحابه هي
المشهوره عنه^(٦).
واختارها بعض أصحابه كشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب^(٧)
إلى أن قراءة الفاتحة في الصلاة السرية خلف الإمام سنة.
وذهب الأوزاعي^(٨)

- (١) في «آداب المشي إلى الصلاة» ص ٩٨ باب صلاة الجماعة.
- (٢) كانت وفاته سنة ١٣٠٤ هـ وانظر: كتابه «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص ٢٢٥-٢٢٨ - وهذا الكتاب من خير ما ألف في هذه المسألة، كما سبقت الإشارة إليه.
- (٣) في «صفة صلاة النبي - ﷺ -» له ص ٥٥-٥٧.
- (٤) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٨٩-١٩٣، «التمهيد» ١١: ٥٣ وانظر: المراجع السابقة في ذكر قول مالك.
- (٥) انظر: «مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبدالله» ص ٧٢، ٧٨، فقرة ٢٥٧، ٢٧٨، «التحقيق» ١: ٣٩١.
- (٦) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٦٦.
- (٧) انظر: «آداب المشي إلى الصلاة» ص ٩٨.
- (٨) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩٤، «التمهيد» ١١: ٥٤.

والشافعي^(١) وأبو ثور وإسحاق، وداود^(٢)، وأحمد في رواية عنه^(٣) إلى أن القراءة في الصلاة السرية خلف الإمام واجبة ولا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب. واختار هذا ابن العربي^(٤).

واتفقوا على أنه لا يُشرع قراءة الفاتحة، ولا غيرها حال سماع المأموم لقراءة إمامه.

واختلفوا في حكم من قرأ وهو يسمع قراءة الإمام: فذهب بعضهم إلى كراهية ذلك^(٥)، وذهب بعضهم إلى تحريمه^(٦)، بل شذ بعضهم فقال ببطان صلاته^(٧).

أما إذا لم يسمع المأموم قراءة الإمام، أو كان للإمام سكتات. فقال بعضهم الأفضل للمأموم أن يقرأ الفاتحة في هذه الأحوال^(٨) - وهو الأولى - لكن لو لم يفعل فصلاته صحيحه عندهم^(٩).

الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا القول:

- (١) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي ١: ٧٧، «المهذب» ١: ٧٩.
- (٢) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩٤، «التمهيد» ١١: ٥٤.
- (٣) انظر: «مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبدالله» ص ٧١ فقرة ٢٥٦، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٦٦.
- (٤) في «أحكام القرآن» ١: ٥.
- (٥) انظر: «كشاف القناع» ١: ٤٦٤.
- (٦) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٥، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٤٢.
- (٧) انظر: «المبسوط» ١: ١٩٩، «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٣٩، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص ٧١، ٨٢، ٩٠.
- (٨) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٦٦، ٣٠٩، ٣٢٩.
- (٩) انظر: «المغني» ٢: ٢٦٨.

أ- استدلوها على وجوب القراءة في الصلاة السرية، أو استحبابها بالأدلة التي استدلت بها أصحاب القول الأول على وجوبها أو استحبابها في الحالين وعلى أنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها كحديث عبادة بن الصامت «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» متفق عليه^(١).

وحديث أبي هريرة «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج - ثلاثاً، غير تمام» رواه مسلم.

وغير ذلك من الأحاديث بهذا المعنى وقالوا: المراد بها الإمام والمنفرد، وكذا المأموم في الصلاة السرية، وكذا في الجهرية إذا لم يسمع قراءة الإمام.

ب - أما أدلتهم على أن المأموم لا يقرأ في الصلاة الجهرية، بل ينصت لقراءة الإمام فمنها ما يأتي:

١- قوله - تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢).

قالوا: فهذه الآية نزلت في الأمر بالإنصات عند القراءة في الصلاة. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ

(١) انظر: «عارضه الأجوذي» ٢: ١٠٨-١١١، وقد سبق تخريج هذا الحديث في أسماء الفاتحة في المبحث الثاني، من الفصل الأول من هذا الباب.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

تَرْجَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴿١﴾ وقد رُوِيَ نحوه عن ابن مسعود^(٢)، وابن عباس^(٣)، وقتادة^(٤)، والزهري^(٥)، ومعاوية بن قره^(٦).

والقول بأنها في الصلاة دون ذكر سبب نزولها مروى أيضاً عن أبي هريرة^(٧) وابن عباس^(٨)، وابن مسعود^(٩)، وعبدالله بن مغفل^(١٠)، والزهري، ومجاهد، وسعيد بن المسيب، والشعبي، وإبراهيم النخعي، والحسن^(١١)، وعبيد بن عمير، وعطاء بن أبي رباح،

-
- (١) أخرجه الطبري في «تفسيره» الآثار ١٥٥٨٢، ١٥٥٨٦، ١٥٦٠١، والواحي في «أسباب النزول» ص ١٧١، و «البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار ٢٧٤-٢٧٩، وابن عبدالبر في «التمهيد» ٢٩: ١١.
- (٢) أخرجه عن ابن مسعود الطبري في «تفسيره» الأثر ١٥٥٨١، وابن عبدالبر في «التمهيد» ٢٩: ١١.
- (٣) أخرجه عن ابن عباس - البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٨٠.
- (٤) أخرجه عن قتادة - الطبري في «تفسيره» الآثار ١٥٥٩٨-١٥٥٩٩، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٨٢.
- (٥) أخرجه عن الزهري - الطبري في «تفسيره» - الأثر ١٥٦٠٠، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٨١.
- (٦) أخرجه عن معاوية - البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٨٣.
- (٧) أخرجه عن أبي هريرة ابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٨.
- (٨) أخرجه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» الأثر ١٥٦٠٤، وابن المنذر في «الأوسط» الأثر ١٣١٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٥٨.
- (٩) أخرجه عن ابن مسعود - الطبري في «تفسيره» الأثر ١٥٥٨٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار ٢٥٣-٢٥٦.
- (١٠) أخرجه عن عبدالله بن مغفل، البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار ٢٥٠-٢٥٢.
- (١١) أخرجه عنهم الطبري في «تفسيره» الآثار ١٥٥٨٣ - ١٥٥٩٥، ١٥٥٩٧، ١٥٦٠٢، ١٥٦٠٥، ١٥٦٠٧، ١٥٦١١، ١٥٦١٣-١٥٦١٥، ١٥٦١٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار ٢٦٠-٢٧٣.

والضحاك، والسدي، وعبدالرحمن بن زيد^(١)، ومحمد بن كعب القرظي^(٢)، واختاره الطبري^(٣).

بل ذكر الإمام أحمد الإجماع على أنها نزلت في الصلاة^(٤).

٢- وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله ﷺ - خطبنا فبين لنا سنتنا، وعلمنا صلاتنا، فقال: «أقيموا صفوفكم، ثم ليؤمكم أحدكم، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا»^(٥).

(١) أخرجه عنهم الطبري في «تفسيره» الآثار ١٥٥٨٥، ١٥٥٩٦، ١٥٦٠٣، ١٥٦٠٦، ١٥٦١٨، ١٥٦١٢.

(٢) أخرجه عنه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٥٩.

(٣) في «تفسره» ١٣: ٣٥٢.

(٤) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواية أبي داود ص ٣١، «المغني» ٢: ٢٦١، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٣: ٢٦٩، ٣١٢. وانظر «الاستذكار» ٢: ١٨٧، «التمهيد» ١١: ٢٨، ٢٩.

(٥) أخرجه مسلم - في الصلاة - باب التشهد في الصلاة - الحديث ٤٠٤، وأبو داود - في الصلاة - باب التشهد - الحديثان ٩٧٢، ٩٧٣، وقال: «قوله: «فأنصتوا» ليس بمحفوظ فلم يجيء به إلا سليمان التيمي في هذا الحديث».

وأخرجه النسائي في الإمامة - باب مبادرة الإمام - الحديث ٨٠٠، وابن ماجه في إقامة الصلاة - باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا - الحديث ٨٤٧، وابن المنذر في «الأوسط» الحديث ١٣٢٠، والدارقطني ١: ٣٣، وذكر تفرد سليمان التيمي بقوله «وإذا قرأ فأنصتوا» عن أصحاب فتادة الحفاظ، وأخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ٣٠٥-٣١٠ بطرقه ورواياته.

كما ذكر البخاري في جزء القراءة، فقرة ٢٦٤ نحو من قول الدارقطني. وقد صحح هذا الحديث الإمام مسلم - كما سبق، وقال: لمن تكلم في هذا الحديث: «يريد أحفظ من سليمان»، كما صححه الإمام أحمد فيما ذكر ابن عبد البر في «الاستذكار» ١٨٨: ٢، وفي «التمهيد» ١١: ٣٤، وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٤٠، كما صححه إسحاق بن راهويه، فيما ذكر ابن تيمية في الموضوع السابق.

وقال ابن تيمية في هذا الموضوع «وعلمه البخاري بأنه اختلف فيه، وليس ذلك بقادح =

٣- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :
 «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا»^(١).

= في صحته. وانظر: «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص ١٧٠-١٧٣.
 (١) أخرجه أبو داود في الصلاة - باب الإمام يصلي من قعود - الحديثان ٦٠٣، ٦٠٤، وقال: «هذه الزيادة: «إذا قرأ فأنصتوا» ليست بمحفوظة، الوهم عندنا من أبي خالد»، وأخرجه النسائي من طريق أبي خالد، ومن طريق محمد بن سعد الأنصاري - في الافتتاح - باب تأويل قوله - عز وجل ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحديثان ٨٨٢، ٨٨٣، وابن ماجه في الموضوع السابق - الحديث ٨٤٦، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٧، وأحمد ٢: ٣٧٦، وابن المنذر في «الأوسط» الحديث ١٣١٩، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٧، والدارقطني ١: ٣٢٧-٣٢٨، كلهم من طريق أبي خالد، وقال الدارقطني: «تابعه محمد بن سعد، وأخرجه البيهقي في «السنن» ٢: ١٥٦-١٥٧، وروى فيها عن يحيى بن معين وأبي حاتم أن هذه الزيادة ليست بمحفوظة. كما أخرجه في «القراءة خلف الإمام» الحديث ٣١١ - بطرقه وذكر كلام أهل العلم في إسناده ومثله ص ١٣٢-١٣٥. وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» ١١: ٣٢-٣٣. وقد تكلم فيه البخاري في جزء القراءة الفقرات ٢٦٥-٢٦٧ بحجة أن أكثر الرواة لم يذكروا هذه الزيادة. وذكر النووي في «شرح مسلم» ٤: ١٢٢-١٢٣ ما روى أبو داود وابن معين وأبو حاتم والدارقطني من زيادة هذه اللفظة، وذكر ذلك - أيضاً - عن أبي علي النيسابوري شيخ الحاكم أبي عبدالله، ثم قال النووي: «واجتماع هؤلاء الحفاظ على تضعيفها مقدّم على تصحيح مسلم، لا سيما ولم يروها مسندة في صحيحه». وقد صححه جمع من أهل العلم، منهم الإمام مسلم صاحب الصحيح، فقد سأله أبو بكر ابن أخت النضر عن حديث أبي هريرة هذا. «وإذا قرأ فأنصتوا» فقال: «هو عندي صحيح فقال له: لِمَ لم تضعه هنا؟ يعني في صحيحه. فقال: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا، إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه» «صحيح مسلم» ١: ٣٠٤.
 كما صححه الإمام أحمد فيما ذكره ابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٨٨ وفي «التمهيد» ١١: ٣٤، والقرطبي في «تفسيره» ١: ١٢١.
 وصححه ابن حزم في «المحلى» ٣: ٣٠٨، والمنذري في «مختصر سنن أبي داود» ١: ٣١٣ قال المنذري ردا على قول أبي داود السابق: «وفيما قاله نظر، فإن أبا خالد هذا هو سليمان بن حيان الأحمر، وهو من الثقات الذين احتج البخاري ومسلم بحديثهم في صحيحهما...»

قالوا: فهذه الأدلة الثلاثة - الآية، وحديث أبي موسى، وحديث أبي هريرة فيها وجوب الإنصات والاستماع لقراءة الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة، ولم يخص هذا الأمر بقراءة الفاتحة ولا غيرها^(١)، بل إن هذه الأدلة هي المخصصة للأحاديث التي فيها إيجاب قراءة الفاتحة في الصلاة مطلقاً، كحديث عبادة بن الصامت في الصحيحين: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وغيره^(٢).

واستدل شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) على تخصيص عموم أحاديث وجوب قراءة الفاتحة بالآية والحديثين المذكورين بأنه قد حُصّ من عموم تلك الأحاديث أمور، منها: أن من أدرك الإمام راكعاً فكبر ودخل معه قبل رفعه من الركوع فقد أدرك الركعة بإجماع أهل العلم^(٤)، كما جاء في حديث أبي بكر^(٥).

ثم أشار إلى متابعة محمد بن سعد له التي أشار إليها الدارقطني والتي أخرجها النسائي في الموضوع السابق، كما أشار إلى إخراج مسلم لهذه الزيادة من حديث أبي موسى الأشعري من طريق سليمان التيمي عن قتادة... قال المنذري: ولم يؤثر عند مسلم تفرد سليمان بذلك لثقتة وحفظه، وصحح هذه الزيادة من حديث أبي هريرة وأبي موسى.

وقال الألباني «حسن صحيح»، وانظر: «إرواء الغليل» ٢: ١٢٠-١٢١، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص ١٧٠-١٧٣.

(١) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٨٦، «التمهيد» ١١: ٢٨-٣٠، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٥، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٢٣: ٢٩٠-٣١٢.

(٢) انظر: «التمهيد» ١١: ٣١، ٣٤، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٥.

(٣) في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٩٠-٢٩١، ٣٢٠.

(٤) راجع ما سبق في نهاية القول الأول وانظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ١: ١١٨.

(٥) حديث أبي بكر سابق ذكره وتخريجه في ذكر أدلة القول الأول.

وُحِصَّ مِنْهُ الصَّلَاةُ بِإِمَامَيْنِ، فَإِنَّ الْإِمَامَ الثَّانِيَّ يَقْرَأُ مِنْ حَيْثُ انْتَهَى الْإِمَامُ الْأَوَّلُ، وَلَا يَسْتَأْنِفُ قِرَاءَةَ الْفَاتِحَةِ، كَمَا فِي فِعْلِهِ - ﷺ - لَمَّا صَلَّى بِالنَّاسِ وَقَدْ سَبَقَهُ أَبُو بَكْرٍ بِيَعُضِ الصَّلَاةِ قَرَأَ مِنْ حَيْثُ انْتَهَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَسْتَأْنِفْ قِرَاءَةَ الْفَاتِحَةِ، لِأَنَّهُ بَنَى عَلَى صَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، فَإِذَا سَقَطَتْ عَنْهُ الْفَاتِحَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَعَنَ الْمَأْمُومُ أَوْلَى.

وُحِصَّ مِنْهُ أَيْضاً حَالُ الْعِذْرِ كَالْجَهْلِ وَالسَّهْوِ، فَإِذَا تَرَكَ الْمَأْمُومُ قِرَاءَةَ الْفَاتِحَةِ خَلْفَ إِمَامِهِ فِي السَّرِيَّةِ جَهْلاً أَوْ سَهْواً سَقَطَتْ عَنْهُ، وَتَحَلَّمَهَا الْإِمَامُ.

فَإِذَا حُصِّ مِنْ ذَلِكَ حَالُ الْمَسْبُوقِ، وَالصَّلَاةُ بِإِمَامَيْنِ، وَحَالُ الْعِذْرِ بِالْجَهْلِ، أَوْ السَّهْوِ فَكَذَلِكَ حُصِّ مِنْهُ حَالُ اسْتِمَاعِ الْمَأْمُومِ لِقِرَاءَةِ إِمَامِهِ، لِأَنَّ هَذَا عِذْرٌ. فَلَا يَقْرَأُ فِي حَالِ جَهْرِ إِمَامِهِ بَلْ يَسْتَمِعُ، أَمَا أَمْرُ الْمَأْمُومِ بِالْإِنْصَاتِ فَلَمْ يَخْصُ مِنْهُ شَيْءٌ، لَا بِنَصِّ خَاصٍّ وَلَا إِجْمَاعٍ، وَإِذَا تَعَارَضَ عُمُومَانِ أَحَدُهُمَا مَحْفُوظٌ وَالْآخَرُ مَخْصُوصٌ وَجِبَ تَقْدِيمُ الْمَحْفُوظِ.

قال ابن تيمية^(١): «ولو كانت قراءة الفاتحة فرضاً على المأموم مطلقاً لم تسقط بسبق ولا جهل، كما أن الأعرابي المسيء في صلاته قال له النبي ﷺ: «ارجع فصل فإنك لم تصل» وأمر الذي صلى خلف الصف وحده أن يعيد الصلاة».

(١) في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣٢٠.

كما استدلووا - أيضاً - :

٤- بما رواه ابن شهاب الزهري عن ابن أكيمة الليثي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة، فقال: «هل قرأ معي أحد منكم أنفا؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله. قال: إني أقول مالي أنزع القرآن. فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله - ﷺ - فيما جهر فيه النبي - ﷺ - بالقراءة من الصلوات حين سمعوا ذلك من رسول الله - ﷺ -»^(١).

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة - باب من كره القراءة بفاتحة الكتاب إذا جهر الإمام - الحديثان ٨٢٦، ٨٢٧، وقال: «سمعت محمد بن يحيى بن فارس قال: قوله» فانتهى الناس... «من كلام الزهري». وأخرجه النسائي في الافتتاح - باب ترك القراءة خلف الإمام فيما جهر به - الحديث (٨٨١)، والترمذي في الصلاة - باب ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة - الحديث ٣١٢ وقال: «وروى بعض أصحاب الزهري هذا الحديث، وذكروا هذا الحرف قال: قال الزهري: «فانتهى الناس عن القراءة»، وأخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة - باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا - الحديثان ٨٤٨، ٨٤٩، ومالك في «الموطأ» الحديث ١٩٠، وعبدالرزاق - الحديثان ٢٧٩٥، ٢٧٩٦، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٥، والبخاري في جزء القراءة - الأحاديث ٩٥-٩٨، ٣٦٢، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ٣١٧-٣٢١، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٢٤-٢٧، والحازمي في «الاعتبار» ص ١٠٠، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢: ١٠٠: «رواه أحمد، وزجاله رجال الصحيح».

وقد ذكر البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ص ١٤٠-١٤٢، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٢٥-٢٦ قول بعض أهل العلم إن قوله «فانتهى الناس...» وما بعده من كلام الزهري.

قلت: والحديث تكلم فيه بعض أهل العلم كالحميدي وابن خزيمة فيما ذكر البيهقي في «القراءة خلف الإمام» ص ١٣٩-١٤٤ لأجل ابن أكيمة، وأنه مجهول. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٢٣: ٢٧٥، ٣١٧-٣١٩ «رد أهل العلم على من ضعفه =

قالوا: فقلوه - ﷺ -: «مالي أنزع القرآن» إنكار على من يقرأ حال جهر الإمام، سواء بأمر القرآن أو غيرها^(١).

وقالوا - أيضاً - قوله في الحديث: «فانتهى الناس عن القراءة مع النبي - ﷺ - فيما جهر فيه... إلى آخره. هذا من كلام الزهري كما ذكر أهل العلم. والزهري من أعلم أهل زمانه وقد قطع بأن الصحابة لم يكونوا يقرؤون خلف النبي - ﷺ - في حال الجهر. وهذا من الأحكام العامة، التي لا تخفى ويعرفها عامة الصحابة والتابعين لهم بإحسان»^(٢).

٥- وعن عبدالله بن شداد - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» ورؤي مسندا عن جابر بن عبدالله^(٣).

= بجهالة ابن أكيمة الليثي. كما صححه الألباني، وقال في «صفة صلاة النبي - ﷺ -» ص ٥٦ «صححه أبو حاتم الرازي وابن حبان وابن القيم».

(١) انظر: «التمهيد» ١١: ٢٧، ٥٣، «المغني» ٢: ٢٥٩، ٢٦٢.

(٢) انظر: «التمهيد» ١١: ٢٣، «الاستذكار» ٢: ١٨٥، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٤، ٣١٧.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في الصلاة - القراءة خلف الإمام - مرسلًا عن عبدالله بن شداد الحديث ٢٧٩٧، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٦-٣٧٧ مرسلًا ومسندا عن جابر، وكذا الدارقطني ١: ٣٢٣-٣٣١، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٧، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ٣٣٤-٣٥٢، وأخرجه مسندا فقط ابن ماجه في إقامة الصلاة - باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا - الحديث ٨٥٠. وقال في «الزوائد» في إسناده جابر الجعفي كذاب، والحديث مخالف لما رواه الستة من حديث عبادة. وأخرجه أيضاً مسندا الإمام أحمد ٣: ٣٣٩.

وقد ضعف أهل العلم هذا الحديث مسندا من رواية جابر بن عبدالله، وصوب أكثرهم =

وقفه على عبدالله بن شداد .
قال البخاري في جزء القراءة خلف الإمام الفقرة ٢٢: «هذا خبر لم يثبت عند أهل العلم من أهل الحجاز، وأهل العراق وغيرهم، لإرساله، وانقطاعه، رواه ابن شداد عن النبي - ﷺ - .» وقال ابن المنذر في «الأوسط» ١٠٢:٣: «لا يثبت» .
وقد استوعب الدارقطني طرقه مسندا ومرسلا، ثم قال عن المرسل: «وهو الصواب» .
وقال ابن عبدالبر في «التمهيد» ٤٨:١١: «وهذا حديث رواه جابر الجعفي عن أبي الزبير عن جابر عن النبي - ﷺ - وجابر الجعفي ضعيف الحديث مذموم المذهب لا يحتج بمثله»، وبعد أن ذكر روايات الحفاظ له مرسلا عن عبدالله بن شداد قال: «وهو الصحيح فيه الإرسال، وليس مما يحتج به» .
وقال المجد بن تيمية في «المنتقى» ٩٠١: «وقد روي مسندا من طرق كلها ضعاف، والصحيح أنه مرسل» .

وقال القرطبي في «تفسيره» ١٢٢:١: «حديث ضعيف» وصوب وقفه على جابر .
وقال الحفاظ ابن كثير في «تفسيره» ٢٨:١: «في إسناده ضعف، ورواه مالك عن وهب ابن كيسان عن جابر من كلامه، وقد روي هذا الحديث من طرق، ولا يصح شيء منها عن النبي - ﷺ - » وقال الحفاظ ابن حجر: في «الفتح» ٢٤٢:٢: «ضعيف عند الحفاظ»، وقال في «تلخيص الحبير» ٢٣٢:١: «إنه مشهور من حديث جابر، وله طرق عن جماعة من الصحابة كلها معلولة» . وقال الشوكاني في «نيل الأوطار» ٢٤١:٢: «ضعيف لا يحتج به» . وقال أحمد شاكر في تعليقه على سنن الترمذي ١٢٦:٢: «ليس إسناده مما يحتج به أهل العلم بالحديث» .

وممن قوى هذا المرسل ابن تيمية حيث قال في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧١-٢٧٢: «وهذا المرسل قد عضده ظاهراً القرآن والسنة... ومرسله من أكبر التابعين، ومثل هذا المرسل يحتج به باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم» . وقال ص ٣٢٥: «فأما الموقوف على جابر فثبت بلا نزاع، وكذلك المرسل ثابت بلا نزاع من رواية الأئمة عن عبدالله بن شداد» .

كما قواه الزيلعي في «نصب الراية» ٧:٢: «فقال بعد ما ذكر تضعيف جابر الجعفي: «ولكن له طرق أخرى، وهي وإن كانت مدخولة، ولكن يشد بعضها بعضاً» ونحوها من هذا قال الألباني في «الإرواء» ١: ٢٦٨ - بعد أن ذكر طرق هذا الحديث وكلام أهل العلم عليه قال: «ويتلخص مما سبق أنه لا يصح شيء من هذه الطرق إلا طريق عبدالله

قالوا: فهذا الحديث يدل على أن المأموم لا يقرأ خلف إمامه، لا الفاتحة ولا غيرها، إذا جهر إمامه في القراءة، لأن قراءة الإمام في هذه الحال قراءة لمن خلفه. ولهذا أمر المأموم بالإنصات لقراءة الإمام^(١). كما في الآية والأحاديث السابقة.

٦- وعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - «أن رسول الله ﷺ - صلى الظهر، فجعل رجل يقرأ خلفه بسبح اسم ربك الأعلى، فلما انصرف قال: أيكم قرأ، أو أيكم القارئ؟ فقال رجل: أنا، فقال: قد ظننت أن بعضكم خالجنها»^(٢). قال أبو داود: قال الوليد في حديثه:

ابن شداد، ثم ذكر أن له شواهد من حديث عبدالله بن عمر، وعبدالله بن مسعود وأبي هريرة وابن عباس، وأنه جاء مرسلًا عن أبي الدرداء وعلي والشعبي، وقد اعتبره الألباني بمجموع هذه الطرق كلها - وإن كانت لا تخنو من ضعف بأنه «حديث حسن» قال: لأن هذه الطرق بمجموعها تشهد أن للحديث أصلاً قال: لأن مرسل ابن شداد صحيح الإسناد بلا خلاف، والمرسل إذا رُوِيَ موصولاً من طريق أخرى اشتد عضده، وصلح للاحتجاج به، كما هو مقرر في مصطلح الحديث، فكيف وهذا المرسل قد رُوِيَ من طرق كثيرة كما رأيت».

وقال اللكنوي في «إمام الكلام» ص ٢١٧: «والحاصل أن طرق الحديث الذي نحن فيه بعضها صحيح، أو حسن، وبعضها ضعيف ينجر ضعفه بغيرها من الطرق الكثيرة. فالقول بأنه حديث غير ثابت أو غير محتج به، ونحو ذلك غير معتد به». وانظر في ذكر طرق هذا الحديث وشواهد وكلام أهل العلم في تضعيفها: «القراءة خلف الإمام» لليهقي ص ١٧٨ وما بعدها، «نصب الراية» ٢: ١٤-٦، «تنقيح التحقيق» ٣: ٨٤٢ وما بعدها، «الدارية في تخريج أحاديث الهداية» ١: ١٦٢-١٦٤، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص ١٩٩-٢١٧.

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧١، «صفة صلاة النبي ﷺ» للألباني ص ٥٦.

(٢) خالجنها: أي نازعنيها. وهذا الحديث أخرجه مسلم - في الصلاة - باب نهي المأموم عن جهره بالقراءة خلف إمامه الحديث ٣٩٨، وأبو داود في الصلاة - باب من رأى القراءة إذا لم يجهر الإمام بقراءته - الحديثان ٨٧٩-٨٨٠، والدارقطني ١: ٣٢٦، ٤٠٥، =

«قال شعبة قلت لقتادة: كأنه كره فقال: لو كرهه لنهى عنه».

قالوا: فهذا الرجل قرأ خلف النبي - ﷺ -، ولم ينهه ولا غيره فدل على أن المأموم يقرأ خلف الإمام في الصلاة السرية^(١). وإن احتمل الحديث معنى النهي فإنما هو نهي للمأموم عن الجهر بالقراءة خلف إمامه كما بوب له مسلم - رحمه الله.

٧- وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «كانوا يقرؤون خلف النبي - ﷺ - فقال: خلطتم علي القرآن»^(٢).

قالوا: فهذا يدل على أنهم كانوا يقرؤون خلف النبي - ﷺ - جهراً فيخلطون عليه القرآن، إذ لو قرؤوا سرّاً ما خلطوا عليه قراءته، وما كره ذلك منهم»^(٣).

وقال ابن عبدالبر في «التمهيد»^(٤) بعد إخراجهم للحديث: «أي في حال الجهر»: أي أنهم يقرؤون حال جهر الإمام فيخلطون عليه قراءته.

٨- ما رواه أبو هريرة أن رسول الله - ﷺ - أمره أن ينادي: «لا

= والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ٣٦٠-٣٦٤.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٨٣.

(٢) أخرجه أحمد ١: ٤٥١ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١١: ٢ «ورجاله رجال الصحيح» وأخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٦، والبخاري في جزء القراءة الحديث ٢٥٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأحاديث ٣٦٥، ٣٦٧-٣٧٠، وابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٣٢.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٨٤، ٣٢٢، «صفة صلاة النبي - ﷺ -» للألباني ص ٥٦-٥٧.

(٤) ١١: ٣٢.

صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد»^(١).

٩- ما رواه أبو سعيد قال: «أمرنا رسول الله - ﷺ - أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر»^(١).

قالوا: فقله في الحديث «فما زاد»، «وما تيسر» يدل على عدم وجوب قراءة الفاتحة حال جهر الإمام لأن العلماء أجمعوا على أنه لا يجوز أن يقرأ بغيرها حال جهر الإمام بل ينصت»^(٢).

١٠- كما استدلوا بالآثار الكثيرة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم في النهي عن القراءة خلف الإمام في الصلاة الجهرية والأمر بالقراءة خلفه في الصلاة السرية^(٣).

١١- وقالوا: أجمع أهل العلم على أنه لم يقل أحد إن المأموم إذا لم يقرأ خلف إمامه فصلاته باطلة، وبخاصة إذا جهر الإمام بالقراءة^(٤).

١٢- وقالوا: إن الاستماع لقراءة الإمام من المتابعة للإمام المأمور بها، ومن لم ينصت لقراءة الإمام لم يكن قد ائتم به^(٥) والمستمع لقراءة الإمام كالقارئ^(٦).

(١) سبق تخريجهما في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب. وقد صححهما الألباني.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٨٨-٢٨٩، ٢٩٤، ٣١٢، ٣١٣.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢٣: ٣٠٦-٣٠٧ وانظر تخريج ما روي عن السلف في هذا في مقدمة هذا القول.

(٤) انظر: «المغني» ٢: ٢٦٢.

(٥) «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧١-٢٧٣، ٢٧٩، ٢٩١، ٢٩٥.

(٦) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣١٢.

١٣- وقالوا - أيضاً - : إذا لم ينصت المأموم لقراءة إمامه فما الفائدة من جهر الإمام بالقراءة إذا كان المأموم مشغولاً بالقراءة لنفسه^(١).

وقال ابن تيمية^(٢) : «لو كانت القراءة في الجهر واجبة على المأموم للزم أحد أمرين إما أن يقرأ مع الإمام، وإما أن يجب على الإمام أن يسكت له حتى يقرأ، ولم نعلم نزاعاً بين العلماء أنه لا يجب على الإمام أن يسكت لقراءة المأموم الفاتحة ولا غيرها، وقراءته معه منهي عنها بالكتاب والسنة فثبت أنه لا تجب عليه القراءة معه في حال الجهر...».

ثم ذكر أنها لو كانت قراءة المأموم حال جهر الإمام مستحبة لاستحب للإمام أن يسكت لقراءة المأموم، وجماهير العلماء على أنه لا يستحب للإمام أن يسكت ليقرأ المأموم.

وقال أيضاً^(٣) : «وقد ثبت بالكتاب والسنة وبالإجماع أن إنصات المأموم لقراءة إمامه يتضمن معنى القراءة معه وزيادة».

ولأنه قد ثبت الأمر بالإنصات لقراءة القرآن، ولا يمكن الجمع بين الإنصات والقراءة، ولولا أن الإنصات يحصل به مقصود القراءة وزيادة لم يأمر الله بترك الأفضل لأجل المفضول».

(١) انظر: «التمهيد» ١١: ٣٨.

(٢) في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٦-٢٧٧، وانظر ٢٩٥، ٣١٦.

(٣) ٢٣: ٢٩٠.

القول الثالث: أن المأموم لا يقرأ الفاتحة ولا غيرها.

لا في الصلاة السرية، ولا في الصلاة الجهرية.

وممن قال بهذا القول زيد بن ثابت^(١). وجابر بن عبد الله^(٢).

(١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة - الحديث ٥٧٧، وعبدالرزاق - الحديث ٢٨١٥، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٦، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٩، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الحديث ١٤٧ - ١٤٨ - عن زيد بن ثابت قال: «لا قراءة مع الإمام في شيء من الصلوات» وصحح هذا القول عن زيد - البيهقي، وابن حجر في «الدرية في تخريج أحاديث الهداية» ١: ١٦٤، وقد حمل ابن تيمية هذا على القراءة معه حال الجهر. انظر «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣٢٣. لكن أخرجه ابن أبي شيبة عن زيد بلفظ «لا يُقرؤ خلف الإمام إن جهر ولا إن خافت».

وأما ما رُوِيَ عن زيد أنه قال: «من قرأ مع الإمام فلا صلاة له» كما أخرجه عبدالرزاق - الأثر ٢٨٠٢، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٦ وبعضهم يرفعه بهذا ضعيف من وجهين: الوجه الأول: أن العلماء اتفقوا على صحة صلاة من قرأ مع الإمام، وشذ من قال ببطلانها بذلك. قال ابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٩٣ «أجمع العلماء على أن من قرأ خلف الإمام فصلاته تامة، ولا إعادة عليه».

وهو وإن ارتكب امرأً منها محرمًا أو مكروها عند بعضهم إلا أن صلاته صحيحة غير باطلة.

الوجه الثاني: ضَعَفَ هذا المَرُوي عن زيد فقد قال البخاري في جزء القراءة ص ٣٢، فقرة: ٤٥ «لا يعرف لهذا الإسناد سماع بعضهم من بعض، ولا يصح مثله» وقال ابن حبان في «الضعفاء والمتروكين» ١: ١٦٣ «لا أصل له» وقال ابن عبد البر في الموضوع السابق: «منكر لا يصح». وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ١: ١٣٣، ٤٣٣. وقال ابن حجر في «الدرية» ١: ١٦٥: «اتهم به أحمد بن علي بن سليمان». وضعفه الألباني في «الأحاديث الضعيفة» ٢: ٤٢٠.

(٢) أخرجه عن جابر - الترمذي في الصلاة - ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة، الأثر ٣١٣، ومالك في «الموطأ» الأثر ١٨٤، وعبدالرزاق الأثر ٢٧٤٥، والبخاري في جزء القراءة - الأثر ٢٨٥، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار - ٣٥٣ - ٢٨٥، وابن عبد البر في «التمهيد» ١١: ٤٩ عن جابر «من صلى ركعة لم يقرأ»

ويروى عن عمران بن حصين^(١)، والأسود بن يزيد^(٢)، وسعد بن

فيها بأمر القرآن فلم يصل إلا وراء الإمام»، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقال البيهقي «صحيح» وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وأخرج عبدالرزاق - الأثر ٢٨١٩ - عن عبيد الله بن مقسم قال: سألت جابر بن عبد الله أنقرأ في الظهر والعصر شيئاً؟ فقال: «لا» وفي إسناده: شيخ عبد الرزاق: داود بن قيس «مقبول» كما في «التقريب» ١: ٢٣٤.

وأخرجه ابن أبي شيبة ١: ٣٧٦ - عن جابر قال: «لا يقرأ خلف الإمام». وفي إسناده الضحاك بن عثمان بن عبد الله «صدوق يهيم» كما في «التقريب» ١: ٣٧٣. وأخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١: ٢١٩ بلفظ «لا يقرأ خلف الإمام في شيء من الصلوات».

وقد روي مرفوعاً قال الدارقطني ١: ٣٢٧ «والصواب موقوف». وقال ابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٩٢ «هو حديث لا يصح إلا موقوفاً على جابر كما في الموطأ». وقد صححه موقوفاً على جابر ابن حجر في «الدراية في تخريج أحاديث الهداية» ١: ١٦٤.

وقد أخرج البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الآثار ٢٢٥-٢٢٨، ٣٥٩ - عن جابر قال: «يقرأ الإمام ومن خلفه في الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الآخرين بفاتحة الكتاب» وفي رواية: «كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام... إلى آخره».

(١) أخرجه البخاري في جزء القراءة - الأثر ٥٩ - عن عمران قال: «لا تزكو صلاة مسلم إلا بظهور وركوع وسجود وراء الإمام، وإن كان وحده بفاتحة الكتاب وأيتين وثلاث». وقد أخرجه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٣٣ - بلفظ: «لا تزكو صلاة مسلم إلا بظهور وركوع وسجود وفاتحة الكتاب وراء الإمام، وغير الإمام». وفي إسناده كل منهما زياد الجصاص، وهو ضعيف كما في «التقريب» ١: ٢٦٧.

(٢) أخرجه عبدالرزاق - الأثر ٢٨٠٧، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٦-٣٧٧ عن الأسود بن يزيد قال: «وددت أن الذي يقرأ خلف الإمام ملء فوه تراباً» وإسناده كل منهما صحيح. وقد صحح هذا عن الأسود ابن عبد البر في «التمهيد» ١١: ٥١ وقال يحتمل أن يكون أراد الجهر دون السر، قلت: ويدل على هذا ما أخرجه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن الأسود قال: «لأن أعظ على جمرة أحب إلي من أن أقرأ خلف الإمام أعلم أنه يقرأ».

أبي وقاص^(١)، ورؤي عن أبي الدرداء على اختلاف عنه^(٢)، وعلقمة ابن قيس^(٣)، وابن أبي ليلي^(٤)، وإبراهيم النخعي^(٥)، وسويد بن غفلة، وعمرو بن ميمون، والضحاك وأبي وائل^(٦) وسفيان الثوري وسفيان ابن

- (١) أخرجه مالك في «الموطأ» رواية محمد بن الحسن ص ٦٢، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٦ - عن سعد قال: «وددت أن الذي يقرأ خلف الإمام في فيه جمرة». قال البخاري في جزء القراءة، فقرة ٣٩: «مرسل».
- وقال ابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٩٣: «حديث منقطع لا يصح، ولا نقله ثقة... وما أعلم في هذا الباب من الصحابة من صح عنه ما ذهب إليه الكوفيون فيه من غير اختلاف عنه إلا جابر بن عبد الله».
- (٢) أخرجه النسائي في الافتتاح - باب اكتفاء المأموم بقراءة الإمام - الحديث ٩٢٣، والدارقطني ١: ٣٣٣، والبيهقي في القراءة خلف الإمام - الأحاديث ٣٧٩-٣٨٢ عن أبي الدرداء قال: «أرى الإمام إذا أم القوم كفاهم». وقد رؤي مرفوعاً إلى النبي - ﷺ - وصوب الدارقطني وقفه على أبي الدرداء، وصححه الألباني موقوفاً على أبي الدرداء. قلت: ويحتمل أنه أراد الجهر دون السر. بل إنه رؤي عنه القراءة في الحالين. فقد أخرج البيهقي - الأثر ٢٢٩، ٢٣٠ عن أبي الدرداء قال: «لا تترك قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام جهر أو لم يجهر» وفي لفظ «لو أدركت الإمام وهو راكع لأحببت أن أقرأ بفاتحة الكتاب».
- (٣) أخرجه عبد الرزاق - الأثر ٢٨٠٨ - عن علقمة بن قيس قال: «وددت أن الذي يقرأ خلف الإمام ملئ فوه، قال: أحسبه قال: تراباً أو رصفاً». وصححه ابن عبد البر في «التمهيد» ١١: ٥١ وقال بعدما صحح قول الأسود السابق، وقول علقمة هذا: «يحتمل أن يكونا أرادا في الجهر دون السر، فإن صح عنهما أنهما أرادا السر والجهر فقط خالفهما في ذلك من هو فوقهما ومثلهما، وعند الاختلاف يجب الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله».
- (٤) ذكره البخاري عنه في جزء القراءة فقرة ٣٨، وابن عبد البر في «الاستذكار» ٢: ١٩١، و «التمهيد» ١١: ٤٧ وقال البخاري: «لا يصح».
- (٥) أخرجه عن إبراهيم - عبد الرزاق الأثر ٢٧٧٥، وابن أبي شيبة ١: ٣٧٧.
- (٦) أخرجه عن سويد، وعمرو، والضحاك وأبي وائل - ابن أبي شيبة ١: ٣٧٧.

عينة^(١)، والحسن بن حي^(٢)، وابن شبرمة^(٣).

وبه قال أبو حنيفة وأصحابه^(٤) وبعض المالكية^(٥).

الأدلة التي استدلت بها أصحاب هذا القول:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٦).

وحديث أبي موسى وأبي هريرة «وإذا قرأ فأنصتوا»^(٧).

قالوا: فالأمر للمأموم بالانصات يدل على أنه لا قراءة على المأموم، وأن قراءة الإمام له قراءة.

٢- حديث أبي هريرة الذي فيه قوله - ﷺ - «مالي أنزع القرآن»^(٧).

قالوا: ففي هذا الحديث إنكار على من يقرأ خلف الإمام.

(١) أخرجه عن سفيان بن عيينة أبو داود - في الصلاة - الحديث ٨٢٢، وذكره عن السفينين - ابن المنذر في «الأوسط» ١٠٣:٣، وابن عبد البر في «الاستذكار» ١٩١:٢، والحازمي في «الاعتبار» ص ١٠٠.

(٢) ذكره عن الحسن بن حي ابن عبد البر في «التمهيد» ٤٧:١١. وفي الاستذكار ١٩١:٢.

(٣) ذكره عن ابن شبرمة ابن عبد البر في التمهيد ٤٧:١١.

(٤) انظر: «الآثار» لمحمد بن الحسن ص ١٦-١٧، «موطأ الإمام مالك» رواية محمد بن الحسن ص ٦٠-٦١، «شرح معاني الآثار» ٢١٨:١، «تبيين الحقائق» ١٣١:١، «فتح القدير» ١: ٣٣٨ - ٣٤١، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» للكنوي ص ٧٥-٩٣.

(٥) انظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٥:١، «عارضه الأحوزي» ١٠٨:٢ - ١١١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١١٩.

(٦) سورة الأعراف، الآية ٢٠٤.

(٧) سبق تخريجه ضمن أدلة القول الثاني.

٣- ما رُوِيَ عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»^(١).

قالوا: فهذا الحديث يدل على أن الإمام يتحمل القراءة عن المأموم مطلقاً سواء كانت الصلاة سرية أو جهرية. وما رُوِيَ من الأحاديث في قراءة الفاتحة في الصلاة كحديث عبادة «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» ونحوه فمحمول على المنفرد والإمام، أما المأموم فإن قراءة الإمام له قراءة^(٢).

٤- حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «كنا نقرأ خلف النبي - ﷺ - فقال: «خلطتم علي القرآن»^(٣).

٥- حديث عمران بن حصين - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - «صلى صلاة الظهر، فلما قضى صلاته، قال أيكم قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾؟ فقال بعضهم: أنا. فقال: قد عرفت أن بعضكم خالجنها»^(٤).

قالوا: فيفهم من هذين الحديثين ضرورة النهي عن القراءة خلف الإمام مطلقاً^(٤).

(١) سبق تخريجه ضمن أدلة القول الثاني، وبيان أن الصحيح أنه مرسل من حديث عبدالله ابن شداد.

(٢) انظر: «الأوسط» ٣: ١٠٣، «التمهيد» ١١: ٤٧.

(٣) سبق تخريجه ضمن أدلة القول الثاني.

(٤) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ٤: ٢١٦-٢١٨.

٦- واحتجوا بما رُوي عن زيد بن ثابت وجابر بن عبدالله وأبي الدرداء^(١) وعبدالله بن عمر^(٢)، وغيرهم من الآثار التي فيها أنهم لا يقرؤون خلف الإمام أو ينهون عن ذلك. كما سبق^(٣).

كما استدلووا بأحاديث وآثار واهية ضعيفة لم أر ما يدعو إلى ذكرها، كحديث أنس. قال: قال النبي - ﷺ -: «من قرأ خلف الإمام ملئ فوه ناراً»، وكحديث زيد بن ثابت أن رسول الله - ﷺ - قال: «من قرأ خلف الإمام فلا صلاة له»^(٤).

كما استدلووا بتعليلات عقلية كلها ضعيفة مردودة^(٥).

-
- (١) سبق تخريج المروي عنهم ضمن القائلين بهذا القول.
 (٢) سبق تخريج هذا عن ابن عمر ضمن القائلين بالقول الثاني.
 (٣) سبق تخريج أكثر المروي عن السلف في هذا في ذكر القائلين بهذا القول.
 (٤) انظر في ذكر بعض هذه الأحاديث والآثار والكلام عليها وبيان ضعفها «القراءة خلف الإمام» لليهقي، «الذراية في تخريج أحاديث الهداية» ١: ١٦٥، «اللآلي المصنوعة» للسيوطي ١: ٣٩.
 (٥) انظر «الاستذكار» ٢: ١٩٢، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص ٢٤٢-٢٤٥. قلت: العجيب أن بعض الأحناف حكى الإجماع على قولهم هذا كما في «الهداية» مع فتح القدير ١: ٣٣٨-٣٣٩. قال اللكنوي من علمائهم ردا على هذا وبالجملة فالمسألة ليست بمحل إجماع، لا الإجماع السكوتي، ولا الإجماع الصريح، ولا الإجماع الأكثرى، «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام» ص ٢٣٩-٢٤١، وانظر ص ٢٤٥.

ذكر الاعتراضات الواردة على أدلة كل قول، وإجابة أصحابه عنها:

أ- الاعتراضات الواردة على أدلة القول الأول بأن المأموم يقرأ الفاتحة في الصلاة السرية والجهرية. والإجابة عنها:
 أولاً: اعترض على استدلالهم بقوله تعالى: ﴿فَأَقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(١).

وبقوله - ﷺ - للمسيء في صلاته «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن» بأن «ما» في الآية والحديث تفيد العموم فما الدليل على تخصيص الفاتحة في القراءة دون غيرها.

وهذا الاعتراض له وجه. لكن أصحاب هذا القول أجابوا عنه بأن الأحاديث الموجبة لقراءة الفاتحة، ومداومة الرسول - ﷺ - وخلفائه على قراءتها كل ذلك مبين ومفسر لقوله: «ما تيسر» في الآية والحديث.

ثانياً: اعترض على استدلالهم بحديث عبادة بن الصامت أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وما في معناه من الأحاديث.

قالوا^(٢) هذا الحديث مطلق عام، قيد، وخص منه حال جهر الإمام

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣١٢-٣١٣ وانظر «المغني» ٢: ٢٦٣.

بالقراءة، فيجب الإنصات في هذه الحال لأمره تعالى بالإنصات بالآية، ولأمر رسوله - ﷺ - بذلك، كما في حديث أبي موسى وأبي هريرة. فهذا الأمر بالإنصات هو المخصص للأحاديث التي فيها وجوب قراءة الفاتحة كحديث عبادة هذا، وحديث أبي هريرة «من صلى صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» عند مسلم وغيره.

وغيرها من الأحاديث وردوا القول بأن هذه الأدلة التي فيها الأمر بالإنصات مخصوصة في غير حالة قراءة الفاتحة، لما ذكره الإمام أحمد من الإجماع على أن الآية: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ نزلت في الصلاة.

وقد أجاب عن هذا الاعتراض أصحاب القول الأول بأننا نسلم بأن الآية المذكورة نزلت في الصلاة، لكنها هي وحديث أبي موسى وأبي هريرة مخصصة والمخصص لها أحاديث الأمر بقراءة الفاتحة، كما سبق ذكرها والدليل لنا على هذا التخصيص حديث عبادة «لا تفعلوا إلا بأم القرآن».

ثالثاً: اعترض على استدلالهم بحديث أبي هريرة عند مسلم وغيره، والذي فيه «اقرأ بها في نفسك» بأن هذا لفظ مجمل، قد يحمل على ما ذهبوا إليه من الاستدلال به على القراءة مطلقاً، حتى في حال الجهر بالقراءة. وقد يحمل على القراءة حال المخافتة، أو سكوت الإمام كما روى ابن المنذر^(١) عن أبي هريرة: «اقرأ خلف الإمام فيما

(١) في «الأوسط» الأثر ١٣١٣.

يخافت به».

قال ابن تيمية^(١): «ويؤيد هذا أن أبا هريرة ممن روى قوله: «وإذا قرأ فأنصتوا» وروى قوله «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد»، وقال «تجزىء فاتحة الكتاب، وإذا زاد فهو خير». ومعلوم أن هذا لم يتناول المأموم المستمع لقراءة الإمام، فإن هذا لا تكون الزيادة على الفاتحة خيراً له. فلا يجزم حينئذ بأنه أمره أن يقرأ حال استماعه لقراءة الإمام بلفظ مجمل».

وقد أجاب أصحاب القول الأول عن هذا الاعتراض بقولهم: يتبادر من قول السائل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام أنه يسأل عن قراءة الفاتحة حال جهر الإمام لأن قراءة المأموم في هذه الحال قد تستشكل، وقد أجابه أبو هريرة بقوله: «اقرأ بها في نفسك» وهذا مشتهر عن أبي هريرة أنه يرى القراءة خلف الإمام في الحالين، وأيضاً على احتمال أن أبا هريرة أراد قراءة الفاتحة في صلاة السر فقط فالحديث دليل لنا على القراءة في هذه الحال، خلافاً لمن زعم أنه لا قراءة خلف الإمام مطلقاً.

رابعاً: اعترض على استدلالهم بحديث عبادة بن الصامت، الذي فيه: «أنقرؤون خلف إمامكم؟ قالوا: نعم. قال: لاتفعلوا إلا بأم الكتاب، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها» وما في معناه من الأحاديث من وجهين^(٢):

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣٠٠-٣٠١.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣١٣-٣١٦.

الوجه الأول: أن بعض أهل العلم قد طعن في إسناد هذا الحديث منهم الإمام أحمد وغيره.

الوجه الثاني: على القول بصحة هذا الحديث قالوا: إنه محمول على الإمام الذي له سكتات، كما كان ﷺ له سكتتان. قالوا: فليس في الحديث دليل على أنه يقرأ الفاتحة خلف إمامه حال الجهر، وإنما فيه أن له أن يقرأها حال سكتات إمامه، لأنه نهاهم عن القراءة خلفه إذا جهر، واستثنى من النهي قراءة فاتحة الكتاب إذ يمكن أن يقرأها في سكتات الإمام.

قالوا: وقوله: «أتقرؤون خلف إمامكم؟» بصيغة الاستفهام يدل على أنه - ﷺ - لم يكن يعلم أنهم يقرؤون، ولو كانت القراءة واجبة حال الجهر لكان أمرهم بذلك، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، ولو بين ذلك لهم وأمرهم به لعلمه عامتهم وفعلوه.

وقد أجاب أصحاب القول الأول عن الوجه الأول وهو طعن بعض أهل العلم في إسناد حديث عبادة المذكور بأن الحديث صحيح وقد صححه أكثر أهل العلم، كما سبق بيانه.

وأجابوا عن الوجه الثاني بأنه لا دليل على أن الحديث محمول على الإمام الذي له سكتات، فيقرأ المأموم في سكتاته بل الحديث عام. وقوله لهم: «أتقرؤون خلف إمامكم؟ أو لعلمكم تقرؤون خلف إمامكم» يمكن حمله على أنه - ﷺ - أراد به تنبيههم، أو أن المراد به السؤال عن قراءة ما زاد على الفاتحة.

خامساً: اعترض على استدلالهم بما نقل من الآثار عن الصحابة من القراءة خلف الإمام بأن ذلك في الصلاة السرية، أو حال سكتات الإمام، أو إذا لم يسمع المأموم قراءة إمامه لبعده أو صممه، ونحو ذلك^(١).

وقد أجاب أصحاب القول الأول عن هذا الاعتراض بأن ما نقل عن الصحابة منه ما يمكن حمله على الصلاة السرية، لأنه محتمل، لكن منه آثار صريحة في القراءة في الصلاة الجهرية، وهذه الآثار لم تقيد قراءة الفاتحة فيها في سكتات الإمام أو إذا لم يسمع المأموم. ونحن نقول الأولى أن يقرأ في سكتات الإمام إذا كان له سكتات، وإن لم يكن له سكتات قرأ حال قراءته.

ب - الاعتراضات الواردة على أدلة القول الثاني أن المأموم يقرأ في الصلاة السرية دون الجهرية:

أولاً: اعترض على استدلالهم بقوله - تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢).

وبحديث أبي موسى وأبي هريرة اللذين فيهما: «وإذا قرأ فأنصتوا» بأن هذه الأدلة الثلاثة ليست مخصصة لعموم الأحاديث في وجوب قراءة الفاتحة كحديث عبادة بن الصامت «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وغيره. كما تقولون، وإنما الحق أن نصوص الأمر بالإنصات

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٣٠٦-٣٠٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

هذه عامة، حُص منها قراءة الفاتحة بالنسبة للمأموم، فيقرأها ولو كان إمامه يقرأ، إذا لم يكن له سكتات والمخصّص لذلك هو حديث عبادة المذكور، وحديث أبي هريرة «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» ونحوهما من الأحاديث.

والدليل على هذا التخصيص حديث عبادة الآخر الذي فيه قوله - ﷺ -: «لعلكم تقرأون خلف إمامكم؟»، قالوا: نعم. قال لاتفعلوا إلا بأم القرآن».

وأجاب أصحاب القول الثاني بقولهم: بأن الآية وحديث أبي موسى وأبي هريرة هي المخصّصة لعموم أحاديث الأمر بقراءة الفاتحة، وليس العكس كما تقولون. وحديث «لا تفعلوا إلا بأم القرآن» طعن فيه بعض أهل العلم، وعلى القول بصحته يمكن حمله على الإمام الذي له سكتات.

ثانياً: اعترض على استدلالهم بحديث أبي هريرة، الذي فيه قوله - ﷺ -: «مالي أنازع القرآن» من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن هذا الحديث خارج من محل النزاع، لأن الكلام في قراءة المؤتم خلف إمامه سراً والمنازعة إنما تكون مع جهر المؤتم، لا مع إسراره.

الوجه الثاني: لو سلم أن المراد بالمنازعة القراءة خلف الإمام سراً لكان الإنكار الذي في الحديث عاماً في جميع القرآن أو مطلقاً في

جميعه خُصَّص في حديث عبادة ونحوه، أو قيد به»^(١).
 الوجه الثالث: ما ذكر الترمذي^(٢) بعد أن أخرج حديث أبي هريرة
 «مالي أنازع القرآن» قال: «وليس في هذا الحديث ما يدخل على من
 رأى القراءة خلف الإمام، لأن أبا هريرة هو الذي روى عن النبي - ﷺ -
 هذا الحديث. وروى أبو هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال: «من صلى
 صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، فهي خداج، غير تمام» فقال له
 حامل الحديث إني أكون وراء الإمام. قال: اقرأ بها في نفسك. وروي
 أبو عثمان النهدي عن أبي هريرة قال: «أمرني رسول الله - ﷺ - أن
 أنادي أن لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب».

وقد أجاب أصحاب القول الثاني عن الوجه الأول بأنه لا يلزم أن
 تكون المنازعة مع جهر المؤتم حال قراءة الإمام، بل حتى مع إسرار
 المؤتم بالقراءة لكن جهره أشد منازعة حتى في حال إسرار الإمام.

وأجابوا عن الوجه الثاني بأننا لا نسلم بدعوى التخصيص بحديث
 عبادة، فقد طعن فيه بعض أهل العلم، وذكرنا توجيهه فيما سبق على
 القول بصحته^(٣).

وأجابوا عن الوجه الثالث بأن قول أبي هريرة «اقرأ بها في نفسك»
 محمول على القراءة خلف الإمام في الصلاة السرية. وقد سبق ذكر

(١) انظر «نيل الأوطار» ٢: ٢٤٣.

(٢) في «سننه» ٢: ١٢١-١٢٢.

(٣) راجع الاعتراض الرابع على أدلة أصحاب القول الأول.

جواب أصحاب القول الأول عن هذين الوجهين^(١).

ثالثاً: اعترض على استدلالهم بحديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» من وجوه عدة:

الوجه الأول: أن هذا الحديث ضعيف لا يحتج به، فالأصح أنه مرسل من حديث عبدالله بن شداد، والعمل بالمرسل مختلف فيه بين أهل العلم، وكثير منهم لا يرى العمل به.

وقد أجاب أصحاب القول الثاني بأن الحديث مسند ضعيف لكنه ثبت وصح مرسلًا من حديث عبدالله بن شداد وهو من أكبر التابعين، ومثل هذا المرسل يحتج به الأئمة الأربعة وغيرهم^(٢).

الوجه الثاني: أن أبا هريرة وابن عمر - ممن روي عنهم حديث «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» وقد ثبت عن أبي هريرة جواز القراءة خلف الإمام مطلقاً، أو في السرية فقط، كما ثبت عن ابن عمر القراءة خلف الإمام في الصلاة السرية.

وهذا يدل على ضعف هذا الحديث «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» لأن ظاهره لو صح يدل على أن قراءة الإمام له قراءة في حال السر والجمهور.

وقد أجاب أصحاب القول الثاني بأن الحديث معناه فقراءة الإمام له قراءة: أي في الجهرية، وهذا يوافق ما ثبت عن أبي هريرة وابن عمر

(١) راجع الإجابة على الاعتراضين الثالث والرابع على أدلة أصحاب القول الأول.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧١-٢٧٢.

من القراءة في الصلاة السرية ولا يخالفه .

الوجه الثالث: على القول بالعمل بمثل هذا المرسل، أو أن هذا الحديث قد يرتفع برواياته وطرقه وشواهدة إلى درجة الحسن فإنه مخالف للأدلة الصريحة الصحيحة الموجبة لقراءة الفاتحة مطلقاً كقوله تعالى: ﴿فَأَقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(١). وحديث عبادة في الصحيحين: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، ونحوه كحديث أبي هريرة عند مسلم «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج». وكذا حديث عبادة، الذي فيه: «هل تقرأون خلف إمامكم؟ قالوا: نعم. قال: لا تفعلوا إلا بأم القرآن».

وقد أجاب أصحاب القول الثاني عن هذا الوجه بأن الأدلة التي ذكرتموها خاصة بالمنفرد والإمام، وكذلك تشمل المأموم أيضاً في حال عدم جهر الإمام. أما حديث عبادة: «لا تفعلوا إلا بأم القرآن» فقد ذكرنا أنه طعن فيه، وذكرنا توجيهه - على القول بصحته - فيما سبق^(٢).

الوجه الرابع: على القول بصحة الاحتجاج بهذا الحديث فإنه دليل لمن منع من القراءة خلف الإمام مطلقاً في السرية والجهرية فما المخصص له في أنه في المنع من القراءة في الجهرية فقط .

أجاب أصحاب القول الثاني عن هذا الوجه بأن معنى الحديث «فقرأة الإمام له قراءة»: أي القراءة التي يسمعها تكفيه عن القراءة،

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) راجع الاعتراض الرابع على أدلة أصحاب القول الأول.

يؤيد هذا أنه مأمور بالإنصات حال قراءة الإمام. أما القراءة التي لا يسمعا فكيف تكون له قراءة وهو لا يسمعا.

الوجه الخامس: على القول بصحة الاحتجاج بهذا الحديث - أيضاً - فإنه عام خص بحديث عبادة «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وما في معناه، كما خص بهذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١)، وحديث أبي موسى وأبي هريرة «وإذا قرأ فأنصتوا».

يدل على هذا التخصيص حديث عبادة «لا تفعلوا إلا بأمر القرآن». فيكون معنى الحديث «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة فيما عدا الفاتحة».

وأجاب أصحاب القول الثاني بأن حديث «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» ليس مخصصاً بحديث عبادة وما في معناه كما ذكرتم، بل هو من ضمن المخصصات لحديث عبادة وعليه يكون المعنى: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب إلا إن كان مأموماً فتكفيه قراءة الإمام وخاصة في الصلاة الجهرية. وأما حديث «لا تفعلوا إلا بأمر القرآن» فقد ذكرنا الطعن، وتوجيهه على القول بصحته.

ج - الاعتراضات الواردة على أدلة أصحاب القول الثالث: أن المأموم لا يقرأ لا في السرية، ولا في الجهرية. أولاً: اعترض على استدلالهم بالأدلة التي فيها الأمر بالإنصات

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

لقراءة الإمام كآية الأعراف، وحديث أبي موسى وأبي هريرة من وجهين:

الوجه الأول: أن هذه الأدلة إن دلت على عدم القراءة حال جهر الإمام فليس فيها دلالة على عدم القراءة في حال إسرار الإمام، أو سكوته، لأن السكوت حال عدم جهر الإمام لا يسمى إنصاتاً، ولم يؤمر بترك قراءة الفاتحة ولا غيرها في هذه الحال^(١).

الوجه الثاني: أن هذه الأدلة التي فيها الأمر بالإنصات مخصصة بالأحاديث التي فيها الأمر بقراءة الفاتحة في الصلاة. كما سبق.

وقد أجاب أصحاب القول الثالث عن الوجه الثاني بأن أدلة الأمر بالإنصات ليست مخصصة بأحاديث الأمر بقراءة الفاتحة في الصلاة، لأن هذه الأحاديث خاصة بالمنفرد والإمام دون المأموم.

ثانياً: اعترض على استدلالهم بحديث أبي هريرة الذي فيه قوله - ﷺ - «مالي أنزع القرآن». بأن هذا محمول على الجهر خلف الإمام، وهذا لا يجوز بالاتفاق أو على القراءة سراً حال جهر الإمام، وهذا لا يجوز عند كثير من أهل العلم. ولا يدل الحديث على النهي عن القراءة خلف الإمام مطلقاً، حتى ولو كانت سراً في حال إسرار الإمام، كما تقولون.

ثالثاً: اعترض على استدلالهم بالحديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» من وجوه عدة:

(١) انظر جزء القراءة للبخاري، فقرة ٣٢.

منها: الوجه الأول والثالث والخامس من الوجوه المذكورة في الاعتراض على استدلال أصحاب القول الثاني بهذا الحديث.

ومنها: أن المراد بقوله «فقرأة الإمام له قراءة» أي في الصلاة الجهرية. إذا لم يسكت الإمام، كما يقوله أصحاب القول الثاني - فيما تقدم^(١) - وله وجه.

ومنها: أنهم يستدلون بالحديث على عدم جواز القراءة خلف الإمام مطلقاً والحديث ظاهره أن قراءة الإمام تجزئ عن المأموم، لا أن القراءة لا تجوز من المأموم أو لا تستحب منه. قال ابن تيمية^(٢): «ليس في حديث «فقرأة الإمام له قراءة» دليل للكوفيين على أنه لا تستحب للمأموم القراءة، وإنما فيه الدلالة على أن له أن يجزئ بذلك، وأن الواجب يسقط عنه بذلك، لا أنه ليس له أن يقرأ».

ومنها: أن جميع الأذكار التي يشرع للإمام أن يقولها مستحبة كانت أو واجبة يشرع للمأموم أن يقولها فكيف يتحمل الإمام عن المأموم القراءة، ولا يتحمل ما دونها من المستحبات.

رابعاً: اعترض على استدلالهم بحديث عمران بن حصين، الذي فيه: «ظننت أن بعضكم خالجنها» وحديث ابن مسعود، الذي فيه «خلطتم عليّ القرآن».

بأن هذين الحديثين محمولان على الجهر بالقراءة خلف الإمام.

(١) راجع الدليل الخامس من أدلتهم ووجه استدلالهم به.

(٢) في «مجموع الفتاوى» ٣٢٥: ٢٣.

والجهر بالقراءة خلف الإمام سواء أسر الإمام أو جهر أمر لا يجوز بالاتفاق. وليس فيهما الإنكار على من قرأ سراً خلف الإمام.

ويمكن حمل ما جاء في حديث عمران «ظننت أن بعضكم خالجنها» على أنه ليس فيه نهى لهم أو إنكار عليهم، لأن القارئ خلفه قرأ سراً في صلاة سرية ويؤيد هذا قول شعبة لقتادة - وهما من رواة الحديث: «كأنه كرهه فقال: لو كرهه لنهى عنه»^(١).

خامساً: اعترض على استدلالهم ببعض الآثار عن الصحابة في ترك القراءة خلف الإمام أو النهي عنها بأن أكثر المنقول عنهم في هذا مطلقاً يحتمل ترك القراءة خلف الإمام أو النهي عنها في الصلاة الجهرية فقط، ويحتمل تركها والنهي عنها في الحالين، ومع وجود الاحتمال لا يصح الجزم، وأيضاً جمهور الصحابة وعامتهم يرون القراءة خلف الإمام، لكن منهم من يرى القراءة في الصلاة السرية والجهرية معاً، ومنهم من يرى القراءة في حال الإسرار فقط. وقليل منهم من يرى ترك القراءة مطلقاً، وأيضاً الذين روي عنهم هذا القول من الصحابة روي عن أكثرهم خلافه، حتى قال ابن عبد البر في «الاستذكار»^(٢) «ولا أعلم في هذا الباب صاحباً صح عنه بلا اختلاف أنه قال مثل قول الكوفيين إلا جابر بن عبد الله».

(١) انظر: «التمهيد» ١١: ٥٢، «الاستذكار» ٢: ١٩٢، «القراءة خلف الإمام» للبيهقي ص ١٦٤-١٦٨، «شرح النووي على مسلم» ٤: ١٠٩.

(٢) ٢: ١٩٣.

الترجيح بين الأقوال

بعد النظر في أدلة كل فريق من أصحاب الأقوال الثلاثة، وبعد النظر في الاعتراضات الواردة على تلك الأدلة، وفي إجابات كل فريق على ماورد على أدلتهم من اعتراضات يظهر جليا أن أصحاب القول الثالث القائلين بعدم القراءة خلف الإمام مطلقاً، لا في السرية، ولا في الجهرية لم يسلم لهم دليل واحد كما رأيت، لا من أدلة الكتاب ولا من السنة، ولا من الأثر.

قال اللكنوي وهو من محققي الأحناف في كتابه «إمام الكلام في القراءة خلف الإمام»^(١): «الذي يظهر بالنظر الدقيق، ويقبله أصحاب التحقيق هو أن الأحاديث التي استدلت بها أصحابنا ليس فيها حديث يدل على النهي عن قراءة الفاتحة خلف الإمام، فيدفع ذلك بالجمع، أو الترجيح، أو التساقط، أو النسخ، بل هي متنوعة إلى أنواع ثلاثة:-

فمنها ما يدل على وجوب الإنصات عند القراءة كالحديث الأول - يعني حديث أبي موسى وأبي هريرة: «وإذا قرأ فأنصتوا» - قال: وهو وإن كان ظاهر لفظه وعمومه يدل على الإنصات مطلقا لكن النظر الدقيق يحكم بأنه يمنع من القراءة مع قراءة الإمام في الجهرية بحيث يخل بالاستماع والتدبير، ولا يدل على وجوبه في الجهر أثناء السككات ولا على وجوبه في السر، وكذا الآية القرآنية، يعني: ﴿وَإِذَا قُرِئَ

الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا»^(١). قال: وكذا الحديث الثالث والرابع - يعني حديث عمران، الذي فيه: «قد عرفت أن بعضكم خالجنيتها» وحديث ابن مسعود، الذي فيه قوله - ﷺ -: «خلطتم على القرآن» قال: وإثبات وجوب السكوت مطلقاً من هذه الأحاديث، وكذا من الآية، وإن قال به جمع من أصحابنا عند التنازع لكنه لا يخلو عن تكلف وتعسف.

ومنها: ما يدل بظاهره على النهي عن مطلق القراءة... لكنها مما خدش في ثبوتها، بل يبطلان بعضها فلا يصح الاحتجاج بها، مع إمكان حملها على ما عدا الفاتحة...

ومنها: ما يدل على كفاية قراءة الإمام للمقتدي، وأنه لو لم يقرأ المقتدي صحت صلاته بقراءة إمامه... فيمكن أن يعارض ما صح منه بإطلاقه الأحاديث الواردة في إيجاب قراءة الفاتحة خلف الإمام بعمومها أو خصوصها، ويختار طريق الجمع بينهما، ولا دلالة لها على وجوب السكوت مطلقاً، بل ولا مقيدا، ولا على كراهة القراءة، أو الحرمة، وإن قال به جمع من الحنفية».

وحيث تبين ضعف هذا القول وهو أن المأموم لا يقرأ خلف الإمام مطلقاً، وأن قراءة الإمام له قراءة في الصلاة السرية والجهرية فأبي القولين الباقيين أولى بالترجيح.

أهو قول من قال بوجوب قراءة الفاتحة مطلقاً في السرية

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

والجهرية، أم قول من قال بقراءتها في بالسرية دون الجهرية إذا كان يسمع الإمام، ولم يكن للإمام سككات.

فأصحاب القول الأول كما تقدم استدلوا بالأحاديث الموجبة لقراءة الفاتحة في الصلاة، وجعلوها مخصّصة لعموم أدلة الأمر بالإنصات في الآية والأحاديث.

وأصحاب القول الثاني استدلوا بالأدلة معاً لكنهم جعلوا أدلة الأمر بالإنصات هي المخصّصة لأدلة الأمر بقراءة الفاتحة، فتقرأ الفاتحة حيث لا يجب الإنصات: أي حيث لا جهر في القراءة من قبل الإمام. وأصحاب القول الأول احترزوا من الوقوع في ترك قراءة الفاتحة، وهي في حق المأموم واجب تركه يخل بالصلاة، أو ركن تركه يبطل الصلاة.

ولم يروا وجوب الإنصات على المأموم حال قراءته للفاتحة وإن كان يسمع قراءة الإمام إذا لم يكن للإمام سككات.

وأصحاب القول الثاني احتزوا من الوقوع في المنهي، وهو القراءة حال قراءة الإمام، وترك الإنصات، والاستماع المأمور بهما، ولم يروا أن قراءة الفاتحة واجبة بل ولا مستحبة، بل ولا جائزة حال قراءة الإمام.

وبالمقارنة بين المحترزين فإن ترك قراءة الفاتحة حال الجهر يعد إخلالاً بالصلاة عند بعض أهل العلم، بل يعد مبطلاً لصحتها عند بعضهم.

أما القراءة حال جهر الإمام فهو - عند بعض أهل العلم - ارتكاب لمحذور، وهو ترك الإنصات للمأمور به عند القراءة، لكن ذلك بكل حال لا يبطل الصلاة باتفاق أهل العلم.

وعلى هذا فإن من ترك قراءة الفاتحة حال جهر الإمام متعرض للقول بعدم صحة الصلاة. أما القارئ حال قراءة الإمام فهو متعرض فقط للقول بأنه ارتكب محظورا.

وبناء على هذا فإن أظهر الأقوال، وأقربها لصحة الصلاة وسلامتها من الخلل والنقص، ولبراءة الذمة، والذي تطمئن إليه النفس - بعد المقارنة بين هذه الأقوال وأدلتها هو القول بوجوب قراءة الفاتحة على المأموم مطلقاً في الصلاة السرية والجهرية للأدلة الصحيحة الصريحة في وجوب قراءة الفاتحة على كل مصل، إماماً كان أو مأموماً أو منفرداً وعدم المخصص لها على الصحيح، ولحديث عبادة بن الصامت أن رسول الله - ﷺ - قال: «لعلكم تقرأون خلف إمامكم قالوا: نعم. قال: لا تفعلوا إلا بأمر الكتاب، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها» فهذا نص صريح صحيح في وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة الجهرية التي هي موضع الخلاف.

والأولى أن يقرأ المأموم الفاتحة في سكتات الإمام إن أمكن ذلك، فإن لم يتمكن من قراءتها في السكتات قرأها حال قراءة الإمام لكن في قراءة الإمام ما بعد الفاتحة، فينصت لقراءة الفاتحة ثم يقرأها أثناء قراءة الإمام السورة.

وقد اختار هذا القول أكثر محققي علمائنا في العصر الحاضر منهم:

سماحة الشيخ شيخنا عبدالعزيز بن عبدالله بن باز^(١) - حفظه الله ووقفه، وفضيلة الشيخ شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد^(٢) - غفر الله له ورحمه، وفضيلة الشيخ شيخنا محمد بن صالح العثيمين^(٣) - حفظه الله ووقفه، وفضيلة الشيخ شيخنا صالح بن محمد اللحيدان^(٤) - حفظه الله ووقفه.

وقد صدرت بترجيح هذا القول وهو وجوب قراءة الفاتحة مطلقاً الفتوى رقم ١٧٥٢ بتاريخ ١٢/٢٨/١٣٩٧هـ من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والتي يرأسها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز. وهذا نصها:

«تجب قراءة الفاتحة على المصلي، سواء كان إماماً أو منفرداً أو مأموماً، وسواء كانت الصلاة سرية أم جهرية، سمع المأموم فيها قراءة إمامه أم لم يسمعها في أرجح الأقوال للعلماء، لعموم حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا صلاة لمن لم

(١) سمعت ذلك من سماحته في أكثر من حلقة من حلقات نور على الدرب.

(٢) سمعت ذلك منه - رحمه الله - في فتاوى نور على الدرب.

(٣) سمعت ذلك من فضيلته في أكثر من حلقة من حلقات برنامج «نور على الدرب» وفي أكثر من لقاء وانظر قوله هذا أيضاً في كتابه «تنبيه الأفهام بشرح عمدة الأحكام» ص ٣٣-٣٤.

(٤) سمعت ذلك منه في عدة حلقات من حلقات برنامج نور على الدرب.

يقرأ بأَم القرآن» فنفي الصلاة الشرعية لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب عموماً ولم يخص منها حالاً من أحوال المصلي دون حال. والنفي إذا ورد في نصوص التشريع اتجه إلى الحقيقة الشرعية لا إلى كما لها إلا بدليل ولا دليل يصرف عنها على الصحيح من أقوال العلماء. وما استدل به الحنفية على أن المأموم لا يقرأ بفاتحة الكتاب من حديث جابر - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «من صلى خلف الإمام فقرأة الإمام له قراءة» فضعيف.

قال ابن حجر في التلخيص: إنه مشهور في حديث جابر، وله طرق عن جماعة من الصحابة كلها معلولة، ولو صح لكان مخصصاً لما رواه أبو داود عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أنه صلى خلف أبي نعيم، وأبو نعيم يجهر بالقراءة، فجعل عبادة يقرأ بأَم القرآن، فلما انصرفوا من الصلاة قال لعبادة بعض من سمعه يقرأ: سمعتك تقرأ بأَم القرآن، وأبو نعيم يجهر، قال: أجل، «صلى بنا رسول الله - ﷺ - بعض الصلوات التي يجهر فيها بالقراءة، قال: فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ أقبل علينا بوجهه فقال: هل تقرأون إذا جهرت بالقراءة؟ فقال بعضنا: نعم إنا نصنع ذلك. قال: فلا، وأنا أقول مالي أنزع القرآن، فلا تقرأوا بشيء إذا جهرت إلا بأَم القرآن».

فهذا عبادة راوي الحديث قرأ بها جهراً خلف الإمام، لأنه فهم من كلامه - ﷺ - أنه يقرأ بها خلف الإمام جهراً والإمام يجهر بالقراءة.

وكذلك العموم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾

وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٤﴾ وما ثبت من قوله - ﷺ - في الحديث الصحيح «وإذا قرأ فأنصتوا» يخصص بما رواه أبو داود عن عبادة بن الصامت المتقدم فإنه نص في قراءة المأموم للفاتحة في الصلاة الجهرية. والقاعدة أن الخاص إذا عارضه العام حُمل العام على الخاص وخصَّص به جمعا بين الدليلين وإعمالا لهما بدلاً من إلغاء أحدهما.

وروى مسلم وأبو داود - أيضا - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «من صلى صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج، غير تمام»

قال له السائب مولى هشام بن زهرة: يا أبا هريرة إنني أكون أحيانا وراء الإمام فغمز ذراعه وقال: اقرأ بها يافارسي في نفسك. فدل جواب أبي هريرة للسائب راوي الحديث عنه على أنه فهم من الحديث قراءة المأموم لها في الصلاة لكنه رأى أن يكون ذلك سرا.

فائدة: في بيان المشروع من السكتات في الصلاة، وما يشرع قوله فيها:

وحيث شرع للمأموم قراءة الفاتحة في سكتات الإمام، فإن من المناسب ذكر المشروع من السكتات، وما يشرع قوله في هذه السكتات.

أولاً: بيان المشروع من السكتات في الصلاة.

اختلف أهل العلم في المشروع من السكتات في الصلاة على أقوال

عدة:

أ- جمهور أهل العلم على أن المشروع من السكتات في الصلاة سكتتان، منهم الشافعي^(١)، وأحمد^(٢)، وإسحاق^(٣)، والحسن وقتادة^(٤) والأوزاعي^(٥)، وأبو ثور^(٦).

واستدلوا على هاتين السكتتين بما يلي:

١- ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله - ﷺ - إذ كبر في الصلاة سكت هنيئة قبل أن يقرأ، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال أقول: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد» متفق عليه^(٧).

- (١) انظر «المجموع» ٣: ٣٩٥، «التيان» ص ١٠٤.
 (٢) انظر «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص ٧٥ فقرة ٢٧٠، ٢٧١، «المغني» ٢: ١٦٣-١٦٤، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٨.
 (٣) انظر: «سنن الترمذي» ٢: ٣١.
 (٤) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩١.
 (٥) أخرجه عن الأوزاعي البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٤٧ قال: «يحق على الإمام أن يسكت سكتة بعد التكبير الأولى واستفتاح الصلاة، وسكتة بعد قراءة فاتحة الكتاب ليقرأ من خلفه بفاتحة الكتاب»، وانظر: «الاستذكار» ٢: ١٩١، «التمهيد» ١١: ٤٢.
 (٦) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩١، «التمهيد» ١١: ٤٢.
 (٧) أخرجه البخاري في الأذان - ما يقول بعد التكبير - الحديث ٧٤٤، ومسلم في المساجد - ما يقال بين تكبيرة الاحرام والقراءة الحديث ٥٩٨، وأبو داود في الصلاة - الحديث ٧٨١، والنسائي في الافتتاح، الحديث ٨٦٠.

٢- ما رواه سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال: «سكتان حفظتهما عن رسول الله - ﷺ - فأنكر ذلك عمران بن حصين، وقال حفظنا سكتة. فكتبنا إلى أبي بن كعب بالمدينة فكتب أبي أن حفظ سمرة».

قال سعيد: فقلنا لقتادة: «ما هاتان السكتتان؟ قال: إذا دخل في صلاته، وإذا فرغ من القراءة، ثم قال بعد ذلك: وإذا قرأ ﴿ولا الضالين﴾ قال: وكان يعجبه إذا فرغ من القراءة أن يسكت حتى يتراد إليه نفسه^(١)».

وفي رواية^(٢) عن الحسن عن سمرة بن جندب «أنه تذاكر وعمران بن حصين، فحدث سمرة بن جندب أنه حفظ عن رسول الله - ﷺ - سكتين، سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧﴾» فحفظ ذلك سمرة، وأنكر عليه عمران بن حصين، فكتبنا في ذلك إلى أبي بن كعب، فكان في كتابه إليهما أو في رده عليهما أن سمرة قد حفظ».

وفي رواية^(٣) عن الحسن عن سمرة بن جندب: «أن رسول الله -

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة - باب السكتة عند الافتتاح - الحديث ٧٧٩، والترمذي في الصلاة - ما جاء في السكتين في الصلاة، الحديث ٢٥١، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه في الصلاة - باب في سكتتي الإمام - الحديث ٨٤٤. وليس عند أبي داود قوله: «وكان يعجبه إذا فرغ من القراءة أن يسكت حتى يتراد إليه نفسه».

(٢) أخرجه أبو داود - الحديث ٧٧٩، والدارقطني ١: ٣٣٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ٥: ١٥٠، والبخاري في جزء القراءة - الحديث ٢٧٨، ٢٧٩، وابن =

ﷺ - كانت له سكتان، سكتة حين يفتح الصلاة، وسكتة إذا فرغ من
السورة الثانية قبل أن يركع...».

واتفقوا على أن السكتة الأولى بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة
للتنصيب على مكانها في الحديثين.

واختلفوا في محل*السكتة الثانية بناء على اختلاف روايات حديث
سمرة، فقال بعضهم: هي بعد انتهاء القراءة، وقبل التكبير للركوع،
ورجح هذا الإمام أحمد^(١) وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهما الله
تعالى^(٢) -.

وقيل: إنها بعد قراءة الفاتحة.

وإلى هذا القول يميل ابن القيم - رحمه الله تعالى - فيما يظهر من
كلامه في «زاد المعاد»^(٣).

حيث قال بعد أن ذكر تصحيح أبي حاتم لحديث السكتتين من
رواية سمرة، وأبي بن كعب، وعمران بن حصين قال: «وقد تبين بذلك
أن أحد من روى حديث السكتتين سمرة بن جندب، وقال: حفظت من

= المنذر في «الأوسط» الحديث ١٣٤٠، والدارقطني ١: ٣٠٩.

قال ابن المنذر: «في إسناده مقال، يقال: إن الحسن لم يسمعه من سمرة» وقال ابن
القيم في «زاد المعاد» ١: ٢٠٨: «وقد صحح حديث السكتتين من رواية سمرة وأبي بن
كعب وعمران بن حصين أبو حاتم في صحيحه».

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٨، ٢٢: ٣٣٩.

(٢) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٣٨ وانظر: «زاد المعاد» ١: ٢٠٨، ٢١٦.

(٣) ٢٠٩-٢٠٨: ١.

رسول الله - ﷺ - سكتين، سكتة إذا كبر، وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٧). وفي بعض طرق الحديث فإذا فرغ من القراءة سكت، وهذا كالمجمل واللفظ الأول مفسر مبين، ولهذا قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: للإمام سكتتان فاغتموا فيهما القراءة بفاتحة الكتاب، إذا افتتح الصلاة، وإفا قال: ﴿ولا الضالين﴾ على أن تعيين محل السكتتين إنما هو من تفسير قتادة.

وهل هذه السكتات واجبة على الإمام، أو مستحبة؟ ذهب بعض أهل العلم إلى أنها واجبة على الإمام، منهم الأوزاعي وأبو ثور وذهب أكثر أهل العلم إلى أن ذلك مستحب فقط.

ب - وذهب بعض العلماء إلى أن المشروع للإمام سكتة واحدة للاستفتاح منهم: عمران بن حصين^(١)، وبه قال الإمام أبو حنيفة^(٢)، مستدلين بحديث أبي هريرة المتقدم «كان النبي - ﷺ - إذا كبر سكت هنية»، أما حديث السكتتين فلم يصح عندهم.

ج - وذهب بعض أهل العلم إلى أن المشروع للإمام ثلاث سكتات منهم طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد قالوا: يستحب للإمام ثلاث سكتات، والثانية: منها بعد قراءة الإمام الفاتحة ليقرأ المأموم الفاتحة، والثالثة: بعد الانتهاء من القراءة وقبل الركوع^(٣).

(١) كما في حديث سمرة السابق.

(٢) انظر «فتح القدير» ١: ٢٨٨-٢٨٩، «إعلاء السنن» لتهانوي ٢: ٢١٤، وانظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٨.

(٣) انظر: «المجموع» ٣: ٣٩٥، «الكافي» لابن قدامة ١: ١٣٤.

مستدلين بحديث أبي هريرة وحديث سمرة برواياته .

د وذهب الإمام مالك إلى أنه لا سكوت في الصلاة بحال من الأحوال^(١) .

والذي عليه جمهور أهل العلم، وصححه بعض المحققين من أهل العلم أن السكتات الثابتة اثنتان فقط .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) : «والصحيح أنه لا يستحب إلا سكتتان فليس في الحديث إلا ذلك، وإحدى الروایتين غلط، وإلا كانت ثلاثاً وهذا هو المنصوص عن أحمد، وأنه لا يستحب إلا سكتتان، والثانية عند الفراغ من القراءة، للاستراحة والفصل بينها وبين الركوع، وأما السكوت عقيب الفاتحة فلا يستحبه أحمد^(٣)» .

وقال أيضاً^(٤) : «ولم يقل أحد إنه كان له ثلاث سكتات، ولا أربع سكتات فمن نقل عن النبي - ﷺ - ثلاث سكتات أو أربع فقد قال قولاً لم ينقله عن أحد من المسلمين» .

وقال ابن القيم^(٥) : «وكان له سكتتان، سكتة بين التكبير والقراءة، وعنهما سأله أبو هريرة . واختلف في الثانية، فرُوي أنها بعد الفاتحة، وقيل: إنها بعد القراءة وقبل الركوع، وقيل: هي سكتتان غير الأولى

(١) انظر: «المدونة» ١: ٦٢، «الاستذكار» ٢: ١٩١٢، «التمهيد» ١١: ٤٣ .

(٢) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٣٣٨-٣٣٩ .

(٣) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبدالله ص ٧٦ .

(٤) ٢٣: ٢٧٧ .

(٥) في «زاد المعاد» ١: ٢٠٧ وانظر: ٢١٦ .

فتكون ثلاثاً، والظاهر إنما هي اثنتان فقط».

لكن ابن القيم - رحمه الله - يقول توفيقاً بين روايتي حديث سمرة :
«وأما الثالثة فللراحة والنفس فقط، وهي سكتة لطيفة، فمن لم يذكرها فلقصرها، ومن اعتبرها جعلها سكتة ثالثة، فلا اختلاف بين الروایتين، وهذا أظهر ما يقال في هذا الحديث..»
قلت: وهذا مسلك جيد في التوفيق بين الروایتين إن صحت كل منهما.

ثانياً: ما الذي يشرع قوله في سكتات الإمام، وهل يشرع أن يسكت لأجل قراءة المأموم:

جمهور أهل العلم على أنه يستحب للمأموم، بل وللإمام في السكتة الأولى التي بعد التكبير، وقبل الشروع بقراءة الفاتحة قراءة دعاء الاستفتاح لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه سأل رسول الله - ﷺ - عما يقول في هذه السكتة، فقال - ﷺ - : «أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب...» الحديث^(١).

ولما ثبت في الصحيح عن عمر - رضي الله عنه - أنه كان يكبر ويجهر بدعاء الاستفتاح يعلمه الناس^(٢).

(١) سبق تخريجه بتمامه.

(٢) أخرجه مسلم - في الصلاة - الحديث ٣٩٩.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٩٨ - أن بعض أصحاب =

وأما السكتة التي بعد نهاية القراءة، وقبل التكبير للركوع، فإنها على ما ذكر أهل العلم ليست محلا للقراءة، وإنما هي سكتة لطيفة جدا، لأجل ترادُّ النفس والفصل بين القراءة والتكبير للركوع، كما قال قتادة: «وكان يعجبه إذا فرغ من القراءة أن يسكت حتى يتراد إليه نفسه»^(١). وقال ابن القيم^(٢) - رحمه الله -: «وأما الثالثة فللراحة والنفس فقط وهي سكتة لطيفة...».

وأما السكتة بعد قراءة الفاتحة، فكما اختلف في ثبوتها، فقد اختلف المثبتون لها فيما يقال فيها.

فبعض أهل العلم يرى أنها سكتة يسيرة كالسكتة بين السور، وعند رؤوس الآيات لا تتسع لقراءة الفاتحة^(٣).

وقيل: إنها لأجل قراءة الفاتحة.

وهذا يُروى عن سعيد بن جبير^(٤) وعمر بن عبدالعزيز^(٥)

= الإمام أحمد يستحبون في حال سكوت الإمام أن يقرأ، ولا يستفتح، وهو اختيار أبي بكر الدينوري، وأبي الفرج بن الجوزي.

(١) سبق هذا في بعض روايات حديث سمرة في السكتتين.

وانظر: «الاستذكار» ٢: ١٩٠، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٨، «زاد المعاد» ١: ٢٠٨.

(٢) في «زاد المعاد» ١: ٢٠٨.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٧، ٢٧٩.

(٤) أخرجه عن سعيد - عبدالرزاق - الأثران ٢٧٨٩، ٢٧٩٤، والبخاري في جزء القراءة الأثران ٣٤، ٢٧٣.

(٥) ذكره عن عمر بن عبدالعزيز ابن المنذر في «الأوسط» ٣: ١١٧.

والأوزاعي^(١) والشافعي^(٢) وأبي ثور^(٣)، وإسحاق بن راهويه^(٤)،
واختاره ابن المنذر^(٥)، وبعض أصحاب الشافعي وأحمد^(٦).
بل يرى بعضهم أن هذه السكته مما يجب على الإمام، منهم
الأوزاعي وأبو ثور.

وأكثر أهل العلم على أنه لا يشرع أن يسكت لأجل أن يقرأ المأموم
الفاتحة، منهم أبو حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم^(٧).

لكن كثيراً من أهل العلم يستحبون للمأموم أن يقرأ الفاتحة في
سكتات الإمام، في السكته الأولى إن اتسعت بعد الاستفتاح لشيء من
القراءة وفي غيرها من السكتات - كما تقدم - وهو الأولى^(٨).

وهو مروى عن عبدالرحمن بن أبي سلمة^(٩)،

-
- (١) ذكره ابن المنذر في «الأوسط» ١١٧:٣، وابن عبدالبر في «الاستذكار» ١٩١:٢.
(٢) انظر: «الاستذكار» ١٩١:٢، «التمهيد» ٤٢:١١، «مجموع الفتاوى» ٢٣:٢٧٨.
(٣) ذكره عن أبي ثور - ابن عبدالبر في «الاستذكار» ١٩١:٢.
(٤) انظر «المغني» ١٦٣:٢.
(٥) في «الأوسط» ١١٧:٣، ١١٨.
(٦) انظر: «المغني» ١٦٣:٢، «مجموع الفتاوى» ٢٣:٢٧٨، ٢٩٨، ٣٣٨:٢٢، «زاد
المعاد» ٢٠٨:١.
(٧) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣:٢٧٦-٢٧٧، ٢٩٨، ٣٣٩:٢٢، ٣٤٢.
(٨) انظر: «المغني» ٢:٢٦٥، ٢٦٨، «نبيل الأوطار» ٢:٢٤٢.
(٩) أخرجه البخاري في جزء القراءة - الأثر ٢٧٤، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر
٢٣٩، وذكره ابن المنذر في «الأوسط» ١١٨:٣ عن عبدالرحمن بن أبي سلمة، قال:
«للإمام سكتان فاغتنموا القراءة فيهما بفاتحة الكتاب».
وفي رواية ذكرها ابن قدامة في «المغني» ٢:١٦٤ بزيادة إذا دخل في الصلاة، وإذا قال
﴿ولا الضالين﴾.

والحسن^(١)، وقتادة^(٢)، وعروة بن الزبير^(٣)، وأحمد بن حنبل وعامة أصحابه^(٤)، وإسحاق بن راهويه^(٥) بل من أهل العلم من يوجب ذلك كالأوزاعي^(٦) والشافعي^(٧) وأبي ثور^(٨)، كما سبقت الإشارة إلى هذا^(٩).

- (١) أخرجه - عبدالرزاق - الأثر ٢٧٩٢ عن الحسن قال: «إذا فرغ الإمام من قراءة أم القرآن فاقراً بها أنت» وذكره ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٩١.
- (٢) ذكره عن قتادة ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٩١.
- (٣) أخرجه عن عروة - عبدالرزاق - الأثر ٢٧٩١، والبخاري في جزء القراءة - الأثر ٢٧٦، وذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ١١: ٤٠.
- (٤) انظر: «المغني» ٢: ١٦٣-١٦٤.
- (٥) انظر: «المغني» ٢: ١٦٣.
- (٦) أخرجه عن الأوزاعي - البيهقي في «القراءة خلف الإمام» الأثر ٢٤٧، وذكره ابن عبدالبر في «الاستذكار» ٢: ١٩٠، و «التمهيد» ١١: ٤١.
- (٧) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩١، «التمهيد» ١١: ٤٢، «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٨.
- (٨) انظر: «الاستذكار» ٢: ١٩١، «التمهيد» ١١: ٤١.
- (٩) في ذكر المشروع من السكتات. والعجيب أن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - رأى أن القراءة في سكتات الإمام بدعة حيث لم تنقل عن الصحابة. «مجموع الفتاوى» ٢٣: ٢٧٩.

المبحث الثاني

وفيه مسائل :

- أ - حكم من لم يستطع قراءة الفاتحة في الصلاة .
- ب - حكم قراءة الفاتحة في صلاة الجنائز .
- ج - حكم قراءة الفاتحة على المريض .
- د - حكم قول « آمين » بعد قراءة الفاتحة .
- هـ - قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة .

المبحث الثاني

وفيه مسائل:

- أ - حكم من لم يستطع قراءة الفاتحة في الصلاة.
- ب - حكم قراءة الفاتحة في صلاة الجنابة.
- ج - حكم قراءة الفاتحة على المريض.
- د - حكم قول «آمين» بعد قراءة الفاتحة.
- هـ - قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة.

المبحث الثاني وفيه مسائل

أ - حكم من لم يستطع قراءة الفاتحة في الصلاة :

يجب على المسلم أن يتعلم ما يقيم به الواجب من أمر دينه، من أذكار الصلاة وغيرها.

وبما أن قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة، بل ركن من أركانها على الصحيح من أقوال أهل العلم، فيجب على المسلم بذل طاقته في تعلمها، فإن لم يستطع تعلمها ولا تعلم شيء من القرآن أجزاء عنه أن يسبح الله، ويحمده، ويهلله، ويكبره. لما رواه عبدالله بن أبي أوفى قال: «جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً فعلمني ما يحزني منه. قال: «قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال: يا رسول الله هذه لله عز وجل، فما لي؟ قال: قل اللهم ارحمني، وارزقني، واهدني، فلما قام قال: هكذا بيده. فقال رسول الله - ﷺ - : أما هذا فقد ملأ يده من الخير» رواه أبو داود والنسائي^(١).

(١) سبق تخريجه ضمن أدلة من قال بوجوب قراءة الفاتحة على المأموم مطلقاً في المبحث الأول من هذا الباب. وانظر: «المحلي» ٣: ٢٥٠-٢٥١، «المهذب» ١: ٨٠، «الافصاح» ١: ١٢٨، «المغني» ٢: ١٥٩-١٦٠، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٦.

قال القرطبي^(١): «فإن عجز عن إصابة شيء من هذا اللفظ فلا يدع الصلاة مع الإمام جهده فالإمام يحمل ذلك عنه إن شاء الله، وعليه أبداً أن يجهد نفسه، في تعلم فاتحة الكتاب فما زاد إلى أن يحول الموت دون ذلك وهو بحال الاجتهاد فيعذره الله».

ومن لم يتمكن من قراءتها بالعربية ترجم له الدعاء بلسانه الذي يفقه لاقامة صلاته، ولا تجزىء صلاة من قرأ بالفارسية، أو غيرها وهو يجيد العربية على الصحيح من أقوال أهل العلم^(٢).

ب - حكم قراءة الفاتحة في صلاة الجنائز:

ثبت في أكثر من حديث مشروعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنائز.

فعن طلحة بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - قال: «صليت خلف ابن عباس - رضي الله عنهما - على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب، وقال: لتعلموا أنها سنة». رواه البخاري^(٣).

وعن أبي أمامة صُدي بن عجلان الباهلي - رضي الله عنه - أنه قال: «السنة في الصلاة على الجنائز أن يقرأ في التكبيرة الأولى بأَم القرآن مخافتة، ثم يكبر ثلاثاً، والتسليم عند الآخرة»^(٤).

(١) في «تفسيره» ١: ١٢٦.

(٢) انظر «الأم» ١: ١٠٢، «الأوسط» ٣: ١١٦-١١٧، «المحلي» ٣: ٢٥٤، «المهذب» ١: ٨٠، «المغني» ٢: ١٥٨، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٦.

(٣) في الجنائز - باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنائز - الحديث ١٣٣٥، وأبو داود في الجنائز - باب ما يقرأ على الجنائز - الحديث ٣١٩٨.

(٤) أخرجه النسائي - في الجنائز - باب الدعاء ٤: ٧٥، الحديث ١٨٨٠، وصححه =

ولهذا ذهب جمهور أهل العلم إلى مشروعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة، وهذا هو الصحيح للأدلة السابقة لكنهم اختلفوا في حكم قراءتها فمنهم من استدل بهذه الأحاديث على الوجوب وهو قول كثير من أهل العلم، منهم الشافعي^(١) وأحمد^(٢) وإسحاق^(٣) ذهبوا إلى أن قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة واجبة، بل قال بعضهم: بأنها ركن.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنها مستحبة فقط وقالوا: الأدلة السابقة تدل على الاستحباب فقط.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٤): «وهذا الصواب».

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن قراءة الفاتحة لا تشرع في صلاة الجنازة منهم أبو حنيفة^(٥) ومالك^(٦) والثوري والأوزاعي^(٧).

وقد روي هذا عن ابن عمر وأبي هريرة^(٨).

الألباني =

- (١) انظر: «الأم» ١: ٢٧٠، «المهذب» ١: ١٤٠.
- (٢) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواه ابنه عبدالله ص ١٣٨ فقرة ٥١٣، «المغني» ٣: ٤١٠-٤١١، «الكافي» ١: ٢٦٠.
- (٣) انظر: «المغني» ٣: ٤١١.
- (٤) في «مجموع الفتاوى» ٢٢: ٢٧٤.
- (٥) انظر: «شرح معاني الآثار» ١: ٥٠١، «فتح القدير» لابن الهمام ٢: ١١٢-١١٣.
- (٦) انظر: «المدونة» ١: ١٧٤.
- (٧) انظر: «المغني» ٣: ٤١١.
- (٨) أخرجه عنهما مالك في «الموطأ» ٥٣٥-٥٣٧.

ج - حكم قراءة الفاتحة على المريض:

القرآن الكريم كله شفاء لأمراض القلوب والأديان، كما أنه شفاء لعلل الأجسام والأبدان. قال الله تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَ تَكْم مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ (٣).

فقراءة القرآن، كما أنها شفاء لأمراض القلوب المعنوية، فهي شفاء أيضاً لأمراض الأجسام الحسية والنفسية.

وكما يشرع أن يُقرأ لعلاج أمراض القلوب المعنوية من أمراض الشبهات والشكوك والشهوات. فكذاك يُشرع أن يقرأ المسلم القرآن على نفسه وعلى غيره، لعلاج الأمراض البدنية والجسمانية حسية كانت أو نفسية، لأن القرآن كما ذكر الله في أكثر من آية شفاء لذلك كله بإذنه تعالى.

وقد ثبت في حديث أبي سعيد الخدري أثر قراءة الفاتحة على اللديغ.

كما أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية، فقالت: إن سيد القوم سليم، وإن نقرنا عُيِّب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

نأبئه^(١) برقية، فرقاه، فبرأ، فأمر لنا بثلاثين شاة، وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية، أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأمر الكتاب فقلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي، أو نسأل النبي - ﷺ - فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي - ﷺ -: فقال: «وما يدريه أنها رقيه، اقسموها واضربوا لي بسهم» متفق عليه^(٢).

د- حكم قول «أمين» بعد قراءة الفاتحة:

يستحب أن يسكت القارئ سكتة لطيفة بعد قراءة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٧) ثم يقول «أمين»، سواء كان في الصلاة أو خارجها، إماماً كان أو مأموماً أو منفرداً في صلاة جهرية أو سرية، عند جمهور أهل العلم^(٣).

لما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٧) فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة^(٤) غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق

(١) نأبئه: أي ما كان نعلم أنه يرقى فنعيه بذلك. انظر: «النهاية» مادة «أبن».

(٢) سبق تخريجه في أسماء الفاتحة في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الباب.

(٣) انظر: «مسائل الإمام أحمد» رواية ابنه عبد الله ص ٧٢، «الاستذكار» ٢: ١٩٧، «المهذب» ١: ٧٩، «الميسوط» ١: ٣٢، «معالم التنزيل» ١: ٤٢، «حلية العلماء» ٢: ١٠٧، «أحكام القرآن لابن العربي» ١: ٧، «الإفصاح» ١: ١٢٨، «التحقيق» ص ٣١٤، «المغني» ١: ١٦٠-١٦١، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٧، ١٢٩-١٣٠، «تفسير ابن كثير» ١: ٦٠-٦١.

(٤) قيل: موافقة أمين الملائكة في الإجابة، وقيل في الزمن، وقيل في الصفة من إخلاص الدعاء. انظر «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٧، «الاستذكار» ٢: ١٩٧.

عليه (١).

وفي لفظ للبخاري (٢): «إِذَا آمَنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا فَإِنَّهُ مِنْ وَاثِقِ تَأْمِينِهِ تَأْمِينِ الْإِمَامِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - خطبنا، فقال: «إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، ثُمَّ لِيُؤْمِكُمْ أَحَدُكُمْ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَالَ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧﴾ فقولوا: آمين يجبكم الله، فإذا كبر وركع فكبروا واركعوا فإن الإمام يركع قبلكم، ويرفع قبلكم» . رواه مسلم (٣).

وعن وائل بن حجر - رضي الله عنه - قال: «صليت خلف رسول الله فلما كبر رفع يديه أسفل أذنيه، فلما قرأ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧﴾ قال: آمين، فسمعتة وأنا خلفه»، وفي رواية: «ومد بها صوته» (٤).

- (١) أخرجه البخاري - في الأذان - باب جهر المأموم بالتأمين - الحديث ٧٨٢، وفي التفسير - الحديث ٤٤٧٥، ومسلم في الصلاة - باب التسميع والتحميد والتأمين - الحديث ٤١٠، والترمذي في الصلاة - ما جاء في فضل التأمين - الحديث ٢٥٠، وابن ماجه - في إقامة الصلاة - باب الجهر بالتأمين - الحديث ٨٥١-٨٥٢، وأحمد ٣١٢:٢، ٤٥٩، ومالك في الموطأ الحديث ١٩١.
- (٢) في الأذان - الحديث ٧٨٠.
- (٣) أخرجه مسلم - في الصلاة - باب التشهد في الصلاة - الحديث ٤٠٤، والنسائي، في الإمامة - الحديث ٨٠٠، وابن ماجه في إقامة الصلاة الحديث ٨٤٧.
- (٤) أخرجه النسائي - في الافتتاح - باب قول المأموم إذا عطس خلف الإمام - الحديث ٨٩٣، والترمذي - في الصلاة - باب ما جاء في التأمين - الحديث ٢٤٨، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه - في إقامة الصلاة - باب الجهر بآمين - الحديث ٦٩٦، =

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: «سمعت رسول الله
- ﷺ - إذا قال: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: آمين»^(١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي - ﷺ - قال: «ما حسدتكم
اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين»^(٢).
و«آمين» ليست من الفاتحة إجماعاً، ولهذا لم تُثبت في
المصاحف.

كما شرع أن يسكت قليلاً بعد الفاتحة، ثم يقول: «آمين».
وهي اسم فعل بمعنى اللهم استجب.
وفيها لغتان:

«آمين» بمد الألف على وزن «فاعيل»، و«آمين» بالقصر على وزن
«فعليل». والقصر هو الأصل^(٣).

وأنشدوا:

= وأحمد ٤: ٣١٥، ٣١٦.

والحديث صحيح، صححه الألباني وغيره.

(١) أخرجه ابن ماجه في الموضوع السابق - الحديث ٦٩٥ وصححه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الموضوع السابق - الحديث ٦٩٧ وصححه الألباني. وأخرجه

الإمام أحمد مطولاً ٦: ١٣٥.

(٣) انظر «المدخل لعلم تفسير كتاب الله» ص ١٠٠-١٠٤، «الاستدكار» ٢: ١٩٥، «معالم

النتزيل» ١: ٤٢، «الكشاف» ١: ١٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١: ٦، «زاد المسير»

١: ١٧-١٨، «المغني» ٢: ١٦٣، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٨، «تفسير ابن كثير»

٦١: ١.

تباعد مني فطُحِلَ إذ دعوته أمينَ فزاد الله ما بيننا بعداً^(١)
وقال الآخر^(٢):

يارب لاتسلبني جهاً أبداً ويرحم الله عبداً قال: آمينا
وقال أبو وجزة مولى من موالي أهل المدينة يخاطب عبدالله بن
الزبير^(٣):

ولا نقول إذا يوماً نُعيتَ لنا إلا بأمين ربّ الناس آمينا
هـ - حكم قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة:

يستحب عند جمهور أهل العلم أن يقرأ الإمام والمنفرد، وكذا
المأموم في الصلاة السرية مع الفاتحة سورة، أو بعض الآيات في
الركعتين الأوليين، ويكتفي بقراءة سورة الفاتحة في الركعتين
الأخيرتين^(٤). وهو قول أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود، وابن عمر،

(١) البيت نسبه في «المشوف المعلم» ٧٩:١ لجبير بن الأضيظ، وقد سأل فطحلاً فأعرض
عنه فدعا عليه.

وهو بغير نسبة في «زاد المسير» ١٧:١، وفي مادة «أمن» من «الصحاح» و«اللسان»
وفي «شرح المفصل» ٣٤:٤، «الدر المصون» ٧٧:١، «شذور الذهب» ١١٧-١١٨،
«شرح الأشموني على الألفية» ٣:١٩٧.

(٢) البيت لمجنون ليلى. انظر «ديوانه» ص ٢٨٣، «شرح المفصل» ٣٤:٤، «الدر المصون»
٧٧:١، «شذور الذهب» ١١٦، وقد نسب في «اللسان» مادة «أمن» إلى عمر بن أبي
ربيعة، وليس في ديوانه.

(٣) انظر «الزاهر» ١:١٦٦، «العقد الفريد» ٧:١٦٧.

(٤) انظر: «حلية العلماء» ٢:١١١، «الافصح» ١٢٨-١٢٩، «المغني» ٢:٢٨١-٢٨٢،
«الجامع لأحكام القرآن» ١:١٢٤-١٢٥، «زاد المعاد» ١:٢٤٦-٢٤٧، «نيل الأوطار» =

وأبي الدرداء وعبدالله بن مغفل وعائشة ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك ومغيرة بن عبدالرحمن وعطاء والشعبي والحسن وابن سيرين^(١) وغيرهم.

ولما رواه أبو قتادة - رضي الله عنه - قال: «كان النبي - ﷺ - يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين يطول في الأولى، ويقصر في الثانية، ويسمع الآية أحيانا، وكان يقرأ في العصر بفاتحة الكتاب وسورتين، وكان يطول في الركعة الأولى في صلاة الصبح، ويقصر في الثانية». وفي رواية «ويقرأ في الركعتين الأخيرين بفاتحة الكتاب» متفق عليه^(٢).

وما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: «في كل صلاة يقرأ، فما أسمعنا رسول الله - ﷺ - أسمعناكم، وما أخفى عنا أخفينا عنكم، وإن لم تزد على أم القرآن أجزاء، وإن زدت فهو خير» متفق عليه^(٣).

وإن قرأ مع الفاتحة في الركعتين الأخيرتين من الرباعية، أو الركعة الثالثة من المغرب أحيانا جاز^(٤)، بل استحب بعض أهل العلم هذا

٢: ٢٣٩. وانظر: «صحيح ابن خزيمة» ١: ٢٥٧-٢٥٨.

(١) أخرجه عنهم ابن أبي شيبة في الصلاة ١: ٣٧٠-٣٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان - القراءة في الظهر - الحديث ٧٥٩، ومسلم في الصلاة - القراءة في الظهر والعصر - الحديث ٤٥١، وأبو داود - الحديثان ٧٩٨-٨٠٠، والنسائي - الأحاديث ٩٣٠-٩٣٥، وابن ماجه الحديث ٨٢٩، وأحمد ٥: ٢٩٥-٢٩٧.

(٣) سبق تخريجه ضمن أدلة من قال: إن على المأموم قراءة الفاتحة خلف الإمام مطلقا في المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) انظر: «المحلي» ٤: ١٠١، «المذهب» ١: ٨٠-٨١، «الإفصاح» ١: ١٢٩، «صحيح ابن

كالشافعي^(١). لحديث أبي سعيد الخدري: «أن النبي - ﷺ - كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر ثلاثين آية، وفي الأخيرين قدر خمس عشرة آية، أو قال: نصف ذلك، وفي العصر مثل ذلك^(٢)».

وذهب بعض العلماء إلى وجوب قراءة سورة مع الفاتحة، أو شيء من القرآن، وهو مروى عن عمران بن حصين وعبدالله بن عمر وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبدالله وابن عباس وأبي وائل^(٣) وغيرهم^(٤). قال أبو حنيفة تجب القراءة بعد الفاتحة في الركعتين الأوليين من الرباعية والثلاثية وفي جميع الثنائية^(٥).

خزيمة» ٢٥٦:١.

- (١) انظر: «الأم» ١٠٧:١، «مختصر المزني» مع الأم ٢٠٧:٧.
- (٢) أخرجه مسلم في الصلاة باب القراءة في الظهر والعصر الحديث ١٥٧.
- (٣) أخرجه عنهم ابن أبي شيبة ١: ٣٦٠-٣٦١.
- (٤) انظر: «القراءة خلف الإمام» لليهقي ص ٩٢ وما بعدها، «الجامع لأحكام القرآن» ١: ١٢٥، «نيل الأوطار» ٢: ٢٣٩.
- (٥) انظر: «تحفة الفقهاء» ٢: ٩٦، «بدائع الصنائع» ١: ١٦٠، «البحر الرائق» ١: ٣١٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضلہ وكرمه تتم الصالحات، أحمدہ - سبحانه وتعالى - أن وفقني أولاً للشروع في هذا البحث، ووفقني ثانياً لإنهائه واستكمالہ. فكل ذلك بتوفيقه وتيسيره، فله الحمد في البداية والنهاية، وعند الشروع والتمام، وله الحمد على الدوام - كما قال تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾^(١).

والصلاة والسلام على خاتم رسله سيدنا ونبينا محمد خير الأنام وعلى آله وصحبه نجوم الهدى ومصابيح الظلام، ومن سار على نهجهم واستقام إلى يوم الدين... وبعد:

فقد ظهر من خلال هذا البحث في تفسير الاستعاذة والبسملة وفتحة الكتاب، وبيان ما اشتمل عليه كل منها من المعاني والفوائد والأحكام مايلي:

أولاً: بيان الصيغ الصحيحة للاستعاذة، لأن على المسلم أن يتعبد لله بما شرع الله.

ثانياً: معنى الاستعاذة والبسملة وأن معنى الاستعاذة هو الالتجاء إلى الله والاعتصام به من الشيطان ونزغاته ووساوسه، وجميع شروبه. وأن معنى البسملة هي الاستعانة بسم الله والتبرك والتمنن بالبداء به.

(١) سورة القصص، آية: ٧٠

ثالثاً: أن الاستعاذة ليست من القرآن الكريم، وإنما جاء الأمر بها في القرآن الكريم. وأن البسملة بعض آية من سورة النمل بالإجماع. وآية مستقلة في القرآن الكريم - على الصحيح - تفتتح بها جميع السور سوى براءة. وأن السبب في عدم ذكرها مع هذه السورة أنها لم تنزل من عند الله مع هذه السورة.

رابعاً: أن كلاً من الاستعاذة والبسملة تستحب - على الصحيح - في أول القراءة أولاً الاستعاذة، ثم البسملة، سواء في الصلاة أو خارجها.

خامساً: جواز الإسرار بهما والجهر في غير الصلاة، واستحباب الإسرار بهما في الصلاة.

سادساً: المواضع التي تشرع فيها كل من الاستعاذة والبسملة.

سابعاً: كما ظهر من خلال هذا البحث فضل سورة الفاتحة، وما اشتملت عليه من المعاني، التي جمعها القرآن، وتضمنتها هذه السورة على إيجازها وما اشتملت عليه من الفوائد والأحكام.

كما ظهر أيضاً من خلال هذا البحث الأحكام التي تتعلق بهذه السورة العظيمة من وجوب قراءتها في الصلاة على كل مصل إماماً أو مأموماً أو منفرداً، على الراجح من أقوال أهل العلم.

كما ظهر أيضاً حكم من لم يستطع قراءتها في الصلاة، وحكم قراءتها في صلاة الجنائز وحكم قراءتها على المريض، وحكم التأمين بعدها. وحكم قراءة ما زاد عليها في الصلاة.

وقد اجتهدت وسعي لإخراج هذا البحث في أحسن صورة وأصح
عبارة فإن كنت قد وفقت فمن الله، وإن كانت الثانية فمني ومن الشيطان
وأسأل الله العفو والمغفرة.

وختاماً أسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقني وجميع إخواني المسلمين
للعلم النافع والعمل الصالح وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل
فهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

الفهارس

أ- ثبت المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم.
- الإتيان: للسيوطي، م ٩١١، الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.
- الإجماع: لأبي بكر بن محمد بن المنذر م ٣١٨هـ تحقيق أبي حماد صغير أحمد - الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- أحكام الإمامة والائتمام في الصلاة، عبدالمحسن بن محمد المنيف، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- أحكام القرآن: للخصاص، م ٣٧٠هـ، دار الكتاب العربي ١٣٣٥هـ.
- أحكام القرآن: للشافعي، م ٢٠٤هـ، جمعه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي م ٤٥٨هـ، دار الكتب العلمية ١٤٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- أحكام القرآن: لابن العربي، م ٥٤٣هـ، تحقيق علي محمد البجاوي مطبعة عيسى الحلبي وشركاه.
- اختلاف العلماء: لأبي عبدالله محمد بن نصر المروزي، م ٢٩٤، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- أسباب النزول: للواحدي م ٤٦٨هـ، طبعة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- الاستذكار: لابن عبدالبر، م ٤٦٣، تحقيق علي النجدي ناصف ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- الإشراف على مسائل الخلاف: لابن نصر، م ٤٣٣ - مطبعة الإرادة.
- إصلاح المنطق: لابن السكيت تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون - القاهرة ١٣٦٨هـ.
- الاعتبار في النسخ والنسخ من الآثار - للحازمي، م ٥٨٤هـ حمص، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- إعجاز القرآن: للباقلاني، م ٤٠٣هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- إعلاء السنن للتهانوي م ١٣٥٤هـ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - باكستان.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن القيم، م ٧٥١هـ، دار الجيل ١٩٧٣م.
- إغائة اللهفان: لابن القيم م ٧٥١هـ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الإفصاح: لابن هبيرة، م ٥٦٠هـ، المؤسسة السعيدية في الرياض.
- الإقناع في القراءات السبع: لابن الباذش، م ٥٤٠هـ، الطبعة الأولى.
- الأم: للشافعي، م ٢٠٤هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٥م.

- إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام - محمد بن عبدالحى اللكنوي م ١٣٠٤هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي، م ٧٩١هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الأوسط لابن المنذر م ٣١٨هـ.
- إيضاح الحق في دخول الجنى في الإنسي، والرد على من أنكر ذلك - لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - ملحق بكتاب «الصحيح البرهان».
- البحر المحيط: أبوحيان الأندلسي، م ٧٥٤هـ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض.
- بداية المجتهد: لابن رشد، م ٥٩٥هـ، دار الفكر.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، م ٧٩٤هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الثانية.
- التبصرة في القراءات السبع. مكي بن أبي طالب م ٤٣٧هـ - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٠م.
- التباين في آداب حملة القرآن: للنووي، م ٦٧٦هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- تبيين الحقائق: عثمان بن علي الزيلعي، م ٧٤٣هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- التحقيق في اختلاف الحديث: لابن الجوزي، م ٥٩٧هـ، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزى الكلبي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- تفسير ابن أبي حاتم: م ٣٢٧هـ، مخطوط في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ٤٩ تفسير.
- تفسير القرآن الجليل: للنسفي، م ٧٠١هـ، المكتبة الأموية، دمشق.
- تفسير أسماء الله الحسنى: للزجاج، م ٣١١هـ.
- تفسير القرآن العظيم: للحافظ ابن كثير، م ٧٧٤هـ، تحقيق الوادعي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- التفسير القيم: لابن القيم، م ٧٥١هـ، جمعه محمد بن إدريس الندوي، وحققه محمد الفقي، لجنة التراث العربي.
- التفسير الكبير: للرازي، م ٦٠٦هـ، الطبعة الثانية، طهران.
- التمهيد لابن عبدالبر النمري، م ٤٦٣هـ.
- تفتيح التحقيق: لابن عبدالهادي، م ٧٤٤هـ، تحقيق عامر حسن صبر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- تهذيب اللغة للأزهري، م ٣٧٠هـ، تحقيق عبدالسلام هارون.
- تيسير العزيز الحميد - للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب م ١٢٣٣هـ - الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ - المكتب الإسلامي ١٩٦٦م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري، م ٣١٠هـ، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف.
- الجامع الصحيح: للترمذي، م ٢٧٩هـ، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي وإبراهيم عطوة - المكتبة الإسلامية.

- الجامع الصغير للسيوطي م ٩١١هـ - دار الفكر - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه لمحمود صاني - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء للقفال م ٥٠٧هـ - تحقيق ياسين دراكة، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- خير الكلام في القراءة خلف الإمام - للبخاري م ٢٥٩هـ - تحقيق سعد زغلول، دار الحديث - مصر.
- الدرّ المصون: للسمن الحلبي، م ٧٥٦هـ، تحقيق الدكتور أحمد الخراط - الطبعة الأولى.
- ديوان الأعشى: تحقيق د. محمد محمد حسين - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ديوان أمية بن أبي الصلت: تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي - دمشق ١٩٧٤م.
- ديوان جرير: دار بيروت للطباعة والنشر.
- ديوان عنتره: تحقيق محمد سعيد مولوي - بيروت.
- ديوان القطامي.
- ديوان المتنبي - شرح أبي العلاء المعري: تحقيق د. عبد المجيد دياب القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ديوان النابغة الذبياني - جمع وتحقيق محمد عاشور - الجزائر، جانفي ١٩٧٦م.
- ذيل ديوان الطرماح: تحقيق د. عزة حسن، دمشق ١٣٨٨هـ.
- الرد على من أبي الحق. وادعى أن الجهر بالبسملة من سنة سيد الخلق: للزبيدي، م ١٢٠٥هـ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- روح البيان: إسماعيل حقي، م ١١٣٧هـ، طبعة عثمانية.
- زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي، م ٥٩٧هـ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
- زد المعاد لابن القيم ٧٥١هـ - المكتب الإسلامي ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- زيادات ديوان النابغة الذبياني.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة - للألباني - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- سنن الدارقطني: م ٣٠٦هـ ومعه التعليق المغني على الدارقطني، تحقيق عبدالله هاشم المدني، طبعة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- سنن الدارمي، م ٢٥٥هـ، دار إحياء السنة المحمدية.
- سنن أبي داود: م ٢٧٥هـ، تحقيق عزت الدعاس، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- السنن الكبرى: للبيهقي، م ٤٥٨هـ، دار الفكر - بيروت.
- سنن ابن ماجه، م ٢٧٥، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م، دار إحياء الكتب العربية، لعيسى البابي الحلبي وشركاه.

- سنن النسائي م ٣٠٣هـ، دار إحياء التراث العربي.
- شرح إسماعيل بن غنيم الجوهري على البسمة، مخطوط صورة منه بمكتبة جامعة الإمام المركزية برقم / ١٥٨٩ خ، ف.
- شرح البسمة والحمدلة لأحمد بن عبدالحق المتوفى سنة ٩٩٥هـ - مخطوط بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام تحت رقم ١٢٣٦.
- شرح البسمة والحمدلة لأبي زكريا الأنصاري م ٩٢٦هـ، مخطوط صورة منه بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام برقم ٣٤٨٦/ ف.
- شرح البسمة والحمدلة للصبان لمحمد بن محمد السبائي م ١٢٣٢هـ مخطوط صورة منه بمكتبة جامعة الإمام رقم الحفظ ٩٧٢.
- شرح القصائد السبع لابن الأنباري، تحقيق عبدالسلام هارون ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- شرح معاني الآثار للطحاوي م ٣٢١هـ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطا، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الصحيح البرهان فيما يطرد الشيطان: لعلي بن محمد القرني، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته: للألباني، المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- صحيح ابن خزيمة: م ٣١١هـ، تحقيق محمد الأعظمي - المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- صحيح سنن أبي داود: للألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- صحيح سنن ابن ماجه: للألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- صحيح سنن النسائي: للألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- صحيح مسلم، م ٢٦١هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- صفة صلاة النبي ﷺ للألباني - الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ.
- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم - للشيخ عبدالرحمن الدوسري الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ضعيف سنن الترمذي: للألباني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ضعيف سنن أبي داود: للألباني، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ضعيف سنن ابن ماجه: للألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ضعيف سنن النسائي، للألباني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- عالم الجن والشياطين: لعمر الأشقر.
- العنوان في القراءات السبع: لأبي طاهر إسماعيل الأنصاري، م ٤٥٥هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- غرائب القرآن ورجائب الفرقان: للنيسابوري، ٧٢٨هـ، الطبعة الأولى - ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر، م ٨٥٢هـ، تصحيح وإشراف سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء.
- فتح القدير: لابن الهمام، م ٦٨١هـ، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- فضائل القرآن: لأبي عبيد، م ٢٢٤هـ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- القاموس المحيط: للفيروزآبادي، م ٨١٧هـ، مؤسسة الحلبي وشركاه.
- القطع والانتاف: للنحاس، م ٣٣٨هـ، مطبعة العاني، بغداد ١٣٨٨هـ - ١٩٧٨م.
- الكافي في فقه أهل المدينة: لابن عبد البر، م ٤٦٣هـ، طبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- كتاب البسملة الصغير: لأبي شامة، م ٦٦٥هـ، مخطوط صورة منه بفرع جامعة الإمام برقم ٣٥٠٢/ف.
- الكتاب: لسيويه، م ١٨٠هـ، تحقيق عبدالسلام هارون ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- الكشاف: للزمخشري، م ٥٣٨هـ، دار المعرفة - بيروت، لبنان.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي، م ٤٣٧هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن، م ٧٤١هـ، دار المعرفة للطباعة والنظر، لبنان.
- لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي، م ٩١١هـ، دار إحياء العلوم، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- لسان العرب: لابن منظور، م ٧٢١هـ، دار صادر - بيروت.
- المبسوط: للسرخسي، م ٤٨٣هـ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة.
- مجاز القرآن: لأبي عبيدة، م ٢١٠هـ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨١م.
- مجمع البيان للطبرسي، م ٥٤٨هـ، طبعة ١٣٧٩هـ.
- مجمع الزوائد، للهيتمي، م ٨٠٧هـ، دار الكتب، بيروت، الطبعة الثانية - ١٩٦٧م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: م ٧٢٨هـ، جمع وترتيب عبدالرحمن ابن قاسم، الطبعة الأولى.
- المجموع: للنووي، م ٦٧٦هـ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، م ٥٤٦هـ، تحقيق المجلس العلمي بفاس.
- المحلى: لابن حزم، م ٤٥٦هـ، تحقيق أحمد شاكر، دار التراث.
- المدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية د. ناصر العقل ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المدونة الكبرى: للإمام مالك، م ١٧٩هـ، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى.
- مسائل الإمام أحمد رواية النيسابوري، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ - ١٤٠٠هـ.
- المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين: أبويعلى، م ٤٥٨هـ، تحقيق د. عبدالكريم بن محمد اللاحم، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- المستدرك على الصحيحين - للحاكم مع تلخيص الذهبي، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- المسند: للإمام أحمد بن حنبل، م ٢٤١هـ، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م. تحقيق أحمد شاكر - دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- المصنف: لابن أبي شيبة، م ٢٣٠هـ، الدار السلفية.
- المصنف: عبدالرزاق، م ٢١١هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- معالم التنزيل: للبغوي، م ٥١٦هـ، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- معاني القرآن، للقراء، م ٢٠٧هـ، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج م ٣١١ تحقيق د. عبدالجليل شلبي - بيروت.
- المعنى: لابن قدامة، م ٦٢٠هـ، تحقيق د. عبدالله التركي، د. الحلو الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- المفردات في «غريب القرآن» للراغب الأصفهاني، م ٥٠٢هـ، تحقيق محمد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.
- المقضيات، للمفضل الضبي، تحقيق أحمد شاكر، وعبدالسلام هارون الطبعة السادسة، بيروت.
- مقاييس اللغة: لابن فارس، م ٣٩٥هـ.
- المهذب: للشيرازي، م ٤٧٦هـ، الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.
- المهذب في القراءات العشر - د. محمد سالم محسن الطبعة الثانية ١٣٨٩ - ١٩٦٨م.
- الناسخ والمنسوخ: لأبي جعفر النحاس، م ٣٣٨هـ، الطبعة الأولى بتحقيقنا ١٤١٢هـ - ١٩٩١م مؤسسة الرسالة.
- النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، م ٨٣٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- نصب الزاوية: للزليعي، م ٧٦٢هـ، المجلس العلمي بالهند، الطبعة الثانية.
- النكت والعيون: للماوردي، م ٤٥٠هـ - الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، م ٦٠٦هـ، تحقيق محمود الطناحي، دار إحياء التراث - بيروت.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: للشوكاني، م ١٢٥٠هـ، تحقيق محمود الطناحي، دار إحياء التراث - بيروت.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: للشوكاني، م ١٢٥٠هـ، الطبعة الأخيرة.
- الوقف والابتداء لابن الأثير، م ٣٢٨هـ.

ب - فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٩-٣	المقدمة
١٧٢-١١	الباب الأول: الاستعاذة والبسمة معناهما، وأحكامهما وفيه فصلان ..
٨٢-١٣	الفصل الأول الاستعاذة، معناها وأحكامها وفيه ثمانية مباحث
٢١-١٤	المبحث الأول: صيغ الاستعاذة
١٥-١٤	الصيغة الأولى
١٧-١٥	الصيغة الثانية
١٧	الصيغة الثالثة
١٨-١٧	الصيغة الرابعة
١٩-١٨	الصيغة الخامسة
١٩	الصيغة السادسة
٢١-١٩	بقية الصيغ
٢٧-٢٢	المبحث الثاني: أركان الاستعاذة
٢٨	المبحث الثالث: الاستعاذة ليست بآية من القرآن الكريم
٤٦-٢٩	المبحث الرابع: إعراب الاستعاذة ومعناها
٣٠-٢٩	أ - إعرابها
٤٦-٣٠	ب - معناه
٥٢-٤٧	المبحث الخامس: أحكام الاستعاذة
٦٢-٤٧	أ - مكان الاستعاذة من القراءة
٥٦-٥٣	ب - حكمها عند قراءة القرآن في الصلاة أو خارجها
٥٩-٥٦	ج - هل يتعوذ في الصلاة في كل ركعة أو في الركعة الأولى فقط
٦٠-٥٩	د - حكم الجهر بها أو الإسرار في غير الصلاة
٦٢-٦٠	هـ - حكم الجهر بها أو الإسرار في الصلاة

٦٨-٦٣	المبحث السادس: المواضع التي تشرع بها الاستعاذة
٧٣-٦٩	المبحث السابع: بيان أن شيطان الجن أعظم ضرراً من شيطان الإنس ومن النفس المذمومة»
٨٢-٧٤	المبحث الثامن: السبيل للخلاص من شر الشيطان ومكايده
١٧٢-٨٣	الفصل الثاني: البسملة معناها، وأحكامها
٧٨-٨٤	المبحث الأول: لفظ البسملة وإعرابها
٨٤	أ - لفظها
٧٨-٨٤	ب - إعرابها
١٠٢-٨٨	المبحث الثاني: معنى البسملة
	المبحث الثالث: هل البسملة آية من القرآن الكريم أو من سورة الفاتحة، أو من كل سورة سوى براءة، أو ليست بآية؟
١٢٤-١٠٣	القول الأول: أنها ليست بآية من القرآن الكريم مطلقاً
١٠٦-١٠٣	القول الثاني: أنها آية من سورة الفاتحة
١١٤-١١٠	القول الثالث: أنها آية أو بعض آية من كل سورة سوى براءة
١٢٤-١١٤	القول الرابع: أنها آية مستقلة من القرآن الكريم
١٢٨-١٢٥	المبحث الرابع: السبب في عدم كتابتها في مطلع سورة براءة
١٣١-١٢٩	المبحث الخامس: حكم قراءة البسملة في غير الصلاة
١٣٦-١٣٢	المبحث السادس: حكم قراءة البسملة في الصلاة
١٦٠-١٣٧	المبحث السابع: حكم البسملة من حيث الجهر بها والإسرار في الصلاة أو خارجها
١٦٩-١٦١	المبحث الثامن: المواضع التي تشرع فيها البسملة
١٧٢-١٧٠	المبحث التاسع: فوائد البسملة والأحكام التي تضمنتها
٤٤٢-١٧٣	الباب الثاني: تفسير سورة الفاتحة، معناها، وأحكامها. وفيه فصلان
	الفصل الأول: تفسير سورة الفاتحة، وبيان ما فيها من المعاني والفوائد والأحكام، وفيه ثمانية مباحث
٣٤٧-١٧٥	
١٧٨-١٧٦	المبحث الأول: مكان نزول الفاتحة

- المبحث الثاني : أسماء الفاتحة ١٧٩-١٩١
- المبحث الثالث : عدد آيات الفاتحة ، وهل البسمة آية منها ١٩٣-١٩٢
- المبحث الرابع : فضل سورة الفاتحة ١٩٨-١٩٤
- فائدة في حكم المفاضلة بين سور القرآن وآياته ١٩٩-١٩٨
- المبحث الخامس : المعاني التي اشتملت عليها سورة الفاتحة ٢٠٥-٢٠٠
- المبحث السادس : بيان معنى السورة والآية ٢١٢-٢٠٦
- بيان معنى السورة ٢٠٨-٢٠٦
- بيان معنى الآية ٢١٢-٢٠٨
- المبحث السابع : تفسير مفردات الفاتحة وبيان معاني آياتها ٢٩٨-٢١٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿الحمد لله﴾ ٢٢٤-٢١٣
- معنى الحمد : وصف المحمود بصفات الكمال . الخ ٢١٤-٢١٣
- الفرق بين الحمد والشكر والمدح ٢١٨-٢١٤
- معنى قوله : ﴿الله﴾ ٢١٨
- معنى : ﴿الحمد لله﴾ ٢١٩-٢١٨
- بيان أن الذين قالوا معنى الحمد الثناء يقصدون الثناء على الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا ٢٢٠-٢١٩
- ﴿الحمد لله﴾ جملة خبرية فيها معنى الأمر ٢٢٠
- الحمد من مجيء قوله : ﴿الحمد لله﴾ جملة اسمية ٢٢٠
- الحمد لله في جميع الأوقات والأحوال ، وهو المحمود بكل حال وعلى الدوام ٢٢٣-٢٢٠
- كل نعمة على العباد فهي من الله ٢٢٣
- بيان أن الإنسان ليس بمقدوره شكر الله حق شكره ٢٢٤-٢٢٣
- تفسير قوله تعالى : ﴿رب العالمين﴾ ٢٣٢-٢٢٤
- معاني ﴿رب﴾ ٢٢٦-٢٢٤
- ربوبية الله لخلقه نوعان : ربوبية عامة وربوبية خاصة ٢٢٧-٢٢٦
- أكثر دعاء الأنبياء والصالحين باسم «الرب» ٢٢٧

- ٢٢٨-٢٢٧..... «الرب» بالتعريف لا يطلق إلا على الله. وبالإضافة يطلق على الله وعلى غيره
- ٢٢٨..... دخول اسم «الرب» في اسمه تعالى «الله»
- ٢٣٠-٢٢٩..... معنى «العالمين» واشتقاقه
- ٢٣١-٢٣٠..... بيان لماذا جمع «العالمين» جمع من يعقل
- ٢٣٢-٢٣١..... استخدام لفظ «العالمين» في بعض المواضيع لبعض مدلوله
- ٢٣٢..... تفسير قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾
- ٢٣٣-٢٣٢..... معنى ﴿الرحمن الرحيم﴾
- ٢٤٨-٢٣٣..... تفسير قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾
- ٢٣٥-٢٣٣..... معنى: ﴿مالك﴾
- بيان أنه لا تجوز المقارنة بين القراءات الصحيحة الثابتة على وجه يشعر بتفضيل بعضها على بعض
- ٢٣٥..... معنى: ﴿يوم الدين﴾
- ٢٣٦-٢٣٥..... إطلاق «اليوم» على الزمن قليلاً أو طويلاً
- ٢٣٧-٢٣٦..... المراد باليوم في الشرع
- ٢٣٧..... المراد بأيام الله - نعمه وثوابه للمطيعين ووقائعه في العاصين
- ٢٣٩-٢٣٧..... معنى: ﴿الدين﴾
- ٢٣٩..... المراد بـ: ﴿يوم الدين﴾
- إطلاق: ﴿الدين﴾ على الملة والشريعة وعلى الحكم والقضاء الشرعي، وعلى العادة والشأن والحال والخلق وعلى الطاعة وعلى القهر
- ٢٤٢-٢٤٠..... المراد بـ: ﴿الدين﴾ بفتح الدال
- ٢٤٣-٢٤٢..... معنى: ﴿مالك يوم الدين﴾
- ٢٤٤-٢٤٣..... الحكمة من إضافة ﴿الملك﴾ ليوم الدين
- ٢٤٥..... الأملاك الدنيوية ملوكها وما ملكوا ملكاً لله
- ٢٤٦-٢٤٥..... الإشارة إلى أن كثيراً من هؤلاء الملوك خارجون عن طاعة الله
- ٢٤٧-٢٤٦..... حكم الله وقضاؤه بزوال هذه الأملاك، ورجوع الملك له وحده يوم القيامة

- ٢٤٧..... يوم الدين هو اليوم الحقيقي
- ٢٤٨-٢٤٧..... الدار الآخرة هي الدار الحقة
- ٢٦٦-٢٤٨..... تفسير قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾
- ٢٤٩..... إعراب: ﴿إياك﴾
- ٢٥٠-٢٤٩..... الحكمة من تقديم ﴿إياك﴾ على الفعل في الموضعين
- ٢٥٠..... إثبات العبادة والاستعانة لله وحده
- ٢٥١-٢٥٠..... الحكمة من تكرير الضمير ﴿إياك﴾
- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ والغرض من ذلك
- ٢٥٢-٢٥١.....
- ٢٦١-٢٥٢..... معنى: ﴿نعبد﴾
- ٢٦١-٢٥٣..... معنى: ﴿إياك نعبد﴾
- ٢٥٤-٢٥٣..... العبادة تطلق ويراد بها فعل العبادة، وتطلق ويراد بها نفس العبادات
- ٢٥٦-٢٥٥..... كل ما أمر الله به وكل ما تعبد له به فهو عبادة واجباً أو مندوباً أو مباحاً
- ٢٥٨-٢٥٦..... لا بد لصحة العبادة من توفر شرطين، الإخلاص لله والمتابعة لشرع الله
- العبودية وصف الله بها أكمل خلقه رسله وأنبياءه كما وصف بها ملائكته وعباده المؤمنين
- ٢٦١-٢٥٨.....
- ٢٦١..... البشارة المطلقة لعباد الله
- ٢٦١..... لا سلطان للشيطان على عباد الله
- ٢٦١..... الأمن المطلق لعباد الله
- ٢٦١..... إحسان العبودية أعلى مراتب الدين
- ٢٦٣-٢٦١..... معنى: ﴿وإياك نستعين﴾
- ٢٦٦-٢٦٣..... الحكمة من ذكر الاستعانة بعد العبادة
- ٢٦٣..... العبادة والاستعانة متلازمان
- ٢٦٥-٢٦٣..... بالعبادة والاستعانة يتحقق الإيمان والبراءة من الشرك ومن الحول والقوة
- ٢٦٦-٢٦٥..... كثيراً ما يقرن الله جل وعلا بين العبادة والاستعانة

- ٢٧٩-٢٦٦ تفسير: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
- ٢٦٨-٢٦٧ إعراب: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
- انقسام الهداية إلى قسمين هداية البيان والدلالة والإرشاد وهداية التوفيق والإلهام والقبول
- ٢٧٠-٢٦٨ الهداية الحقة هي هداية التوفيق
- ٢٧٠ بعض الآيات التي تجمع الهدائيتين، ومنه: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
- ٢٧٢-٢٧٠ تفسير قوله: ﴿الصراط المستقيم﴾
- ٢٧٢ القراءات في «الصراط» ومعناه
- ٢٧٣-٢٧٢ معنى: ﴿المستقيم﴾
- ٢٧٣ الصراط المستقيم هو الطريق المعتدل وهو الطريق الذي عليه ربنا، والذي يؤدي إليه تبارك وتعالى
- ٢٧٤-٢٧٣ متى تكون الطريق صراطاً
- ٢٧٤ تضمن الصراط المستقيم لأمر خمسة
- ٢٧٥-٢٧٤ المراد بالصراط المستقيم
- ٢٧٨-٢٧٥ للهداية مرتبة أخرى هي آخر مراتبها وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة
- ٢٧٦-٢٧٥ المعنى العام لقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
- ٢٧٨-٢٧٧ حاجة العبد في كل لحظة وفي كل حال وفي كل عمل إلى الهداية
- ٢٧٧ الرد على ما قال ما الحاجة إلى سؤال الهداية وقد هداهم الله
- ٢٧٩-٢٧٨ تفسير قوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾
- ٢٨٦-٢٨٠ الحكمة من تعريف الصراط في الموضوعين وذكره بالإنفراد
- ٢٨١-٢٨٠ معنى قوله: ﴿أنعمت عليهم﴾
- ٢٨١ معنى النعمة - والإنعام
- ٢٨٢-٢٨١ بيان المنعم عليهم
- ٢٨٣-٢٨٢ النبيين جمع نبي
- ٢٨٣ معنى الصديقين ومن يدخل فيهم
- ٢٨٤-٢٨٣

- ٢٨٥-٢٨٤..... معنى الشهداء ومن يدخل فيهم
- ٢٨٦-٢٨٥..... لا تجوز الشهادة لأحد بعينه أنه شهيد إلا من شهد له الرسول ﷺ
- ٢٨٦..... تفسير قوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾
- ٢٨٧-٢٨٦..... إعراب: ﴿غير﴾ وبيان المعنى الذي تدل عليه، والقراءات فيها
- ٢٨٧..... ملازمة «غير» للإفراد والتذكير والإضافة وعدم التعريف
- الغرض من وصف صراط المنعم عليهم بقوله: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾
- ٢٨٨-٢٨٧..... لتأكيد كمال صراط المنعم عليهم
- ٢٨٨..... معنى الغضب
- ٢٨٨..... الغضب صفة من صفات الله
- ٢٩٠-٢٨٨..... المراد بالمغضوب عليهم، وبيان أن في مقدمتهم اليهود
- ٢٩٠..... بيان لماذا وصف اليهود بالغضب
- ٢٩٠..... تفسير قوله تعالى: ﴿ولا الضالين﴾
- ٢٩١-٢٩٠..... إعراب ومعنى: «لا» في قوله: ﴿ولا الضالين﴾
- ٢٩١..... قول ابن كثير يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والطاء لقرب مخرجيهما
- ٢٩٢-٢٩١..... معنى: ﴿الضالين﴾
- ٢٩٢..... ما يطلق عليه الضلال
- ٢٩٣-٢٩٢..... المراد بالضالين
- ٢٩٤-٢٩٣..... كل من اليهود والنصارى مغضوب عليهم وضالون
- ٢٩٥-٢٩٤..... كل من سلك إحدى الطائفتين فهو منهم
- ٢٩٧-٢٩٥..... تشبه كثير من هذه الأمة باليهود والنصارى
- ٢٩٨..... الغضب نتيجة فساد القصد والضلال نتيجة فساد العلم
- ٣٤٧-٢٩٩..... المبحث الثامن: ما يؤخذ من سورة الفاتحة من الفوائد والأحكام
- ٢٩٩..... مشروعية الابتداء في البسملة في الكتب والرسائل وغيرها
- ٢٩٩..... مشروعية الاستفتاح بها عند قراءة أي سورة من سور القرآن عدا براءة
- ٣٠١-٢٩٩..... حمد الله تعالى لنفسه وثناؤه وتمجيده لها وأمره عباده أن يحمدوه

- ٣٠١ أن الوصف الكامل بأوصاف الكمال مستحق لله
- ٣٠١ الرد على الجبرية من إثبات الحمد لله
- ٣٠٢-٣٠١ أن الحمد لا ينبغي أن يكون إلا لمن هو أهل له
- في قول العبد: ﴿الحمد لله﴾ إقرار منه لله تعالى بالكمال وبالفضل والإنعام وإقراراً من
- ٣٠٢ العبد على نفسه بضعفه وفقره
- ٣٠٤-٣٠٢ إثبات توحيد الأسماء والصفات
- ٣٠٤ إثبات توحيد الألوهية
- ٣٠٦-٣٠٥ إثبات توحيد الربوبية
- ٣٠٧-٣٠٦ إثبات علم الله الشامل وقدرته التامة من قوله: ﴿رب العالمين﴾
- ٣٠٧ إثبات أنه تعالى الأول بلا بداية من قوله: ﴿رب العالمين﴾
- ٣٠٩-٣٠٧ أن الأحق بالاستعانة والمسألة هو اسم «الرب»
- في قوله تعالى: ﴿رب العالمين﴾ الإشارة إلى تساوي الخلق في الربوبية العامة مما يدل
- ٣١٠-٣٠٩ على أن البشر كلهم إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى
- ٣١٠ الرد على من قال بقدم العالم
- في إثبات رحمة الله تعالى الرد على الجبرية في قولهم إن الله يعاقب العبد على ما لا قدرة
- ٣١٠ له عليه
- ٣١١ إثبات يوم القيامة والرد على من أنكر البعث
- ٣١١ ظهور أن الملك الحقيقي لله - عز وجل - في يوم القيامة
- ٣١١ إثبات محاسبة الله للخلائق ومجازاتهم بأعمالهم بالعدل
- ٣١٢ إثبات كتابة الأعمال وتدوينها وإحصائها
- ٣١٢ الحث على الاستعداد ليوم الدين بالإيمان والعمل الصالح والتحذير من الكفر والمعاصي
- الإشارة إلى أن رحمة الله سبقت غضبه من تقديم: ﴿الرحمن الرحيم﴾ على ﴿مالك يوم
- ٣١٢ الدين﴾
- ٣١٣ الجمع بين الترغيب والترهيب في قوله: ﴿الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾
- ٣١٣ الغرض من الترغيب والترهيب

- الرد على المنكرين وجود الله من الملاحظة وغيرهم من قوله ﴿إياك﴾ ٣١٣-٣١٤
- في قوله ﴿إياك﴾ بعد الآيات السابقة انتقال من الغيبة إلى الخطاب ٣١٤
- دليل قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ على إثبات نوع من أنواع العبودية وهي العبودية الخاصة ٣١٤-٣١٥
- ذكر ابن القيم رحمه الله مراتب ﴿إياك نعبد﴾ علماً وعملاً ٣١٦-٣١٧
- ذكر ابن القيم رحمه الله أن لأهله مقام ﴿إياك نعبد﴾ وهم أهل هذه العبودية الخاصة في أفضل العبادة وأنفعها طُرُقاً أربعاً فهم في ذلك أربعة أصناف ٣١٧-٣١٨
- وجوب إخلاص العبادة لله تعالى والاستعانة به وحده ٣١٨
- عبادة الله هي أساس دعوة الرسل ٣١٨-٣١٩
- جمع القرآن بين العبادة والاستعانة ٣١٩
- حالات الإنسان بين العبادة والاستعانة ٣٢٠
- دلالة قوله: ﴿إياك نعبد﴾ على أن العبد لا ينفك عن العبودية، والرد على الصوفية ٣٢٠-٣٢١
- حاجة جميع الخلق إلى عون الله لقوله: ﴿إياك نستعين﴾ ٣٢١-٣٢٢
- تقديم حق الله تعالى على حق عبده في قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ٣٢٢
- يؤخذ من ذكر: ﴿إياك نستعين﴾ بعد قوله: ﴿إياك نعبد﴾ دفع إعجاب المرء بعبادته لربه ٣٢٢
- دل قوله تعالى: ﴿وإياك نستعين﴾ على إثبات القدر والرد على القدرية ٣٢٢
- في قوله: ﴿نعبد﴾ و﴿نستعين﴾ دلالة على أن العبد فاعل حقيقة، والرد على الجبرية ٣٢٣
- في قوله: ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ومن ثم سؤال الهداية بعد ذلك، مشروعية تقديم السائل بين يدي سؤاله ما يكون سبباً للإجابة من الثناء على المسؤول ونحو ذلك ٣٢٣-٣٢٦
- مشروعية دعاء الله والتضرع إليه وسؤاله الهداية ٣٢٦
- في قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ الرد على القدرية المجوسية القائلين بأن العبد يخلق فعل نفسه ٣٢٦
- أن الهدى الحقيقي الصحيح ما جاء عن الله ٣٢٦-٣٢٧
- مشروعية دعاء المسلم لإخوانه المسلمين وفضل الجماعة من قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ٣٢٧

- ربط الأسباب بمسبباتها يؤخذ من قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ٣٢٧
- أن صراط الله عدل مستقيم ٣٢٧
- الأحق بالعبادة واتسعانة الموصوف بقوله: ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ ٣٢٨-٣٢٧
- الصراط المستقيم هو صراط المنعم عليهم ٣٢٨
- أن الهداية للطريق المستقيم هي أعظم نعمة، وهي النعمة المطلقة ٣٢٨-٣٢٩
- الاستعفاف في قوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بنسبة النعم إلى الله جل وعلا ٣٢٩-٣٣٠
- التنويه بشأن المنعم عليهم ٣٣٠
- الترغيب في سلوك الطريق المستقيم ببيان الرفقة فيه وسالكيه ٣٣٠-٣٣٢
- أن طريق الحق واحد بخلاف طرق الباطل فهي متعددة متشعبة ٣٣٢-٣٣٣
- الصراط تارة يضاف لسالكيه وتارة يضاف إلى الله الذي نصبه وشرعه ٣٣٣
- وجوب الاعتراف بالنعمة لموليتها ومسديها ٣٣٣
- الدلالة على أن الله فاعل مختار ٣٣٣-٣٣٤
- استدلال الشقيطي بقوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ على صحة إمامة أبي بكر رضي الله عنه ٣٣٤
- إثبات كمال الصراط المستقيم ٣٣٤-٣٣٥
- ينبغي للعبد أن يسأل الله أن يجنبه طريق المغضوب عليهم والضالين ٣٣٥
- إثبات صفة الغضب لله كما يليق بجلاله وعظمته ٣٣٥
- ينبغي للعبد أن يسلك من الطرق أحسنها وأقومها ٣٣٥-٣٣٦
- من أخص صفات اليهود الغضب ومن أخص صفات النصارى الضلال ٣٣٦
- من سلك مسلك إحدى الطائفتين شمله وصف تلك الطائفة ٣٣٦-٣٣٧
- إنقسام الناس بحسب معرفة الحق إلى ثلاثة أقسام ٣٣٧
- انفراد الله بالإنعام، والإشارة إلى أن الغضب لا يختص به تعالى وحده ٣٣٧-٣٣٨
- تعليم حسن الأدب مع الله بإسناد الخير والنعم إليه وإسناد الغضب لما لم يسم فاعله، والضلال لمن قام به ٣٣٨-٣٣٧

- ٣٣٩-٣٣٨..... بلوغ القرآن غاية الإيجاز مع الفصاحة والبيان
 الترغيب بسلوك طريق المنعم عليهم والمؤمنين والترهيب من سلوك طريق المغضوب
 عليهم والضالين ٣٣٩
 ٣٤٣-٣٣٩..... دلت سورة الفاتحة في أحد عشر موضعاً منها على إثبات النبوات
 ٣٤٣..... إثبات صفة الكلام والتكليم لله عز وجل
 ٣٤٤-٣٤٣..... دلت السورة على سعة علم الله تعالى
 اشتمل قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى آخر السورة على الرد على جميع
 طوائف الضلال ٣٤٦-٣٤٤
 ٣٤٧-٣٤٦..... تضمنت السورة شفاء القلوب ، والأبدان
 الفصل الثاني: الأحكام التي تتعلق بسورة الفاتحة وفيه مبحثان ٤٤٢-٣٤٨
 ٣٤٩..... المبحث الأول: حكم قراءة الفاتحة في الصلاة
 أولاً: حكم قراءة الفاتحة في حق الإمام والمنفرد ٣٥٤-٣٥٠
 ثانياً: حكم قراءة الفاتحة في حق المأموم ٤٢٢-٣٥٤
 أسباب الخلاف في هذه المسألة ٣٥٥-٣٥٤
 إجمال الأقوال، فيها أقوال ثلاثة ٣٥٥
 القول الأول والقائلون به ٣٦٥-٣٥٥
 الأدلة التي استدلت بها أصحاب القول الأول ووجه الاستدلال منها ٣٧٥-٣٦٥
 القول الثاني والقائلون به ٣٨٣-٣٧٥
 الأدلة التي استدلت بها أصحاب القول الثاني ٣٩٧-٣٨٣
 القول الثالث والقائلون به ٤٠٠-٣٩٧
 الأدلة التي استدلت بها أصحاب القول الثالث ٤٠٢-٤٠٠
 الاعتراضات الواردة على أدلة كل قول وإجابة أصحابه عنها ٤١٥-٤٠٣
 الاعتراضات الواردة على أدلة أصحاب القول الأول وإجاباتهم عنها ٤٠٧-٤٠٣
 الاعتراضات الواردة على أصحاب القول الثاني وإجاباتهم عنها ٤١٢-٤٠٧
 الاعتراضات الواردة على أصحاب القول الثالث وإجاباتهم عنها ٤١٥-٤١٢

- الترجيح بين الأقوال ٤٢٢-٤١٦
- فائدة في بيان المشروع من السكتات في الصلاة ومكانها ٤٢٨-٤٢٢
- ما يشرع قوله في السكتات، وهل يسكت الإمام لأجل قراءة المأموم ٤٣١-٤٢٨
- المبحث الثاني: وفيه مسائل ٤٤٣-٤٣٣
- أ - حكم من لم يستطع قراءة الفاتحة في الصلاة ٤٣٥-٤٣٤
- ب - حكم قراءة الفاتحة في صلاة الجنائز ٤٣٦-٤٣٥
- ج - حكم قراءة الفاتحة على المريض ٤٣٨-٤٣٧
- د - حكم قول «أمين» بعد قراءة الفاتحة ٤٤١-٤٣٨
- هـ - حكم قراءة ما زاد على الفاتحة في الصلاة ٤٤٣-٤٤١
- الخاتمة ٤٤٦-٤٤٤
- الفهارس ٤٤٧
- فهرس المراجع ٤٤٦
- فهرس الموضوعات ٤٥٣